مع العدد هدية الفردوس مجلة « الطفل المسلم »

منبر الإسلام

تحرير القدس من الاحتلال الإسرائيلى مسئولية مليار و٣٠٠ مليون مسلم

شباب العالم الإسلامى من ٥٦ دولة والجامعات المصرية فى معسكر أبى بكر الصديق بالاسكندرية

البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى

الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة

[illegible] العدد (٦) جمادى الأولى ١٤٢١هـ أغسطس ٢٠٠٠م. الثمن ١٠٠ قرش

من محتويات العدد

* تفسير سورة الحشر
د. محمد سيد طنطاوى
* البعد الدينى فى الصراع العربي الإسرائيلى
د. عبدالصبور مرزوق
* الهدي النبوى لسعادة الدارين
فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى
* قضية القدس ومنظمة المؤتمر الإسلامى
د. عبدالله الأشعل
* نقد علمى لمقال دينى
د. محمد رجب البيومى
* تخيروا لنطفكم من منظور طبى إسلامى
د. عبدالمعبود عمارة
* الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة
د. محمد عمارة
* العولمة بين القبول والرفض
د. جمال رجب سيدبى

غلاف الشهر

• صورة المسجد الأقصى تذكرنا دائما بمكانته الدينية فى وجدان وعقيدة المسلمين، ولقطات من حفل افتتاح معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية.

تصوير. سيد الزفزاف

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: **صوفى أبو طالب**

الدكتور: **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور: **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

بين يديك عزيزى القارئ عدد جديد من مجلة «منبر الإسلام» حافل بالعديد من القضايا المصيرية التى تشغل مساحة واسعة فى فكر وعقل العالم العربى والإسلامى وتؤرق الأمة بأكملها وعلى رأسها قضية القدس والمحاولات الإسرائيلية المتكررة لتهويدها ونزعها من جذورها العربية، فتقرأ معنا عن دور المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية فى تأييد ودعم القضية، كما تقرأ على صفحات هذا العدد حقيقة البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى ومحاولات الصهيونية توظيف هذا البعد فى تحريك القوى العالمية ضد المسلمين، إضافة إلى نقد علمى لمقال دينى يكشف الافتراءات الناشئة عن جهل بأن القرآن الكريم فيه آيات تدعو المسلمين إلى قتل اليهود والنصارى.

كما نقدم لك تحقيقا حول سوء استخدام التكنولوجيا والسلوكيات الخاطئة فى التعامل معها حتى أصبح الغرض هو اقتناء المخترعات الحديثة للهو والتفاخر فأصبحت شريحة كبيرة من مجتمعاتنا مستهلكة لإنتاج الغير مقصرة فى مجال التقدم التكنولوجى.

هذا إلى جانب الأبواب الثابتة التى تتناول موضوعات القرآن الكريم وعلومه والسنة المطهرة، والحضارة والعلوم إلى جانب الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى

أ.د.عبدالصبور مرزوق

محاولات الوقيعة بين المسلمين والأقباط فى مصر مصيرها الفشل

مصر بتاريخها وجغرافيتها وبوزنها البشرى والاقتصادى والعلمى والحضارى وقبل هذا بتاريخها العريق فى التصدى للغزاة عبر العصور منذ المصريين القدماء الذين واجهوا الهكسوس إلى التتار والصليبيين، وأخيرا دورها البارز والحاسم فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى كان وسيبقى مركز ومحور مواجهة الهيمنة الصليبية ومحاولات التوسع الإسرائيلى فى المنطقة.

مصر بهذه المقومات كانت وستبقى بؤرة الصراع ذا البعد الدينى فى المنطقة ليس فقط بين العرب وإسرائيل ولكن بينها وبين كل القوى الصليبية والصهيونية الطامعة فى المنطقة.

❖❖❖

ولأن البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى له تأثيره الخطير على الجانبين باعتباره الحافز الأكبر فى شحذ الوجدان وحفز الهمم ورفعها إلى تحريك القوى وتجييشها للعمل، فقد تمكنت إسرائيل من استثماره لصالح أهدافها فى المنطقة فى مرحلتين بالغتى الأهمية، كانت أولاهما:

فيما عرف بالتسويق الإعلامى المكثف لنبوءة أحد أنبيائهم ويدعى «حذقيال» والتى تقول - حسب مصادرهم - إن السيد المسيح عليه السلام لن ينزل إلى الأرض فيملؤها عدلا بعدما ملئت جورا إلا بعد وقوع معركة فى الألفية الثالثة تسمى معركة «أرماجدون» أو «هارما جدون» فى أرضنا العربية بين بحيرة «طبرية»، و«البحر الميت» وفيها تسيل الدماء جداول ويفنى ما يزيد على المليونين من البشر.

وطبعا - وكما تزعم النبوءة - سيكونون من «الجوابيم» أى منا نحن العرب والمسلمين ولن يكونوا من اليهود.

❖❖❖

وقد عملت إسرائيل تساندها الصهيونية

العالمية على الإفادة من هذه النبوءة فى العالم الغربى الصليبى الذى تسعده بالطبع عودة المسيح فيقف إلى جانب إسرائيل بكل قوته وكل دعمه كما هو واضح مشاهد لا يحتاج إلى دليل.

❖❖❖

وما أقوله هنا ليس من عندى بل هو بعض ما تحدثت به الصحفية الأمريكية «جريس هلساى» فى كتابها «النبوءة والسياسة» والمترجم إلى العربية بمعرفة جمعية الدعوة الإسلامية فى «ليبيا».

تقول الكاتبة:

إن إسرائيل نجحت فى الترويج لهذه النبوءة وأقنعت بها كثيرين من أصحاب القرار فى الولايات المتحدة، بل إنها رتبت رحلات لزيارة أرض المعركة المنتظرة وذلك منذ عام ١٩٣٨م.

❖❖❖

تلك كانت الخطوة البارعة الأولى على طريق اجتذاب وحشد إسرائيل والصهيونية من ورائها للعالم الصليبى ليكون ظهيرا لها فيما تخطط له من احتواء دموى للمنطقة العربية، وفى طليعتها مصر، وهى خطوة نبوءة حزقيال وعودة المسيح فى الألفية الثالثة كما ذكرنا، وكانت بمثابة مقدمة.

أما الخطوة الثانية فقد تحققت كنتيجة لهذه المقدمة وذلك عندما أعلن المجمع المسكونى (المتحدث باسم الصليبية عامة) أعلن عما أسماه «تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام».

وبصرف النظر عن اختلاف معتقدنا كمسلمين يقول كتابنا: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم**﴾ النساء: آية ١٥٧.

فحسب المعتقد عندهم أن اليهود هم قتلة المسيح، فإذا جاء المجمع المسكونى فى ١٩٦٣م ليعلن براءتهم من دمه تكون من زاوية أخرى إعلانا عن اليهود والنصارى، وقد أصبحوا إخوة ليس فقط متحابين بل ارتفع من بينهم حاجز العداء بقتل المسيح وأصبحوا على درب واحد يتجه فيه العداء المشترك إلى عدو واحد هو الإسلام.

وهذا ما هو حاصل اليوم..

فالعالم الغربى الصليبى الذى تفرض منظمته المسماة بالأمم المتحدة يفرض على العالم كله عقوبات قاسية إذا لم توقع دوله على معاهدة حظر التجارب النووى، ويخضع الجميع ويوقعون إلا إسرائيل.

فهى التى يقبل الغرب الصليبى رفضها للتوقيع مع علمه اليقينى باستمرار إنتاجها للسلاح النووى إضافة إلى المخزون الذى يعرفه العالم كله من الرؤوس النووية.

❖❖❖

نحن إذن أمام واقع مشهود لا مجال للارتياب فيه؛ واقع يتحرك بخطى حثيثة للوصول بقوة إسرائيل إلى حيث تكون أقوى من جميع دول المنطقة مجتمعة؛ بل ولتكون قادرة على هزيمة العرب مجتمعين عند أى صدام.

❖❖❖

ولأن مصر هى الدولة القوية والمحورية التى أذاقت إسرائيل مرارة الهزيمة فى حرب رمضان الشهيرة فهى بذلك الدولة الأولى المرشحة للثأر منها والمرشحة لتمزيقها من الداخل وإضعاف قواها حتى لا تقوم لها قائمة فتنفرد إسرائيل بالعرب أجمعين دون جهد يذكر.

إن مصر المستهدفة قوية فى التاريخ والجغرافيا والثقل البشرى والحضارى، ومن ثم لن يجدى معها استخدام القوة إلا إذا جرى التمهيد الكبير له حتى لا تهزم إسرائيل كما هزمت فى حرب رمضان.

❖❖❖

والحل - عند شياطين الشر من اليهود والصهاينة والغرب الصليبى السائر فى ركابها هو

اختراق مصر من الداخل من خلال ما يسمّى بالمراكز البحثية العميلة، ومن خلال الدعوة إلى التطبيع مع العدو الصهيونى كما تنادى به جماعة كوبنهاجن، ثم الاختراق السياسى من خلال محاولة الوقيعة بين المسلمين والأقباط تحت مسمى «دراسة هموم الأقباط ومشكلاتهم».

وكل هذه المحاولات وقعت بالفعل على أرض الواقع وتحدث بها الإعلام المصرى المعاصر.

لكن أخطر ما فيها جميعا هو محاولة اللعب بورقة ما أصدره الكونجرس الأمريكى فى الولايات المتحدة باسم قانون الاضطهاد الدينى، والذى أعطت فيه أمريكا لنفسها الحق زورا وعدوانا وتدخلا فجاً فى الشئون الداخلية للدول الأخرى - وذلك فى أن تفرض عقوبات على الدول التى تمارس هذا الاضطهاد الدينى.

تمكنت إسرائيل من استثمار البعد الدينى فى شحذ الوجدان وحفز الهمم لتحريك القوى ضد العرب والمسلمين

وأجمعت كل مراصد الفكر السياسى والثقافى على أن هذا القانون (قانون الاضطهاد الدينى) موجه فى الدرجة الأولى لمصر، وذلك بتأثير بعض العناصر العميلة التى هاجرت إلى الولايات المتحدة، ونسمع بأخبار تظاهراتهم أمام الكونجرس وأمام البيت الأبيض عند زيارة المسئولين لأمريكا صارخين بأنهم يضطهدون فى مصر!!

❖❖❖

وهنا يكون الرد الدقيق والموثق على أكذوبة هذا الاضطهاد الدينى المزعوم للأقباط فى مصر الذى يؤكد أن الإخوة الأقباط فى مصر منذ فجر الإسلام وإلى اليوم يتمتعون بحرية ومساواة ومودة شعبية مع إخوانهم المسلمين لا يكاد يوجد لها نظير فى أى بلد آخر ليس فى المنطقة العربية وحدها بل ليس لها نظير فى تعاملات الغرب الصليبى مع الأقليات المسلمة التى تعيش فى ديار الغرب.

❖❖❖

إن الوعى بمجريات الأحداث ودقة تحليلها والربط بينها واستخلاص النتائج منها ضرورة وطنية وقومية لمعرفة اتجاه الريح وكشف المستور من مخططات القوى المعادية لمصر.

هذا الوعى ضرورة دينية قصوى لأن البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى حقيقة على كل أبناء مصر أن يدركوها أقباطا ومسلمين لأن التآمر على سفينة الوطن لو نجح - لا قدر الله - فلن ينجو منه أحد، ولن تفرق الرصاصة الموجهة إلى صدر مصر بين قبطى ومسلم.

ألا فلنكن كلنا على حذر.....

إقرأ مقال الدكتور محمد رجب البيومى «نقد علمى لمقال دينى» الذى تناول فيه بالأدلة الرد على الافتراءات التى تدعى أن القرآن الكريم فيه تحريض للمسلمين لقتل اليهود والنصارى (صفحة ١٧).

قضية القدس ومنظمة المؤتمر الإسلامى

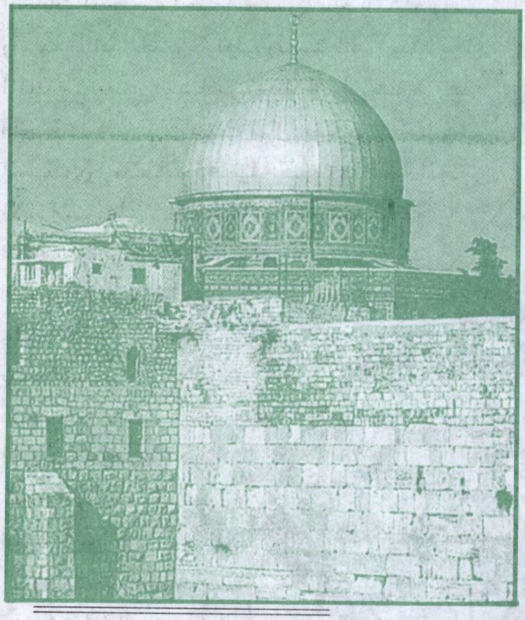

المفاوض الفلسطينى يلقى من إسرائيل كل الألاعيب والممارسات المدروسة التى تستند إلى منطق القوة والغصب

د/ عبدالله الأشعل

أكد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية فى كوالالمبور الذى أنهى أعماله يوم ٣٠ يونيو ٢٠٠٠م موقف المنظمة الثابت من قضية القدس، ووجه المؤتمر نداء عالميا للحفاظ على القدس الشريف ناشد فيه المجتمع الدولى إلى التعاون مع الجانب الفلسطينى والعربى للحفاظ على هوية المدينة المقدسة، وأكد البيان أن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف يشكل القاعدة الأساسية لإحلال السلام الدائم فى الشرق الأوسط.

والواقع أن منظمة المؤتمر الإسلامى قد نشأت أصلا بسبب القدس وللعمل على تحرير القدس، بل إن مقر المنظمة الدائم وفقا لميثاقها هو مدينة القدس الشريف ولكنها اتخذت جدة مقرا لها بشكل مؤقت إلى أن تتحرر المدينة المقدسة، وقد ساندت المنظمة الإسلامية فى جميع قراراتها منذ نشأتها عام ١٩٧٢م وحتى الآن كفاح شعب القدس والفلسطينيين ضد عمليات تغيير هوية القدس الثقافية والسكانية والتاريخية، ودون الدخول فى تفاصيل موقف المنظمة فإنه من الواضح أن المنظمة أنشأت فى

أمانتها العامة إدارة للقدس وصندوقا ووقفية باسم القدس للانفاق على جهود المحافظة على هويتها وتأكيد الطابع العربى والإسلامى للمدينة، كذلك أنشأت المنظمة لجنة القدس عام ١٩٧٥م والتى رأسها الملك الحسن، وتولى رئاستها من بعده نجله الملك محمد السادس، ونشأ على هامش هذه اللجنة دار سميت «بيت مال القدس». أما على المستوى السياسى فقد أكدت منظمة المؤتمر الإسلامى على كافة جوانب الشرعية الدولية الخاصة بالقدس. فالمنظمة من ناحية رفضت الاعتراف بضم إسرائيل للقدس وأنكرت على القانون الأساسى الإسرائيلى بضم القدس كل أثر قانونى، ومن ذلك زعم إسرائيل بأن القدس عاصمة موحدة شرقها وغربها وعاصمة أبدية لإسرائيل.

وفى نفس السياق تمسكت المنظمة بأن القدس الشرقية أراض احتلت من جانب إسرائيل عام ١٩٦٧م، وأن القدس الغربية أراض اغتصبت عام ١٩٤٩م فى إطار أحداث قيام إسرائيل، وأكدت المنظمة أن العدوان الإسرائيلى لا ينشىء حقا ولا يقيم قانونا، ومن ثم طالبت بمعاملة القدس على أنها أراض محتلة شأنها شأن بقية الأراضى الفلسطينية الأخرى، تنطبق على السكان والأرض أحكام اتفاقية جنيف الرابعة مادام الاحتلال بطبيعته «مؤقتا» وحالة واقعية مصيرها إلى الزوال فأكدت المنظمة فى قرارات القمة والوزراء على ضرورة دعم صمود الشعب الفلسطينى فى القدس بمختلف الوسائل، بالتوازى مع جهودها لصد السياسة الإسرائيلية الهادفة إلى تغيير هوية المدينة، بل وتغيير تبعيتها واستلابها.

ساندت المنظمة الإسلامية فى جميع قراراتها كفاح شعب القدس والفلسطينيين ضد عمليات تغيير هوية القدس الثقافية والسكانية والتاريخية

وقد يقال وما قيمة كافة قرارات المنظمة الإسلامية وقرارات الشرعية الدولية التى تهدف إلى المحافظة على القدس ضد مخلب السياسة الإسرائيلية، بل وما قيمة بيان كوالالمبور الأخير ونداء وزراء الخارجية المسلمين؟

إن قرارات المنظمة التى تمثل العالم الإسلامى كله بما فى ذلك الأقليات الإسلامية تعتبر قوة سياسية هائلة على الأقل من الناحية المعنوية والمادية، وتشكل جزءا من مقاومة محاولات ابتلاع القدس. ولاشك أن تركيز إسرائيل على القدس ومحاولاتها المستميتة لانتزاعها من هويتها وتبعيتها التاريخية بسبل لا تكاد تحصى يتطلب جهدا إسلاميا أكثر وضوحا وتحديدا. وتزعم أن نداء كوالالمبور هو صرخة إسلامية موجهة إلى القوى الفاعلة فى النظام الدولى، فإذا أضفنا موقف الفاتيكان إلى موقف الاتحاد الأوروبى الذى يلتقى مع الموقف الإسلامى كان ذلك سندا هائلا للمفاوض الفلسطينى الذى يخوض الآن معركة السياسة والدبلوماسية الأخيرة بشأن القدس، ويلقى من إسرائيل كل الألاعيب والممارسات المدروسة التى تستند إلى منطق القوة والغصب وعدم التناسب الظاهر بين قوى طرفى المشكلة.

وأخيرا فإن نداء كوالالمبور رسالة واضحة بأن القدس لا يجوز أن يقرر مصيرها أطراف المشكلة المباشرين الغاصب والضحية مادامت أهميتها تتجاوز حقوق هذه الأطراف فيها، وإن أية تسوية تتجاهل هذا البعد الدولى الغلاب ستجعل الهوة فادحة بين التسوية والواقع، وسوف تصبح تسوية مفروضة مصيرها الهزيمة والزوال.

القرآن الكريم وعلومه

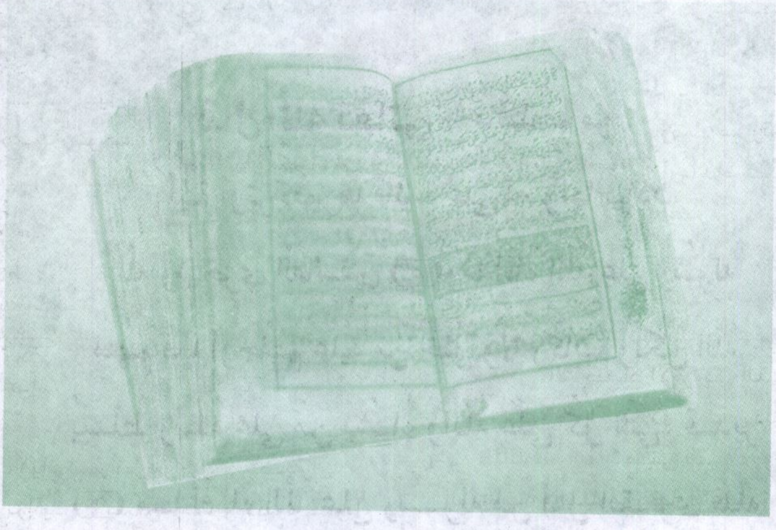

- تفسير سورة الحشر
- منهج القرآن فى الدعوة إلى الله ومحاورات الخصوم
- نقد علمى لمقال دينى

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة الحشر

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى ﴿ مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْتَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾ الحشر : الآيات من ٥ ـ ٧

١ - بعد أن بين - سبحانه - فى الآيات السابقة، أن ما أصاب يهود بنى النضير من عقوبات كان بسبب غدرهم وخيانتهم، أتبع ذلك بما يغرس الطمأنينة فى قلوب المؤمنين الذين اشتركوا فى تخريب ديار هؤلاء الخائنين، وفى قطع نخيلهم فقال: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين﴾.

ولفظ «اللينة» يطلق على النخل كله، وخصه بعضهم بأفضل أنواع النخل.

وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية روايات منها: أن المسلمين عندما أخذوا فى تقطيع نخيل بنى النضير قال بعض زعماء اليهود: يامحمد لقد كنت تنهى عن الفساد، فما بالك ترضى عن قطع النخيل؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: إن المسلمين بعد أن قطعوا بعض النخيل ظنوا أنهم قد أخطأوا فى ذلك، فقالوا: لنسألن رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية.

وقيل إن المسلمين نهى بعضهم بعضا عن قطع النخيل، وقالوا: إنما هى مغانم المسلمين، فنزلت هذه الآية لتصديق من نهى عن القطع، وتحليل من قطع من الإثم.

٢ - والمعنى: لا تختلفوا - أيها المؤمنون - فى شأن ما فعلتموه بنخيل بنى النضير، فإن الذى قطع شيئا من هذا النخيل لا إثم عليه، والذى لم يقطع لا إثم عليه - أيضا - لأن كلا الأمرين بإذن الله - تعالى - ورضاه، وفى كليهما مصلحة لكم، لأن من قطع يكون قد فعل ذلك ليغيظ العدو ويذله، وليحمله على الاستسلام والخضوع لأمركم. ومن ترك يكون قد فعل ما يعود بالخير عليكم، لأن تلك النخيل الباقية، منفعتها ستؤول إليكم.

وقد شرع الله - سبحانه - لكم كلا الأمرين فى هذا المقام ليخزى الفاسقين عن أمره، والخائنين لعهده، وهم يهود بنى النضير ومن ناصرهم وأيدهم، وسار على طريقتهم فى الخيانة والغدر، فالآية الكريمة المقصود بها: إدخال المسرة والبهجة فى قلوب المؤمنين، حتى لا يتأثروا بما حدث منهم بالنسبة لنخيل بنى النضير، وحتى يتركوا الخلاف فى شأن هذه المسألة، بعد أن صدر حكم الله - تعالى - فيها، وهو أن القطع والترك بإذنه ورضاه، لأن كلا الأمرين يغرس الحسرة فى قلوب الأعداء، الذين قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر.

وقال سبحانه وتعالى: **﴿أو تركتموها قائمة على أصولها﴾**: لتصوير هيئتها وجمالها، ولبيان أن فروعها قد بقيت قائمة على أصولها التى هى جذورها وجذوعها.

هذا، ومن الأحكام الشرعية التى أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة: أن تخريب ديار الأعداء، وقطع الأشجار التى يملكونها، وهدم حصونهم ومعسكراتهم، جائز شرعا ماداموا هم قد فعلوا ماهو أقبح من ذلك مع المسلمين، ومادامت هناك حرب معلنة بيننا وبينهم، ومادام هذا التخريب هو الوسيلة الوحيدة لدفع عدوانهم، ورد بغيهم فى نحورهم.

٣ - ثم بين - سبحانه - حكم الفئ الذى أفاءه على المسلمين فى غزوة بنى النضير، فقال: **﴿وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب..﴾.**

وهذه الآية الكريمة معطوفة على الآية السابقة عليها وهى قوله: **﴿ما قطعتم من لينة..﴾** لبيان نعمة أخرى من النعم التى أنعم بها - سبحانه - على المؤمنين فى غزوة بنى النضير.

وقوله - سبحانه - **«أفاء»** من الفئ بمعنى الرجوع. يقال: فاء فلان على فلان، إذا رجع إليه بعد انقطاع، ومنه قوله تعالى: **﴿فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾** البقرة: آية ٢٢٦. أى: فإن رجعوا.

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾** الحجرات: آية ٩. أى: حتى ترجع إلى حكم الله. والمراد بالفئ فى الآية التى معنا معناه الشرعى، وهو ما حصل عليه المؤمنون من أموال أعدائهم دون قتال، كأن يكون هذا المال عن طريق الصلح، كما حدث مع بنى النضير، فقد صالحوا المؤمنين على الخروج من المدينة المنورة، على أن يحملوا معهم عند خروجهم أمتعة معينة ليس من بينها السلاح، وأن يتركوا بقية أمتعتهم للمسلمين.

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿فما أوجفتم..﴾** من الإيجاف بمعنى الإسراع فى السير، يقال: وجَف الفرس يجف وجفا ووجيفا، إذا أسرع فى سيره.

والركاب: اسم جمع للإبل التى تركب فى حال القتال للأعداء.

والمعنى: اعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أعطاه الله - تعالى - لرسوله ﷺ من أموال بنى النضير التى صالحوه عليها لا حق لكم فيها، لأنكم لم تنالوها بقتالكم لهم على الخيل أو الإبل، وإنما تفضل بها - سبحانه - على نبيه ﷺ بلا قتال يذكر، فقد كانت ديار بنى النضير على مسافة ميلين من المدينة، فذهب إليها المسلمون على أرجلهم، وحاصروها حتى تم استسلام بنى النضير لهم.

٤ - قال الألوسى ما ملخصه: «روى أن بنى النضير حين أخرجوا من المدينة وتركوا ما تركوا من أموالهم، طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر، فأنزل الله هذه الآية، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، يقسمها كيف يشاء.

أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله»».

وقال الضّحاك: «كانت أموال بنى النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فآثر بها المهاجرين، وقسمها عليهم، ولم يعط الأنصار منها شيئا، إلا ثلاثة منهم أعطاهم لفقرهم»(١).

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير﴾**: استدراك على النفى فى قوله سبحانه وتعالى: **﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾**.

والمعنى: ليس لكم الحق - أيها المؤمنون - فى أموال بنى النضير التى تركوها بعد جلائهم عن المدينة، لأنكم لم تظفروا بها عن طريق قتال منكم لهم، ولكن الله - تعالى - سلط رسوله ﷺ عليهم وعلى مافى أيديهم، كما كان يسلط رسله على من يشاء من أعدائهم، وهو - سبحانه - على كل شىء قدير، ومادام الأمر كذلك فاتركوا التطلع إلى أموال بنى النضير، لأن التصرف فيها مرجعه إلى رسول الله ﷺ وحده.

٥ - هذا هو المعنى الإجمالى لهذه الآية الكريمة، أما الآية التى تليها وهى قوله سبحانه وتعالى: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾**، فيرى كثير من العلماء أنها واردة على سبيل الاستئناف الابتدائى، وأنها سيقت

لبيان حكم شرعى جديد، يختلف عن الحكم الذى أوردته الآية السابقة على هذه الآية، إذ أن الآية السابقة واردة فى حكم أموال بنى النضير بصفة خاصة، وهذه فى حكم الفىء بعد ذلك بصفة عامة.

وعليه يكون المعنى: لقد بينت لكم - أيها المؤمنون - حكم أموال بنى النضير التى تركوها بعد إجلائهم عن المدينة المنورة، وهى أنها لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء.

أما ما أفاءه الله - تعالى - عليه من أموال أهل القرى الأخرى كقريظة وفدك وغيرهما، فحكم هذا الفئ أنه يقسم إلى خمسة أقسام:

قسم للرسول ﷺ ينفق منه على نفسه وأهل بيته، وما تبقى منه يكون فى مصالح المسلمين، وقسم لأقاربه ﷺ من بنى هاشم وبنى المطلب.

وقسم لليتامى: وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم عنهم قبل أن يبلغوا سن الرشد. وقسم للمساكين: وهم الذين ليس لهم مال يكفيهم لسد ضرورات الحياة.

وقسم لأبناء السبيل: وهم المسافرون المنقطعون عن مالهم فى سفرهم، حتى ولو كانوا أغنياء فى بلدهم.

٦ - وقد رجح الإمام ابن جرير - رحمه الله - هذا الرأى، فقد قال بعد استعراضه للأقوال فى هذه المسألة: «والصواب من القول فى ذلك عندى أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التى قبلها، وذلك أن الآية التى قبلها مال جعله الله - تعالى - لرسوله ﷺ خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيبا..

فإذا كانت هذه الآية التى قبلها مضت، وذكر المال الذى خص الله به رسوله، ولم يجعل لأحد منه شيئا، وكانت هذه الآية خبرا عن المال الذى جعله الله لأصناف شتى، كان معلوما بذلك أن المال الذى جعله لأصناف من خلقه، غير المال الذى جعله للنبى ﷺ»(٢).

وقد اتجه الألوسى عند تفسيره لهذه الآية اتجاه ابن جرير فقال ما ملخصه: «قوله - تعالى - **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى..﴾** بيان لحكم ما أفاءه الله على رسوله من قرى الكفار على العموم، بعد بيان حكم ما أفاءه من بنى النضير.

فالجملة جواب سؤال مقدر ناشىء مما فهم من الكلام السابق، فكأن قائلا يقول: قد علمنا حكم ما أفاءه الله - تعالى - من بنى النضير، فما حكم ما أفاءه الله - عز وجل - من غيرهم؟

فقيل: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين..﴾**، ولذا لم تعطف هذه الآية على التى قبلها، ولم يذكر فيها قيد الإيجاف ولاعدمه..»(٣).

٧ - ومن العلماء من يرى أن هذه الآية، بمنزلة البيان والتفسير للتى قبلها، لأن الآية الأولى لم تبين المستحقين للفئ الذى أفاءه الله على رسوله من أموال بنى النضير، فجاءت الآية الثانية وبينت المستحقين له.

وعلى رأس المفسرين الذين قالوا بهذا الرأى الإمام الزمخشرى، فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: «لم يدخل - سبحانه - العاطف على هذه الآية وهى قوله: **﴿ما أفاء..﴾** لأنها بيان للآية الأولى، فهى منها غير أجنبية عنها، بين الله لرسوله بما أفاءه عليه، وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم، مقسوما على الأقسام الخمسة»(٤).

وقال الإمام ابن كثير: «قوله - تعالى - **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾** أى: جميع البلدان التى تفتح هكذا، حكمها كحكم أموال بنى النضير،

ولهذا قال: ﴿**فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل..**﴾ فهذه مصارف أموال الفئ ووجوهه»(٥).

٨ ـ ومن هذا نرى أن أصحاب الرأى الأول يقولون: إن الآيتين فى حكمين مختلفين، لأن الآية الأولى فى حكم أموال بنى النضير التى تركوها بعد جلائهم عن المدينة، فقد جعلها الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ يضعها حيث يشاء.

وأما الآية الثانية فهى فى حكم أموال القرى الأخرى التى أفاءها الله على رسوله، وأنه ـ سبحانه ـ قد حدد لرسوله ﷺ وجوه صرفها فقال: ﴿**فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾، وأما أصحاب الرأى الثانى، فيرون أن الآية الثانية مفصلة لما أجملته الآية الأولى، وأن كل فئ يقسم بالطريقة التى بينتها الآية الثانية.

ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب، لأن الثابت فى السنة الصحيحة، أن أموال بنى النضير لم يخمسها الرسول ﷺ، بل كانت له خاصة يوزعها كيف يشاء، وقد آثر بها المهاجرين وقسمها عليهم، ولم يعط الأنصار منها شيئا سوى ثلاثة رجال كانت بهم فاقة، وبذلك نرى أن الرسول ﷺ لم يتقيد فى التوزيع لأموال بنى النضير بمن ورد ذكرهم فى الآية الثانية.

ومادام الأمر كذلك فلا حاجة إلى القول بأن الآية الثانية بيان وتفصيل لما جاء مجملا فى الآية الأولى.

٩ ـ وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿**كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾: بيان لحكمة هذا التشريع الذى شرعه ـ سبحانه ـ بالنسبة للأموال التى أتت عن طريق الفيء.

و«الدولة» ـ بضم الدال المشددة ـ: اسم لما يتداوله الناس فيما بينهم من أموال، فيكون فى يد هذا تارة، وفى يد ذاك تارة أخرى.

والمعنى: شرعنا لكم هذه الأحكام المتعلقة بتقسيم الفيء، كى لا يكون المال الناجم عنه متداولا بين أيدى أغنيائكم دون فقرائكم.

والمقصود بهذه الجملة الكريمة: إبطال ما كان شائعا فى الجاهلية، من استئثار قواد الجيوش، ورؤساء القبائل بالكثير من الغنائم دون غيرهم ممن اشترك معهم فى الحروب.

وقد أبطل الإسلام كل ذلك، حيث جعل مصارف الفيء تعود إلى المسلمين جميعا بطريقة عادلة بينها الله ـ تعالى ـ فى هذه الآية وفى غيرها.

١٠ ـ ثم أمر الله ـ تعالى ـ المسلمين أن يمتثلوا أمر رسولهم ﷺ امتثالا تاما فقال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واعلموا أن الله شديد العقاب**﴾.

أى: وما أمركم به الرسول ﷺ ـ أيها المؤمنون ـ من قول أو فعل أو سلوك فنفذوا أمره، وما نهاكم عنه من منهيات فابتعدوا عنها، واعلموا أن الله ـ تعالى ـ شديد العقاب، لمن خالف رسوله ﷺ الذى هو مبلغ عنه ـ عز وجل ـ ما كلفه بتبليغه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾ النساء: آية ٨٠.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا جميعا من عباده الصادقين.

الهوامش

١ ـ تفسير الألوسى جـ٢٨ ص٤٥.

٢ ـ تفسير ابن جرير الطبرى جـ٢٨ ص٣٨.

٣ ـ تفسير الألوسى جـ٢٨ ص٤٥.

٤ ـ تفسير الكشاف جـ٤ ص٨٢.

٥ ـ تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٣٥.

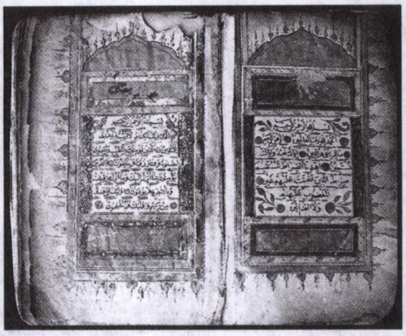

منهج القرآن فى الدعوة إلى الله ومحاورات الخصوم [١]

د. عبدالعظيم المطعنى

بدأ الخطاب بالمنهج القرآنى فى الدعوة إلى الله، ومحاورات الخصوم مع بدء الرسالة الخاتمة، وانتهى بعد الهجرة حين توقف الوحى بانتقال الرسول الخاتم ﷺ، إلى الرفيق الأعلى، وكان لهذا الخطاب بيئتان:

١ - البيئة المكية قبل الهجرة.

٢ - البيئة المدنية بعد الهجرة.

ولا يفصل بين هاتين البيئتين الزمان والمكان فحسب.. بل كان للخطاب القرآنى فى كل منهما خصائص وملامح من حيث الأسلوب وسماته، ومن حيث القضايا والأفكار التى كانت تعالج فى كل منهما.

هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون العام فى ذلك الخطاب فهو يسعى إلى تحقيق غاية واحدة، ويمكن الإشارة إليها بقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما﴾ الإسراء: الآيتان ٩، ١٠.

فالإيمان، وما يتصل به من قول وعمل هو الذى يهدى إليه القرآن.

والكفر وما يتصل به من قول وعمل هو الذى ينهى عنه القرآن، ومنهج القرآن الذى صيغ فيه خطاب الله للناس حول هذين المحورين - إيجابا وسلبا - هو منظومة القيم التعبيرية والشعورية، والقيم «المعانية» التى يراد اثباتها أو نفيها.

وهذا المنهج يقوم على الحوار والإقناع الذى ينبع من داخل أنفس المخاطبين لا ساقطا عليهم من خارجهم قسرا، وهى الهداية التى أشارت إليها الآية التاسعة من سورة الإسراء الآنف ذكرها، ويترتب على هذا الإقناع واحد من أمرين:

أ - الامتثال والطاعة، وهنا يتحق وعد الله عزوجل وهو البشرى بالأجر الكبير.

ب - الإعراض والعناد، وهنا يتحقق وعيد الله عز وجل وهو العذاب الأليم، والمصير السيىء.

هذا المنهج وسيلته الكلمة المعبرة، والتصوير البيانى، الذى يتسرب إلى طوايا النفوس، فيجلى المعنى، ويعمق الفهم، ويمتع الإحساس، ويحيى القلوب، ويقنع العقل، ويخاطب كل ملكات الشعور، ويتخذ من الواقع المعيشى حججه الساطعة وبراهينه القاطعة.

وما تعرض هذا المنهج لإثبات فكرة ينازع فيها وجودها الخصوم إلا وبعث تلك الفكرة واقعا

محسوسا للعيان، وما تعرض لنفى فكرة ينازع فى نفيها الخصوم إلا وقد نفى تلك الفكرة نفيا ساحقا لا يبقى لها حتى فى الأوهام أثرا.

وفى كل هذا ينتج إما الالتزام لدى الباحثين عن الحق وإما الإلزام بإقامة الحجة على مشايعى الباطل، ومعلوم أن الخطاب القرآنى، واجه فى بيئته الأولى (مكة المكرمة) مشكلات وقضايا أثارها خصوم الدعوة من مشركى العرب.

كما واجه فى بيئته الثانية مشكلات وقضايا أثارها أهل الكتاب، ومشكلات كان الطرف المخاطب فيها هم المنافقون.

وقد أدار القرآن الحوار حول كل قضية مثارة بما يناسبها من الأساليب البيانية، والبراهين اليقينية، وتوظيف اللغة ـ مفردات وتراكيب ـ حتى يجلى المعنى المراد سلبا وإيجابا.

ومن كبرى المشكلات والقضايا التى تصدى لها الخطاب القرآنى بمنهجه المفحم فى مكة المكرمة قبل الهجرة ما يأتى:

- قضية وجود الله.
- قضية الشرك وعبادة الأصنام.
- قضية إنكار البعث أو الحياة الآخرة.
- دعوى أن القرآن ليس وحيا من عند الله.

وبعض هذه القضايا ظل القرآن يتصدى له بقوة حتى بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وقد اعتبرناها من المشكلات التى واجهها القرآن بمكة قبل الهجرة لأنها بدأت ـ وبشكل حاد متكرر ـ منذ وقت مبكر من بدء الرسالة الخاتمة.

وفى التعرف على منهج القرآن فى المواجهة بينه وبين خصومه حول هذه المشكلات نسير على الترتيب المذكور، ونبدأ بالقضية الأولى، وهى:

قضية وجود الله:

من له صلة بمنهج القرآن فى مواجهة خصوم الدعوة والموضوعات التى أثيرت فى هذا المجال يجد أن القرآن لم يحفل كثيرا بقضية وجود الله مع أن هذه القضية هى أس كل العقائد الدينية والسبب الذى يبدو لنا أن ندرة التصدى فى القرآن لهذه الشعبة الإيمانية العظمى يمكن تصوره فى أمرين:

الأول: أن مشركى العرب لم يكونوا منكرين لوجود الله، ولم يكن كفرهم كفر إلحاد وجحود، بل كان كفر إشراك غير الله من أصنامهم وأوثانهم مع الله عزوجل، وكفر تكذيب ببعض ما جاء به الرسول الخاتم ﷺ من عقائد وعبادات وتشريعات.

فهذا هو القرآن نفسه يحكى عنهم ما يجزم بأنهم كانوا مقرّين بوجود الله عزوجل.

ففى سورة يونس، الآية ١٨ يقول القرآن عنهم:

﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾.

فهم ـ إذن ـ يؤمنون بالله، ومع إيمانهم به يشركون معه أصنامهم فى العبادة، ويبررون هذا الإشراك بأن أصنامهم هى شفعاؤهم عند الله عزوجل!

لذلك كان رد الله عليهم إنكار هذه الدعوى، التى يثبتون فيها الشفاعة لأصنامهم.

﴿.. قل أتنبئون الله بمالا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون؟﴾، والاستفهام فى **«أتنبئون»** إنكارى، فالله غنى عن أن يخبره غيره خبرا ما.

ثم سلك فى إبطال دعواهم مسلك الكتابة اللطيفة فى **«بما لا يعلم»** فنفى العلم عن الله هنا معناه نفى وجود الشفاعة المدعاة لأصنامهم، إذ لو كان لهذه الشفاعة وجود لعلمها الله موجودة وعدم علم الله بها أقطع دليل على نفيها، فهى أوهام تخيلوها، ونفى هذه الدعوى جاء من طريقين إقناعيين:

- الاستفهام الإنكارى.
- عدم تعلق علم الله بها موجودة، وهو المعنى الكنائى الذى تقترن فيه الدعوى بالدليل والدعوى هنا فى الرد عليهم هو نفى أن يكون للأصنام شفاعة عند الله.

والدليل المقرون بها هو: عدم علم الله بها موجودة وهذه الدعوى التى ادعاها المشركون كرر القرآن حكايتها عندهم فى غير هذا الموضع (يونس) فقد حكى عنهم مرة أخرى فى سورة الزمر (٣) قولهم: **﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**.

وهذا التقريب الذى ادعوه هو الشفاعة التى أفصحوا عنها فى آية يونس.

وجاء الرد فى الآية نفسها: **﴿إن الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار﴾**.

وفى هذا الرد ليونة ورقّة ولطافة، حيث لم يصفهم الله بالكذب والمبالغة فى الكفر وصفا مباشرا بل أخرج الكلام مُخْرَجَ العموم **﴿من هو كاذب كفار﴾**، وفى هذا ترغيب لهم فى الإقلاع عن الضلال الذى فيه، حيث عدل القرآن عن الوصف بالتكذيب والكفر، وهما متحققان فيهم، حتى لكأن الكذاب ـ الكفار ـ قوم غيرهم لا هم.

وهذا الأسلوب ضرب من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإعانة لهم على أنفسهم ليتحرروا من ضلالهم.

● وفى سورة العنكبوت أثبت لهم القرآن إيمانا بالله، وأنه الذى خلق الكون وما فيه من آيات بينات: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ العنكبوت: آية ٦١**، وكذلك فى سورة الزخرف آية ٩: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾**.

وفى العنكبوت ـ مرة أخرى ـ يثبت لهم القرآن إيمانا بالله موجودا، وإيمانا ببعض آثار قدرته فى الكون. **﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله﴾** العنكبوت: آية ٦٣.

وفى الزخرف ـ مرة ثانية ـ يثبت لهم القرآن إيمانا بأن الله هو الذى خلق الناس، ففى الآية ٨٧ يقول الله عزوجل: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**..

فهذه الآيات ـ جميعها ـ تثبت لمشركى العرب الإيمان بالحقائق الآتية:

ـ بوجود موجودا مطلقا.

ـ بخلق الله السموات والأرض.

ـ بتسخير الله الشمس والقمر.

ـ بإنزال الله من السماء ماء.

ـ بإحياء الله الأرض بعد موتها.

ـ بخلق الله الناس.

وهذه الصفات لا تقوم بغير موصوف، والموصوف هو الله.

وعلى هذا يكون المشركون مؤمنين بالله عن طريقين:

ـ الإيمان بوجود الله ذاتا.

ـ الإيمان بالصفات الإلهية القائمة بذات الله.

وقوم هذا شأنهم ليسوا فى حاجة إلى تحقيق المبدأ العام فى الإيمان بالله، لذلك لم يحفل القرآن كثيرا بسوق الأدلة على وجود الله؛ لأن القوم كانوا مؤمنين به، بوجه عام، ولكنه إيمان قد شيب بكثير من «النواقض» وهى التى صال وجال حولها القرآن.

الأمر الثانى الذى كان وراء قلة حديث القرآن عن أدلة الإيمان بوجود الله.

هذا الأمر ـ كما يبدو لنا ـ إشارة لطيفة من القرآن إلى أن إنكار وجود الله لا ينبغى، أن يكون له وجود فى الفكر الإنسانى كله، لأن وجوده عزوجل من الحقائق الراسخة، التى لا ينكرها العقل كما لا تنكر العين الشمس فى رائعة النهار، وحتى لو وجدت هذه الشبهة فى بعض الأذهان فهى لا تستحق أن يتصدى لها القرآن، ازدراء بها، وتنبيها على حقارتها، ويكون فى الإعراض عن التصدى لها ـ وأدلهَا فى مهدها ـ إن كان لمثل هذه الأوهام مهد.

فالكون كله علويه وسفليه، وما بين العلوى والسفلى أدلة فطرية ناطقة بوجود الله وكماله وجلاله وجماله.

ومن لم يهتد لهذه الدلالات الفطرية الظاهرة ظهور الشمس الساطعة فى الآفاق فهو مريض، والأمر كما قال الشاعر:

وليس يصح فى الأذهان شىء

إذا احتاج النهار إلى دليل

والعقل المريض محروم من التمييز بين الحق والباطل كالعين الرمداء تعشى عن رؤية الأشياء، والفم المريض لا يفرق بين المذوقات حلوها ومرها.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وحين تعرض القرآن لهذه الشبهة ـ مع ندرة هذا التعرض ـ كان لا يطيل الوقوف أمامها، بل هو ينسفها فى كلمات شديدة الإيجاز ثم لا يعود إليها بعد ذلك.

ولنسق على هذا أنموذجين اثنين:

● **النموذج الأول** من سورة إبراهيم عليه السلام الآية ١٠:

﴿قالت رسلهم: أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾.

تأمل هذا الكلام، تجد القرآن قد صور شبهة الشك فى وجود الله فى ست كلمات، ثلاث منها فى تصوير الشبهة: **﴿أفى الله شك﴾؟!**

وثلاث فى الرد على هذه الشبهة:

﴿فاطر السموات والأرض﴾.

والفطر: هو الخلق والتكوين. وهذا الفطر هو دليل وجود الله، لأنه لو لم يكن موجودا لترتب على هذا انعدام السموات والأرض.

على أن القرآن كان قد نسف هذه الشبهة قبل الرد عليها، حين صدّرها بهذا الاستفهام الإنكارى «أفى الله شك» فصارت الشبهة منسوفة مرتين:

ـ الأولى: بالاستفهام الشديد الإنكار.

ـ الثانية: بالإشارة إلى خلق السموات والأرض.

هكذا نسف القرآن هذه الشبهة، وهى مجرد وهم، وأفحم الخصوم من أقصر طريق، وتركهم غير صادقين مع أنفسهم، فإن آمنوا بالحق فقد نجوا.

وإن عاندوا فقد قامت عليهم الحجة، وكل نفس بما كسبت رهينة.

● **النموذج الثانى**

﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون﴾

الطور:آية ٣٥.

ثمانى كلمات تضمنت استفهامين إنكاريين فى كل منهما برهان عقلى قاهر، والبرهانان طوقا الخصم من كل جهة.

وقد اتخذت مواجهة الخطاب القرآنى لبطلان هذه الشبهة قطبا لدائرة الاستدلال، ذلك القطب هو كون المنكرين لوجود أحياء يتحركون على الأرض فهم موجودون إذن.

والمنهج القرآنى يسألهم سؤالا من شطرين:

أ ـ هل كان وجودهم مخلوقين من غير خالق خلقهم؟

ب ـ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؟!

وأية إجابة يختارونها من الإجابتين اللتين ذكرهما القرآن تقضى عليهم ببطلان دعواهم إنكار وجود الله.

فالعقل لا يقرهم أن يقولوا: خلقنا من غير شىء، لأن الخلق فعل، وكل فعل لابد له من فاعل سابق عليه فى الوجود، وهذه قاعدة عقلية تزول الجبال ولا تزول.

وإن قالوا: **﴿خلقنا أنفسنا﴾** كان العقل أسرع من لمح البصر إبطالا لهذه الدعوى؛ لأن العقل يمنع على وجه الاستحالة أن يكون المعدوم له تأثير فى إيجاد نفسه وهو معدوم.

وهكذا دحر القرآن هذه الفرية، وخنق أنفاس القائلين: ولا مخرج لهم من هذا «المأزق» إلا قبول الحق والإذعان له، وإلا عاشوا ثم ماتوا وهم كاذبون مع أنفسهم، خادعون لها، وهذا من أتعس حظ الإنسان فى الدنيا.

هكذا نسف القرآن هذه الشبهة فى أساليب حكيمة مفحمة، ولم يترك للخصوم شبهة تصلح للاستمساك بها على باطل يؤمنون به، أو حق هم له منكرون.

نقد علمى لمقال دينى

د. محمد رجب البيومى

يذكر القس الفاضل الدكتور لبيب ميخائيل أنه قرأ القرآن الكريم قراءة دقيقة لمدة أكثر من عشر سنوات فوجده يحرض المسلمين فى كثير من آياته على أن يقاتلوا اليهود والمسيحيين والمشركين.. ثم سرد آيات كثيرة من سور مختلفة تدل - فى رأيه - على هذا التحريض.

والرجل - كما يلوح فى الاستشهادات التى ذكرها - لم يخرج من السنوات العشر التى قضاها فى دراسة القرآن - كما قال - بآراء صحيحة، لأنه لم يرجع إلى أسباب النزول وأقوال المفسرين، فوقع فى الخطأ وأنا لا أدرى كيف مرت عليه هذه السنوات العشر وهو يدرس ويجتهد دون أن يكلف نفسه الرجوع إلى المصادر التى تضىء أمامه! إن المسلم لا يستطيع فهم القرآن دون أن يرجع إلى كتب التفسير وكتب أسباب النزول، وهو الذى نشأ فى بيئة تردد القرآن صباح مساء! فكيف يكتفى القس الفاضل بظاهر النص المجرد دون أن يعرف شيئا عن أسبابه ودواعيه؟ ودون أن يلم بالضوابط التشريعية التى استنبطت من النص الكريم؟ ثم يتصدر للحكم الجرىء.

سورة الأنفال نزلت فى غزوة بدر وتحريض المؤمنين على القتال كان للمشركين وليس لليهود والنصارى

الجهاد فى سبيل الله ردع للمعتدى وضرورة لاستمرار الحياة

وكى لا يتشعب الكلام دون جدوى سأحصر النقاش فى نقاط محددة تنتهى إلى عكس ما أراده القس الفاضل مستعينا بما لم يستعن به من كتب التفسير والسيرة النبوية، دون ميل إلى التعمية أو التهويل، لأن الحق المجرد هو وجهة هذا الرد الهادف ولا اعتبار لسواه.

إن الهدف الذى يبتغيه القس الفاضل من سرد الآيات هو إثبات أن فى آيات القرآن ما يدعو إلى قتل المسيحيين بمصر، وأن هذه الآيات هى التى دفعت إلى مظاهر الإرهاب فى الصعيد، فلننظر أكان ذلك صحيحا أم هو غير صحيح؟

ـ ١ ـ

المعركة ضد المشركين:

١ ـ لقد استشهد القس بخمس آيات كريمة من سورة الأنفال، وكلنا يعلم أن سورة الأنفال نزلت فى غزوة بدر، وهى بين المسلمين والمشركين، وليس للنصارى واليهود علاقة ما بها، وإذن فالنصوص التى استشهد بها مثل قوله تعالى:

أ ـ **﴿ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون﴾** الأنفال: آية ٦٥.

ب ـ **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾** الأنفال: آية ٣٩.

جـ ـ **﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾** الأنفال: آية ١٢.

د ـ **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾** الأنفال: آية ١٥.

هـ ـ **﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾** الأنفال: آية ٧٤.

هذه النصوص خاصة بقتال المشركين،، وليس فى مصر اليوم مشرك والحمد لله، وغزوة بدر كانت حربا دفاعية، إذ قدم المشركون إلى المدينة لاستئصال المسلمين، فوجب عليهم أن يتهيئوا للقائهم، فنزلت الآيات الكريمة تشد عضد المسلمين ضد المشركين! وبذلك يكون استشهاد القس بهذه الآيات على أنها دعوة لقتال المسيحيين خطأ صريح لا أدرى كيف وقع فيه!

وتلحق بغزوة بدر غزوة أحد وكانت بين المسلمين والمشركين، وقد خف المشركون إلى المدينة غازين، فوجب على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم، وقد استشهد الدكتور بقول الله فى سورة آل عمران: **﴿ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ◆ ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾** آل عمران: الآيتان ١٥٧، ١٥٨، فأين التحريض على المسيحيين واليهود، والسورة جميعها خاصة بالمشركين، والمعركة معركتهما (المسلمون والمشركون).

فإذا تركنا ما استشهد به من السورتين الكريمتين (الأنفال وآل عمران) فإننا نجد سورة التوبة أكثر السور الكريمة استشهادا بما نقل من آياتها، وسنتبع كل استشهاد بما يؤدى معناه الصحيح.

الاكتفاء بقراءة النص القرآنى المجرد دون الرجوع إلى أسباب النزول وكتب التفسير يؤدى إلى الخطأ فى فهم المعانى

سبل الانتصار فى القتال المشروع:

بدأ القس مستشهدا بقول الله تعالى:

١ ـ **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾** التوبة: آية ٥.

٢ ـ ثم استشهد بقول الله عز وجل فى سورة التوبة: **﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾** التوبة: آية ١٣.

وقد قال الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت(١): يزعمون أن الدين الإسلامى يأمر بقتال الكفار عامة، حصل اعتداء منهم أم لم يحصل، والواقع أن الآية ليست واردة فى بيان سبب القتال، وإنما جاءت إرشادا لخطة حربية يجب أن يترسمها المسلمون عند نشوب القتال المشروع، فهى ترشدهم إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء، بقتال الأقرب، فالأقرب عملا على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين، وتسهيلا لسبل الانتصار، وهذا المبدأ الذى قرره القرآن من المبادئ التى تعمل بها الدول المتحاربة فى العصر الحديث، فلا تخطو دولة محاربة إلى دولة أو قوة بينها وبينهم دول عملا على الاطمئنان إلى زوال العقبات من الطريق. أما الآيات الأخرى فهى:

٣ ـ قال تعالى: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾** التوبة: الآيتان ١٢، ١٣.

الحديث: الآيات الكريمة عن المشركين ابتداء من قول الله عز وجل **«كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله»** والمشركون هم الذين نكثوا أيمانهم فى عهد الحديبية وهموا بإخراج الرسول من مكة قبيل الهجرة ومن المدينة حين جمعوا القبائل فى غزوة الخندق لاستئصال المسلمين، وهم الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة وإذن فقتالهم مشروع لأنهم نكثوا العهد، وقد قال الله عنهم: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين﴾** التوبة: آية ١١، فالنص لا صلة له إطلاقا بالمسيحيين، فإذا كان الاستشهاد لوجود الأمر بالقتال فقتال المعتدى أمر مشروع، بل هو ضرورى لسير الحياة.

حقيقة الجهاد فى سبيل الله:

٤ ـ **﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾** التوبة: الآيتان ٢٠، ٢١.

---

١ ـ تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص٥٤١.

إن بعض الذين قاموا على رعاية البيت الحرام وسقاية الحاج أخذوا يقولون إنهم مجاهدون كمن اشترك مع الرسول فى الجهاد وآمن به، فرد الله عليهم بقوله: **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾** التوبة: آية ١٩، ٢٠، فالمفاضلة فى النص الكريم بين فريقين ليس بينهما المسيحيون! فهل تكون الآية داعية لقتال المسيحيين؟!

٥ - **﴿يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾** التوبة: آية ٧٣، وبعدها مباشرة جاء قول الله تعالى: **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾** التوبة: آية ٧٤ ، فالحديث هنا عن المنافقين الذين كفروا بعد إيمان وعن الذين يجرحون المسلمين بالقول الكاذب فإذا حوسبوا على ذلك قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، وعن الذين كانوا يستهزئون بآيات الله ورسوله ويصدون الناس عن مصادقة الرسول فى تبوك!! أليس من الضرورى أمام هذه الفئة العارمة من هؤلاء أن ينزل القرآن بجهادهم وقتالهم؟، وقد بسط لهم حبل الأمل فقال **﴿وإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾** التوبة: آية ٧٤، فهل لهذا النص القرآنى صلة بالمسيحيين؟!

٦ - **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** التوبة: آية ١١١.

نعلم أن هذه الآيات وكثيرا من آيات التوبة نزلت فى غزوة تبوك، وكان الرومان قد اعتدوا على من أسلموا من العرب والشام وجاءت الأنباء بأنهم سيتوجهون لغزو المدينة، فرأى الرسول ﷺ أن يأخذ زمام المبادرة، فاستعد لقتالهم فى وقت حر شديد وجدب أليم، حيث لم تينع الثمار، وأخذ المنافقون يخوفون المسلمين من حرب (بنى الأصفر) وهم الرومان، ويقولون إن ذهبتم لقتالهم فلن تعودوا **﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا﴾** فنزلت آيات الكتاب مشجعة للمسلمين على القتال دفاعا عن بيضة الإسلام فقال الله عزوجل **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون﴾** التوبة: آية ١١١، فالنص الكريم لا يدعو إلى عدوان ولكن يشجع على رده، والجزاء الجنة!

هذا ما استشهد به القس الفاضل من آيات سورة التوبة، وقد جانب وجه الحق فيها، وقريب منها ما استشهد به من سورة الفتح فى قول الله عز وجل: **﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾** الفتح: آية ١٦، فقد نزلت بعد غزوة تبوك حين جاء المخلفون من الأعراب يقولون **﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم﴾** وقد ظنوا المسألة مسألة غنائم ومكاسب، فرد الله عليهم بقوله **﴿ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾** الفتح: آية ١٦، وللقتال فى الإسلام حدوده

المشروعة، وموجباته الضرورية، والنص بعيد بعيد عما يردده الكاتب الفاضل.

-٢-

وبعد هذا نأتى إلى الآيات التى تحث على القتال، واختارها القس الفاضل دليلا على إرهاب المسيحيين وقتالهم، وهاهى ذى:

١ - **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٢١٦.

٢ - **﴿وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾** البقرة: آية ٢٤٤.

٣ - **﴿فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾** النساء: آية ٧٤.

٤ - **﴿الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾** النساء: آية ٧٦.

٥ - **﴿فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾** النساء: آية ٨٤.

٦ - **﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾** النساء: آية ٩٥.

٧ - **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصرص﴾** الصف: آية ٤.

هذه النصوص السبعة التى اختارها الباحث الفاضل لا تدل على قتال المسيحيين فى مصر واستئصالهم كما يزعم.

ونحن لا ننكر مشروعية القتال فى الإسلام، ولكن ننكر أن الآيات قد جاءت لجواز قتال المسيحيين فى مصر، لسبب واضح هو أن الإسلام لم يدخل مصر حين نزل القرآن، إذ كان الفتح الإسلامى لمصر فى عهد عمر بن الخطاب، وإذن فالآيات تدور حول القتال بوجه عام.

والقتال المشروع فى الإسلام هو الحرب الدفاعية سواء كانت دفاعا عن النفس، أو إغاثة شعب مسلم ضعيف لا يستطيع الدفاع عن نفسه! وقد جاءت الآيات السابقة دائرة فى هذا النطاق، ولا أدرى لماذا لم يذكر القس الفاضل قول الله فى سورة البقرة **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** البقرة: آية ١٩٠، وقوله: **﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾**، لقد استشهد بنصوص من سورة البقرة، فلم لم يتأمل هذين النصين، وقد درس القرآن فى مدى عشر سنوات؟! ثم استشهد بآيات من سورة النساء لا تؤيد دعواه كما بينا من قبل، فلم لم يستشهد بقول الله فى هذه السورة: **﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾** النساء: آية ٩٠، ولماذا لم يستشهد بقول الله فى هذه السورة نفسها **﴿ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾**؟ النساء آية، ٧٥ أليس القتال فى هذه الآية مشروعا لأنه حماية للضعيف ودفاع عن النفس؟!

ولماذا لم يستشهد بقول الله: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾** الحج: الآيتان ٣٩، ٤٠.

على أن التسامح الإسلامى بلغ أقصاه فى نصوص القرآن بما لا يوجد فى شريعة أخرى، وقد درس القس الفاضل كتاب الله فلم يقف عند قوله:

١ - **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ❁ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾** الممتحنة: الآيتان ٨، ٩.

لقد كتب الفقهاء عن مشروعية القتال فى الإسلام، فى حدود الدفاع عن العقيدة، ونصرة الجانب المظلوم مافيه الإقناع كل الإقناع لمن يدرس القرآن درسا محايدا، لا لمن يأخذ نصا فيبتره عن سياقه أو يتجاهل نصا آخر ينقض كل ما يريد.

ولا أترك حديث القتال فى الإسلام دون أن أشير إلى استشهاد القس الفاضل بقول الله **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾** المائدة: الآيتان ٣٣، ٣٤.

فقد رأى القس الفاضل فى الآية دليلا على إباحة تقتيل الأقباط مع أن النص الكريم لا يخص أهل ملة بعينها، بل هو تشريع للمسلمين يعاقب به الفسقة فيهم ممن يسعون فى الأرض بالفساد، وقد عرف باسم (الحرابة) فى الفقه الإسلامى! وليت الباحث يتذبر فى النص من جديد ليعرف أن الإسلام يحتقر العصاة وأصحاب الفساد ممن يعيثون فى الأرض تخريبا وتنكيلا سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وإنى لأتساءل: إذا كان هذا الفهم الغريب قد هجس فى خاطر الكاتب على وضوح النص الشريف وسطوع مرماه! أفيجوز له أن يدعى أنه وقف على معانى القرآن بدراسة عمرها عشر سنوات؟!

ثم ماذا يقول القس لبيب ميخائيل: إن الأتراك المسلمين فى سنة ١٩١٥م خلال الحكم العثمانى قتلوا مليون مسيحى أرمنى كانوا يعيشون فى تركيا بمدينة (ناردين)، فى ليلة واحدة! ومحال أن يقتل مليون فى ليلة واحدة، وهب أن ذلك قد وقع فهو مخالفة صريحة للإسلام، ولا يحسب عليه، والذين قاموا بذلك هم جماعة «حزب الاتحاد والترقى العلمانيون» لأن الخليفة كان صورة شكلية فقط ليس بيده من الأمر شىء، وإذن فكلمة الحكم العثمانى مضللة! إنما هو الحكم العلمانى الذى حارب الإسلام فى عهد الخلافة الأخير وبعد سقوطها!

وفى تاريخ المسيحية ما هو أبشع من ذلك، مع أن المسيح قد نهى عن القتال، فالحروب الصليبية التى فتكت بآلاف الآلاف من المسلمين فى سبع حملات جبارة توالت على الشرق الإسلامى بالحديد والنار والصواعق، كان البابا هو الذى بعثها! فهل يؤخذ بذلك المسيح؟!

يقول السير توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادية إلى كلمة الله، حتى

كان الملك أولاف ترايجفسون ينشر الدين المسيحى بالقسم الجنوبى من النرويج بذبح الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو بقطع أيديهم وأرجلهم أو نفيهم من الأرض.

وفى وصية القديس لويس: عندما يسمع الرجل العامى أن المسيحية قد أسىء إليها فإنه لا ينبغى أن يذود عنها إلا بسيفه، يجب أن يطعن الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء، وهذا قول أرنولد المسيحى!! وأنا أقول: إن المسيحية فى صميم تعاليم المسيح لا تتحمل هذا الوزر، وكذلك الإسلام لا يتحمل أوزار مخالفيه، فهل آن لنا أن نزن الحقائق التاريخية بميزان دقيق؟!

ـ ٣ ـ

ثم أترك آيات القتال بعد أن وضح الحق فى تفسيرها، إلى آيات أخرى رأى القس الفاضل أنها تؤيده فى منحاه، وإن جاء ذكر القتال فيها عرضا!

لقد بدأ فذكر آية الجزية **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** التوبة: آية ٢٩، وإقحام حديث الجزية، يدل على أن الباحث لم يقرأ ما كتبه الفقهاء عنها، ولا أطيل فى سرد ما قيل، ولكننى أكتفى بما ذكرته من قبل فى تقرير آخر إذ تعرض بعضهم لمثل ما تعرض له الباحث فقلت دافعا قوله: إن الجزية ليست ضريبة مفروضة ولكنها بدل عن الدفاع الحربى الذى يقوم به المسلمون عن البلاد، فإذا قاموا بالدفاع مع المسلمين فلا جزية.

يقول السيد محمد رشيد رضا فى كتاب «الوحى المحمدى» ط٣ ص٢٧٨، وهو خلاصة لما نشر بالمنار عن تفسير الآية الكريمة فى سورة التوبة: «إن الجزية فى الإسلام لم تكن كالضرائب التى يضعها الفاتحون على من يتغلبون عليهم فضلا عن المغارم التى يرهقونهم بها، وإنما هى جزء قليل على ما تلتزمه الحكومة الإسلامية من الدفاع عن أهل الذمة، وإغاثة للجند الذى يمنعهم أى يحميهم ممن يعتدى عليهم، كما يعلم من سيرة أصحابه ﷺ، وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة، وأعدلهم فى تنفيذها».

ثم استشهد السيد محمد رشيد بمثالين من تاريخ الصحابة، استشهد بهما موجزين، فرأيت أن أرجع إلى مصدره التاريخى لأستوعب ما قيل.

١ ـ جاء فى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف، أن أبا عبيدة بن الجراح، كان قد جمع من أهل الذمة أموالا للدفاع عن مدنهم، ثم علم من أهل الذمة أنفسهم أن الروم قد جمعوا لحربه جيوشا لا طاقة للمسلمين بدفعها، فأمر أبو عبيدة بأن يرد إلى كل مدينة ما أخذ منها من جزية، وقال: إننا رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وأنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط أن ينصرنا الله عليهم».

٢ ـ جاء فى فتوح البلدان للبلاذرى أن أبا عبيدة صالح أهل السامرة بالأردن وفلسطين دون أن يأخذ الجزية لأنهم كانوا عيونا للمسلمين على أعدائهم، وبذلك ساهموا فى الحرب.

ويقول الأستاذ المستشار على منصور فى كتاب الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام ص٢٦١ تعليقا على ذلك، وأصل هذا سنة عمر بن الخطاب حين قرر أن من استعين به من غير الملة، لا يدفع جزية، وروى ذلك الطبرى فى حوادث سنة

٢٢هـ عن حادث ملك (شهر بزار) الذى قال لأمير المسلمين: أنا اليوم منكم، ويدى مع أيديكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم هى النصر والعون والقيام بما تحبون فقبل منه ذلك.

٣ - جاء فى فتوح البلدان، أن حبيب بن مسلمة الفهرى، غزا الجرجوقة فصالحه أهلها على أن يكونوا للمسلمين عيونا ومسالح، وإذا دعوا إلى الحروب مع المسلمين أجابوا، على أن يتقلدوا أسلاب من يقتلونه من أعداء الإسلام.

٤ - نقل السيد محمد رشيد رضا (الوحى المحمدى ط٣ ص٢٧٩) عن خالد بن الوليد أنه كتب لصلوبا بن فسطونا «إنى عاهدتك على الجزية والمنعة، وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا»..

وفى كتاب السير توماس أرنولد: «الدعوة إلى الإسلام»، تحت عنوان (الغرض من فرض الجزية)، بسط شاف لهذه المعانى، واستشهاد واف بأحداث التاريخ فى القديم، ومن أحسن ما قاله.. إن الفلاحين من المصريين كانوا رغم إسلامهم يعفون من أداء الخدمة العسكرية مقابل جزية فرضوها على أنفسهم».

ولعلى بعد ذلك أكون قد وضعت مفهوم الجزية فى نصابه الصحيح، وصححت ما فهم عنه خطأ، فليتأمله القس الفاضل.

- ٤ -

ننتقل إلى الحديث عن التوراة واختيار القس الفاضل لآيات من الكتاب، فهم منها ما شاء وتركه آيات أخرى لم يشأ أن يذكرها لأنها لا تساير وجهته، وذوو البحث العلمى يرفضون هذا الاتجاه، فعلى الباحث فى موضوع أن يذكر كل ما قيل فيه، فإذا اقتنع بوجهة نظر خاصة، ورأى ما يعارضها من النصوص، حاول الرد على ما يخالف، وبسط للقارئ وجه الحقيقة كاملا دون نقص، وقبل أن أذكر الآيات التى اختارها الباحث، مع ما تركه من الآيات الأخرى، أشير إلى خلاصة ما قرره القرآن بشأن التوراة، وقد جاء فى قوله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾** المائدة: آية ٤٨.

فهذا النص الصريح يدل على أن القرآن مهيمن على ما جاء بالتوراة والإنجيل، فما اتفق فيهما مع القرآن فهو هدى ونور، وما خالف فيهما فهو الحق الذى أنزله الله، إذ من أصحاب التوراة من حرفوا الكلم عن مواضعه، ومن نسوا حظا مما ذكروا به فجاء القرآن ليسيطر على ما أنزل من قبل، فقوله فى القرآن هو الفيصل.

هذا ما نقرره مبدئيا بشأن ما نعرضه من الآيات التى استشهد بها القس الفاضل، وهاهى ذى:

١ - **﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ◆ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** المائدة: الآيتان ٤٣، ٤٤.

تتحدث الآية عن قوم من اليهود، جاءوا للرسول يرضون حكمه فى حالة «زنا» وقرروا أن التوراة ترى أن الزانى يفضح ويجلد، وظنوا موافقة

الرسول على اتجاههم، فطلب الرسول من عبدالله ابن سلام أن يقرأ التوراة فإذا الحد الرجم، وإذا القوم كاذبون! فنزل قول الله **﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾**، وهذا الحكم لم يبدل ولم يلحقه التحريف، وكل ما كان ذلك من التوراة فهو هدى ونور، ومالم يكن فهو ضلال وظلام!

٢ ـ **﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾** المائدة: آية ٤٦.

نعم! الإنجيل فيه هدى ونور ومصدق لما بين يديه من التوراة، ولكن أى إنجيل؟ أهو الذى نقرؤه اليوم؟ إننا نقرأ للباحثين قولهم «إن الإنجيل لم يكتب منه شىء أيام المسيح»، فقد قام تلاميذه وتلاميذ تلاميذه بكتابة ما روى عنه، وكلها مقطوعة السند، وأنا لا أريد أن أمس مشاعر الباحث الفاضل فأنا حريص على الود الذى يجب أن يكون مشتركا، ولكننى أعلن وجهة الإسلام فى الهيمنة على ما جاء فى التوراة والإنجيل، وقد استشهد بما لم يدرك مرماه، فوجب التنبيه.

٣ ـ **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾** المائدة: آية ٦٦.

نحن نتمنى أن نتبع الفضائل الإنسانية التى جاءت فى التوراة والإنجيل، ولا خلاف فى هذه الفضائل المعترف بها بين المسيحية واليهودية والإسلام! ومن أسمى هذه الفضائل المحبة والتسامح والإخاء.

٤ ـ **﴿نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس﴾**.

كما لا نمارى فى أن الله عز وجل قد أنزل التوراة والإنجيل هدى للناس، كما أنزل القرآن مصدقا لهما، وكل مسلم يؤمن بذلك!

ونأتى بعد ذلك إلى آيات عن التوراة لم يقف عندها القس الفاضل، وكان عليه أن يتتبع كل ما فى الكتاب، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا..

١ ـ قال الله تعالى فى سورة النساء **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾** النساء: الآيتان ٤٤، ٤٥.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده نقلا عن المنار قوله «أوتوا نصيبا من الكتاب، لأنهم لم يأخذوا الكتاب كله بل تركوا كثيرا من أحكامه، لم يعملوا بها، وزادوا عليها والزيادة فيه كالنقص عنه، فالتوراة تنهاهم عن الكذب وإيذاء الناس وأكل الربا، وكانوا يفعلون ذلك»».

وقال السيد محمد رشيد رضا تعقيبا على هذا التفسير: ولما انتهى الإمام من الدرس قلت له: أليس التعبير بالنصيب إشارة أو نصا على أنهم لم يحفظوا الكتاب كله، بل فقدوا حظا ونصيبا آخر منه؟ فقال: بلى..

٢ ـ قال تعالى فى سورة المائدة: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾** المائدة: آية ١٥.

قال صاحب المنار: أثبت الله تعالى فى هذه الآية أن اليهود يحرفون كلم كتابهم عن مواضعه وأنهم نسوا حظا مما ذكروا به، ثم قال: «وذلك بفقدهم الكتاب وعدم حفظهم له كله فى الصدور، ثم إن الذى أوتوه منه، وبقى لهم ما كانوا يعملون به كما ينبغى بل كانوا يحرفونه عن مواضعه باللّىِّ والتأويل».

٣ ـ قال تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾** الأنعام: آية ٩١.

فالآية تدل على أن الأحبار منهم من كان يكتب الآيات فى قراطيس، ليخرج منها ما يدل على ميله الخاص، فإن كان النص معارضا لاتجاهه أخفاه! هذا فيما لديهم من التوراة، وما غاب عنهم أكثر، وقوله تعالى بعد ذلك **﴿وعُلِّمْتُمْ مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** أى عرفتم من القرآن ما ليس لديكم وذلك تصديق لقول الله: **﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾** النمل: آية ٧٦، لأنه هو المهيمن المسيطر فهذه آيات كان من المتوقع أن يقف عندها القس الفاضل طويلا، ليعلم أن القرآن هو الكتاب الخاتم، وأن ما جاء به يجب كل ما خالفه من أقوال حرفت عن موضعها الصحيح، ولم استقص ما ذكر من الآيات الكريمة، لأن المضمون واحد، والإجابة عن بعض تغنى عن بعض منعا للتكرار..

ولست أرى داعيا للرد على ما ذكره القس حين استشهد بالآيتين الكريمتين: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾**، **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾**، لأن هاتين الآيتين من صميم العقيدة الإسلامية، وهى لا تتفق فى مسألة التوحيد مع المسيحية، وكل يؤمن بما يعتقد وليس فى النصين ما يدعو المسلمين إلى قتال المسيحيين، وهو الهدف الذى تمناه القس من تسطير بيانه، ولعله ظن أن قول الله **«قاتلهم الله»**، يدعو إلى القتال، وعبارة **«قاتلك الله»** فى العربية تقال فى مجال التعجب وهى نمط من الأساليب (البيانية) بل إنها تقال فى المدح أحيانا، حين يتعجب الإنسان من فعل خارق فيقول لصاحبه **(قاتلك الله)** مثلما يقول لصاحبه (لا أبا لك!) فى مجال الثناء فهل كان القائل يدعو على أبيه أو عليه!!

ـ ٥ ـ

وفى الختام نقف عند الآية التى فهمها القس بطريقته الخاصة، لتدل على أن معناها الصحيح، ولا أترك هذا الرد دون أن أنقل قول القس الفاضل معقبا عليه.

يقول: (عندما تعرض النبى محمد ﷺ للشك فيما أنزل عليه من القرآن) يقول القرآن: **﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾**، فهذه الآيات جعلت الكتاب المقدس (كتاب المسيحيين والذين يقرأونه المرجع الأعلى لمحمد عندما داخله الشك فيما أنزل إليه).

هنا تناسى الباحث كل ما جاء فى القرآن عن تحريف التوراة للكلم عن مواضعه، وعن إخفاء بعض آياته وإظهار الآيات الأخرى، مما أشرنا إليه من قبل، واعتصم بآية لم يفهم معناها على الوجه الصحيح، لأن دراسة البيان العربى لم تكن من حظه فى يوم، وقد تجرأ فقال: (عندما داخله الشك!).

إن الحديث يوجه إلى المخاطب فى الظاهر، ويراد به غيره لأسباب بلاغية تحدث عنها البيانيون، وقد نزل القرآن بالأسلوب العربى، ففهمه العرب كما يفهمون كل بيان.

فإذا قال الله عز وجل (مخاطبا رسوله): **﴿ياأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما﴾ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾** الأحزاب: الآيتان ١, ٢.

فليس المراد رسول الله بالخطاب، ولكن المراد بعض أتباعه ممن يوسوس الشيطان فى نفوسهم فيستمعون أقوال المنافقين والكافرين، وتقوى الله أقوى ما يحرص عليه رسول الله، ويلتزمه، فكيف يؤمر بشىء هو فى صميم كيانه؟

وإذا قال الله تعالى: **﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾**، فما شك رسول الله فيما أنزل إليه، ولكن إذا خطر الشك فى نفس بعض أصحابه فليسأل ذوى الأمانة من أهل الكتاب ممن أسلموا، كعبدالله ابن سلام وسواه، وإذا جاز لغافل أن يقول: إن النبى لم يتق الله جاهلا حقيقة الأسلوب البيانى، فإننا نقول له ضللت السبيل، كما نقول لمن يتوهم أن الرسول قد شك فيما أنزل إليه لقد ضللت وغفلت!

وإلى القارئ بعض ما قاله مفسران معاصران حول الآية الكريمة..

يقول الأستاذ الكبير محمد متولى الشعراوى (ص٦١٩٨ من تفسيره). «إن الحق سبحانه وتعالى يضمر خطاب الأمة فى خطاب رسوله، لأن الأتباع حين يقرأون ويسمعون الخطاب، وهو موجه بهذا الأسلوب إلى الرسول ﷺ فهم لن يستنكفوا عن أى أمر يصدر إليهم ومثال ذلك: لو أن قائدا يصدر أمرا لاثنين من مساعديه اللذين يقودان مجموعتين من المقاتلين، فيقول القائد الأعلى لكل منهما، إياك أن تفعل كذا، أو تصنع كذا، والقائد الأعلى بتعليماته لا يقصد المساعدين له، ولكنه يقصد كل مرؤوسيهم من الجند، وجاء الأمر هنا لرسول الله ﷺ لتفهم أمته أن الرسول ﷺ، ما كان ليتأبى على أمر من أمور الله، بل هو ﷺ ينفذ كل ما يؤمر بدقة، وذلك من خطاب الأمة فى شخصية رسولها ﷺ.

وقال الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى (المجلد السابع ص١٣١) «ليس المراد ثبوت الشك لدى رسول الله ﷺ، وإنما المراد على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل الثبوت»، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى فى شأن عيسى عليه السلام: **﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته﴾** المائدة: آية ١١٦، أى إن كنت قلته على سبيل الفرض والتقدير، فقولى هذا لا يخفى عليك.

ـ ٦ ـ

وبعد، فهذا بعض ما عن لى بعد قراءة ما كتبه الدكتور القس لبيب ميخائيل، أرجو أن يقرأه بهدوء واطمئنان ليتجلى نور الحق لعينيه، وإنى لأذكره بقول الله عز وجل: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾** المائدة: الآيتان ٨٢، ٨٣.

قراءات فى تراثنا من النقد الأدبى:

ابن الأثير وثقافة الناقد الأدبى

د/ طه مصطفى أبو كريشة

«ابن الأثير» أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ) واحد من فرسان كوكبة أعلامنا البارزين فى ميادين الأدب والنقد الأدبى والبلاغة؛ وهو ثمرة ناضجة لغرس طيب؛ تعهدته جهود سابقة. وقد استطاع - من خلال موهبة فطرية، وثقافة واعية متنوعة - أن يفسح لنفسه مكانا فى الصدارة بين المنشئين الأدباء والنقاد الذواقين والبلاغيين العلماء.

وكتابه «المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر» واحد من أبرز كتبه التى تقدم الدلائل الواضحة على ميزاته تلك فى آن واحد؛ إذ فيه ما يكشف عن ابن الأثير الأديب، وابن الأثير الناقد، وابن الأثير البلاغى.

ولابن الأثير الناقد وقفات نقدية: تكشف عن ذوق أدبى أصيل، وذكاء فطرى لماح، وبصر علمى بكل ما يشغل الساحة النقدية من قضايا؛ مع قدرة على الإدلاء فيها بالرأى القوى، والحجة البالغة التى تأوى إلى ركن شديد من الثقافة العميقة المتنوعة.

■■ وإذا كان النقاد قبل ابن الأثير قد شغلتهم قضية «الأدعياء فى النقد الأدبى» وقضية «الناقد الأدبى الخبير» فإن هاتين القضيتين قد وضعتا «ابن الأثير» أمام قضية «ثقافة الناقد الأدبى» ومم تتكون؟ حتى يعرف الأدعياء مكانهم منها؛ فيتركوا الميدان لأهله، وحتى يقف أصحاب المواهب الأصيلة؛ على الوسائل الأدبية والعلمية التى تحقق لهم الخبرة، وتمنحهم شارة التخصص قبل أن يقتحموا الميدان، وينازلوا الفرسان.

وقد انطلق «ابن الأثير» فى عرض هذه القضية من مقدمة بدهية تثبت أن النقد الأدبى شأنه شأن سائر العلوم المتخصصة؛ فكما أن لكل علم (مُفْتِياً) عالما من داخله لا يزاحمه فى الإفتاء أحد من ميدان آخر غير ميدانه؛ فكذلك النقد الأدبى ينبغى أن يكون له (المفتى) الخاص به، الذى لا ينازعه فى اختصاصه أحد من غير هذا الميدان.

وعن هذه البدهية يقول «ابن الأثير» وهو يرد على اللغويين والنحويين الذين كانوا ينقدون الشعر، ويتعصبون للقديم لمجرد قدمه: «وهذا

الموضع لا يستفتى فيه علماء العربية، وإنما يستفتى فيه كاتب بليغ، أو شاعر مفلق؛ فإن أهل كل علم أعلم به. وكما لا يُسأل الفقيه عن مسألة حسابية، فكذلك لا يُسأل الحاسب عن مسألة فقهية. وكما لا يسأل - أيضا - النحوى عن مسألة طبية، فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسألة نحوية، ولا يعلم كل علم إلا صاحبه؛ الذى قلب ظهره لبطنه، وبطنه لظهره».

وفى موضوع آخر نرى «ابن الأثير» يطلق اسم (فقيه علم البيان) على مؤلف البيان الأدبى (الأديب) لأنه يتفطن لأسرار الكلام حين يؤثر فى تعبيره شيئا على شىء آخر، قد لا يجد النظر السطحى فرقا بينهما.

وفى هذا يقول «ابن الأثير»: «وهذه الرموز التى هى أسرار الكلام لا يتفطن لاستعمالها إلا أحد رجلين: إما فقيه فى علم البيان قد مارسه. وإما مشقوق اللسان فى الفصاحة؛ قد خلق عارفا بلطائفها، مستغنيا عن مطالعة صحائفها. وهذا لا يكون إلا عربى الفطرة، يقول ما يقوله طبعا؛ على أنه لا يسددٍ فى جميع أقواله؛ مالم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية».

وإذن؛ فالناقد (مُفْتٍ) والأديب (فقيه بيانىّ)، و«ابن الأثير» لا يفصل بين الشخصيتين فى الوجود؛ وإنما يجعل الناقد شخصية متولدة عن الأديب ناثرا أو شاعرا؛ فقد رأيناه - فيما سبق - يحدد دائرة الافتاء فى (الكاتب البليغ، والشاعر المفلق) والجامع بين الوظيفتين هو (التفطّن لأسرار الكلام) إنشاء، أو نقدا؛ فإدراك الأسرار أساس فى حسن الإفصاح عما فى النفس إفصاحا أمينا معبرا؛ وأساس كذلك فى التفسير والتعليل لما نتج من وراء الإبانة والإفصاح.

وعلى هذا فإن حديث «ابن الأثير» عن ثقافة (فقيه علم البيان) نستطيع أن نجعله حديثا أيضا - عن ثقافة الناقد المفتى فى البيان الأدبى.

■■ وفى كتاب «المثل السائر» مقالة طويلة؛ بين فيها «ابن الأثير» المعارف والعلوم التى ينبغى أن يحصلها الأديب - وهو الناقد فى الوقت نفسه. وقد جعلها آلات وأدوات؛ وكأنّ فى ذلك توجيها إلى أنها مجرد سلاح يُتَسلَّح به إلى جانب الطبع الفطرى الذى لابد أن يوجد أولا.

وقد أشار «ابن الأثير» إلى ذلك فى صدر حديثه بقوله: «واعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم (الذوق السليم) الذى هو أنفع من (ذوق التعليم) وهذا الكتاب وإن كان فيما يلقيه إليك أستاذا.. فإن الدربة والإدمان أجدى عليه نفعا وأهدى بصرا وسمعا.. فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك، واستنبط بإدمانك ما أخطاك، وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريق إلا كمَن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به؛ وليس عليه أن يخلق لك قلبا؛ فإن حمل النصال غيرُ مباشرة القتال».

«وملاك هذا كله: الطبع؛ فإنه إذا لم يكن ثَمَّ طبع فإنه لا تغنى تلك الآلات شيئا، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها؛ ألا ترى أنه إذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد

تلك الحديدة شيئا؟».

أما هذه المعارف والعلوم أو الآلات والأدوات فقد عدَّ منها: «معرفة علم العربية من النحو والصرف، ومعرفة ما يحتاج إليه من اللغة، وهو المتداول المألوف استعماله فى فصيح الكلام، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم، ومعرفة الوقائع التى جاءت فى حوادث خاصة بأقوام، والاطلاع على ما سبق تأليفه من قبل أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة، والتحفظ للكثير منه، ومعرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة، وحفظ القرآن الكريم، وحفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبى ﷺ ومعرفة علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر».

وقد أفاض «ابن الأثير» فى بيان أثر كل معرفة من هذه المعارف، ووضح فائدة تحصيلها أو حفظها، ومقدار ما يطلب منها، وما يتصل منها بالشاعر والناثر.

وكان مما قاله عن الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور: إن فى ذلك فوائد جمة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته فى ذلك؛ فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة وتذكى الفطنة».

وبعد أن فرغ «ابن الأثير» من الحديث عن هذه الآلات والأدوات، أشار إلى أن ما ذكره منها إنما هو بمثابة الأصول الضرورية التى لابد من معرفتها على نحو من الأنحاء، ولكن يبقى إلى جانبها ما يدخل تحت المعارف العامة، أو ما سمَّاه (التوابع والروادف) وهو كل ما يتصل بالبيئة من قريب أو من بعيد؛ مهما كان يسيرا لا يلتفت إليه.

ومن هنا جاء تعقيبه: «وبالجملة؛ فإن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون؛ حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة (الرّاثية) بين النساء، والماشطة عند جَلْوة العروس، وإلى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة؛ فما ظنك بما فوق هذا؟ والسبب فى ذلك أنه مؤهل لأن يهيم فى كل واد فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن».

■■ وبعد، فهذا إيجاز لحديث «ابن الأثير» عن ثقافة مفتى النقد الأدبى؛ التى هى ثقافة فقيه البيان؛ وهو حديث أشار فيه إلى أبرز جوانب ثقافة عصره؛ تلك الثقافة التى تؤهل صاحبها تأهيلا يحصنه من مزاحمة الآخرين؛ وبذلك تكون فتواه فى الأدب واضحة الرؤية، قوية الحجة، نافذة الحكم.

وإذا كان نقدنا الأدبى الحديث قد أفاض فى بيان ما يحتاج إليه الناقد من ثقافة خاصة، وأخرى عامة؛ فما أظن ذلك خارجا عن إطار التوجيه العام الذى أشار إليه «ابن الأثير» فى الأصول الضرورية (الثقافة الخاصة) والثقافة الأخرى التى سمَّاها التوابع والروادف (الثقافة العامة) والخلاف فقط إنما هو فيما يناسب كل عصر من الأصل والتابع؛ وإن كان استيعاب رصيد الماضى مما ينبغى أن لا يكون فيه خلاف، وإلا كان ما نغرسه من أشجار مما ليس له جذور ولا قرار.

دراسات فى السُّنة المطهَّرة

- الهدى النبوى لسعادة الدارين
- محمد بن سعد الواقدى

الهدى النبوى لسعادة الدارين

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا» حتى بلغ «يعملون» ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت: بلي يارسول الله، قال: رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله، قلت: بلى يارسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى

الكلمات:

جُنة: وقاية وستر من النار، يمحو الخطيئة: أى يزيل أثرها. عن المضاجع: يقومون للصلاة يسألون فضل الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وقوله: وذروة سنامه: أى أعلاه، ثكلتك أمك: أى فقدتك. أتسأل؟ وأنت الذى لا يخفى عليك أن ما يكب الناس إلاّ ما يتكلمون به ويكبهم بمعنى ما يقلبهم ويلقى بهم.

المقدمة:

البيان:

خلق الله الإنسان وأضفى عليه من حلل التكريم ما مازه به وفضله على جميع العوالم وأحله المكان الذى لا يرقى إليه غيره فأسجد له ملائكته وسخر له مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه وأسكنه فسيح جناته وأباح لهما التمتع بجميع ما فيها من أنعمه إلا شجرة حذرهما الاقتراب منها كما حذرهما كيد الشيطان والوقوع فى حبائله قائلا: **﴿ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾** طه: الآية ١١٧.

ولم يشأ الحق سبحانه أن يترك هذا الإنسان فى تيه الحياة يتخبط فى الظلمات، بل أرسل إليه الرسل بالهدى الإلهى الذى يقيهم فى محيط هذا الوجود من كل ما يضرهم والذى يستقيم به أمورهم وحاجاتهم فلا يضلوا سواء فى ذلك مايصحح علاقاتهم بواهب الوجود وخالقهم وخالق جميع الكائنات ما يراه منها وما حجب عنه وكذا علاقتهم ببنى جنسهم لتسود بينهم روح الأخوة والمودة والرحمة، والتعاون على ما يثرى الخير بينهم، ويجنبهم كل ما قد يضرهم ويحقق لهم السعادة فى دنياهم وآخرتهم، وإلى ذلك يشير الحق سبحانه وتعالى: **﴿فإما يأتينكم منى هدى**

فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ البقرة: آية ٣٨، وفى الآية الأخرى **﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** طه: الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وما جاءوا به من الزاد الروحى فقد وفر سبحانه مع الزاد الروحى الزاد المادى الذى به يقوى المرء على تحمل تبعات التكاليف التى بها يؤدى حقوق هذا الزاد الذى جاء به الرسل وإلى هذا يشير الحق سبحانه بقوله: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾** الجمعة: آية ١٠.

ويقول إبراهيم فى دعائه **﴿ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

ولقد أشار ﷺ بقوله: **﴿تعبد الله لا تشرك به شيئا﴾** إلى أن ذلك إنما يتم بالوفاء بما عاهد الإنسان ربه عليه منذ خلقه قال الله سبحانه: **﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾** الأعراف: الآيتان ١٧٢، ١٧٣.

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: **«يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مقتديا به قال فيقول: نعم، فيقول سبحانه: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم ألا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى»** ابن كثير جـ٢.

والعبادة هى الترجمة العملية لما وقر فى القلب من الإيمان به سبحانه إذ هو تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وفى الحديث الشريف قال ﷺ **«ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب، وصدقه العمل، وإن أناسا غرتهم الأمانى فقالوا: نحن نحسن الظن بالله وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، «أى ولم يعملوا كثيرا» وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل»**.

وأول ما تفرضه هذه العقيدة الائتمار بما أمر الله سبحانه والانتهاء عما نهى عنه، وفى أول ما تقتضيه النطق بالشهادتين إذ هو مباح الدخول فى الإسلام، ولا تجرى الأحكام الشرعية على العبد إلا ربه، كما أنها تعصم ماله ودمه وعرضه إلا بحق الإسلام ثم الصلاة التى هى معراج المؤمن إلى ربه فى اليوم والليلة وبها يفاض على المرء المدد والعون من خالقه، وتنجلى عنه هموم الدنيا ويسمو بها فوق الرغائب الدنيّه التى يوحى بها الشيطان، وتدعو إليها النفس الأمارة بالسوء مع الزهد فى كل ما يشغل أو يحول دون إثراء العلاقة الشرعية بينه وبين العلى الكبير، ثم تأتى بعد ذلك العلاقة مع بنى جنسه وهى قائمة على تبادل المنافع معهم بدنية أو مالية فى إطار من المعاملة التى يحب المرء أن يعامل بها، شعاره: الأمانة والصدق والإخلاص لهم فى كل ما يدور بينهم مراقبا الله فى كل ذلك، وما أجمل أن يمد المرء يد العون بما حباه الله الكريم من أنعم لم تتوفر لغيره شكرا لربه وحتى لا يسأل عنها يوم القيامة وربنا يقول: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** الإسراء: آية ٣٦،

هذه النعم وغيرها كثير واجب العبد فيها الحفاظ عليها ثم توظيفها فيما خلقت له لمصلحة الفرد وخير المجتمع، وفى مقدمة المطلوب من الإنسان: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو ما كنا به خير أمة أخرجت للناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ووفقا للمنهج الذى أوضحه النبى ﷺ من رأى منكرا فليغيره بيده، وهى وظيفة ولى الأمر حاكما أو غيره. فإن لم يستطع فبلسانه وهى وظيفة العلماء المتمثلة فى قالة الحق وإن لم يعمل بها معذرة إلى الله، وإلا أنكر المرء بقلبه وذلك أضعف الإيمان.

ومن منطلق الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وتثرى روح الأخوة الإيمانية بين أبناء المجتمع، ويتم بها الروابط والوقوف على أحواله، ورأب الصدع الذى قد يوهن من قوته بمد يد العون لمن تلجئه الحاجة إلى القلوب الرحيمة تقف إلى جانبه وتبعث فيه روح الأمل التى تنتشله من كبوته وترد إليه كرامته وتحفظ عليه مروءته، فإذا أضيف إلى ذلك العون المادى والحاجة الملحة إليه تحقيقا للتكافل بين أبناء الوطن الواحد كانت الزكاة فرضا على الأغنياء وحقا للسائل والمحروم قرره المالك الحقيقى للمال إذ قال: **﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾** النور:آية ٣٣، كما قال: **﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** الحديد: آية ٧، وفى هذا إشارة إلى أن القدر المقرر فى المال زكاة تعطى للمستحقين، هذا القدر ليس تفضلا من المعطِى وإنما هو حق واجب عليه للمعطَى يؤخذ منه عنوة إذا لم يعطه طائعا. وأبو بكر حارب مانعى الزكاة قائلا: **«لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه»** ذلك بأن مقتضى الإيمان إذكاء روح التضامن بين العباد وإثراء الشعور بالآصرة الإنسانية والأخوة البشرية وقيمة ذلك كله تتجلى فى تطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر وصيرورة الحياة مجال تعاون لا مجال عراك ولا تطاحن وهى مع ذلك تؤمن العاجز والضعيف والقاصر. والإنفاق يشمل الزكاة والصدقة وسائر ما ينفق فى وجوه البر فإذا لم تستوعب الزكاة كفاية المستحقين فإن على الأغنياء كفايتهم ففى الحديث الذى روته فاطمة بنت قيس قال ﷺ: **«إن فى المال حقا سوى الزكاة»**.

أما الصيام فهو عبادة روحية وهو سر بين العبد وربه إنه رياضة العام يروض بها المسلم نفسه على فعل الخير وتنقية العلائق بينه وبين ربه حسا ومعنى، ماديا يتصل ببناء الإنسان، ومعنويا يطهر جوارحه من أسباب القطيعة بما قد يقترفه من آثام أو توسوس به نفسه بما يطفئ نور بصيرته عن مصدر عزه وسعادته. وحتى يكتمل بناء الأمة كان الحج وفيه هذا المؤتمر الذى يجتمع فيه أبناؤها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم، وحيث لا حدود يقف المسلم دونها فلا يدرى عن أخيه المسلم شيئا، وفى هذا المؤتمر يستطيع المؤتمرون علاج قضاياهم، تجمعهم آصرة الإيمان، وتذكى وحدتهم هذه الأنشودة الدينية **«الله أكبر ولله الحمد ـ لبيك اللهم لبيك»**، معلنين ولاءهم الكامل لله رب العالمين وأنهم الأمة التى استنشقت عبير الإيمان وشاع فى أرجائها طهره وصارت به كالجسد الواحد فى توادها وتراحمها وتعاطفها كما تتجلى فيها وحدة البشرية ووحدة دينها ووحدة رسلها ووحدة معبودها وأنها وارثة العقائد السماوية ووارثة النبوات منذ فجر البشرية والحفيظة على تراث العقيدة، وتراث النبوة وحادية موكب الإيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا يفوتنا أنه فى تقديم إجابة معاذ بإقامة هذه الخمسة التى هى أركان الإسلام إشارة إلى أن أساس بنيان هذا الدين هو أول ما يكون الاعتداد بما يصدر عن المرء من خير قل أو كثر، سواء فى العبادات أو المعاملات، وفيه كذلك الإشارة إلى أولى مقامات أهل الإيمان وهو مقام القرب الذى جاء به فى الحديث القدسى: **«وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه»**.

أبواب الخير

وقوله ﷺ: **«الا أدلك على أبواب الخير»** تنبيه إلى أن واجب المؤمن أن يحرص أولا على أداء الفرائض فإذا فعل ذلك وتاقت نفسه إلى التزود من الطاعات التى بها يعطى خالقه أكبر قسط من طاقته فى عمل الخير أيا كان نوعه والأنس به فى جميع ما يأتى وما يذر كان له من الله المزيد من الأجر وحظى من خالقه بمقام أسمى فأحبه وحببه إلى خلقه، وذلك ما يشير إليه ما جاء فى الحديث القدسى: **«ولايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه»** وما أعظم ثمرة المحبة وهى قوله سبحانه: **«فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه»** وحاصل ذلك حفظ جوارحه وأعضائه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق فى الطاعات فلا يسمع ولا يبصر إلا ما ورد به الشرع وكذا اليد والرجل. دليل الفالحين جـ٣ ص٢٩٧.

وأما الزكاة والقدر الواجب إخراجه من المال، فإن الإسلام لم يكتف بذلك خاصة إذا لم تغطِّ الزكاة حاجة المستحقين فقد أوجب الشارع فى المال القدر الذى يفى بحاجتهم فضلا عن الترغيب فى الإنفاق فى أوجه الخير المختلفة التى تعود بالنفع على الفرد والمجتمع: كدور العلم، ومداواة المرضى، وعمارة المساجد وبنائها، وكفالة اليتامى والعجزة، والمعاقين، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، ومواساة الجيران.. الخ، ولقد رغب القرآن الكريم فى ذلك بقوله **﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾** البقرة: آية ٢٧٢، والنبى ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»**.

وهكذا الصيام المفروض: قد حدد المشرع قدره ومكانه من العام وتوعد من أفطر فيه بالجزاء الرادع، ومع ذلك قد رغب فى التطوع به فى أشهر العام بدءا من المحرم أحد الأشهر الحرم، وفيه عاشوراء ويوم الاثنين والخميس من الأسبوع، وثلاثة أيام من كل شهر، والإكثار منه فى شعبان، وصوم ست من شوال ويوم عرفة لغير الحاج، قال ﷺ **«والصوم جُنَّة»**، وهو ضرب من الرياضة الروحية يروِّض المرء نفسه على خلق المراقبة لربه وإمساك جوارحه عن اقتراف ما يغضب خالقه، وهو خير وقاية للمرء من سلطان الهوى، والوقوع فى حبائل الشيطان وشطط النفس الأمارة بالسوء والخوض فيما يوبق من المنكرات، أو المحرمات، وقوله ﷺ: **«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»**.

إنّ المتأمل فى حكمة التشريع ومدى سدّه لحاجة الإنسان - يجد أن من الناس من لا يسأل الناس إلحافا، وربما عاش طاويا لا يجد ما يسد الرمق على حين ما يعانيه من حرارة الجوع ومرارته، وأثر ذلك على نفسه من الضعف الذى يلم به، والهزال الذى يشلُّ حركته فلا يدرك ما يهدف التعبير من الإطفاء للخطيئة، وأنه خاصٌ بأثرها وهو غضب

الله عزوجل الذى يترتب عليه العقاب فى الآخرة، خصوصا إذا كانت الصدقة سرا وحسبك من كرامة للمتصدق فى يوم القيامة أن يظله الله بظل عرشه، والنبى الكريم يقول فى السبعة الذين يستظلون بظل عرش الرحمن **«ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه»**، وقوله ﷺ **«داووا مرضاكم بالصدقة»**، وقوله تعالى: **﴿إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾** البقرة: آية ٢٧١.

وقوله ﷺ: «وصلاة الرجل فى جوف الليل» ثم تلا قوله تعالى: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** إلى قوله **﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾** السجدة: الآيتان ١٦، ١٧. قال تعالى: **﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا﴾** الفرقان: آية ٤٧، وفى ذلك تنبيه إلى وظيفة كل من الليل والنهار: فقد جعل سبحانه: الليل لباسا، ساترا بظلامه الناس، وفى ظلامه وسكونه أعظم آية على وجود الله، وفيه منافع فى الدنيا والدين، فمن يحاول العمل بالليل، والنوم فى النهار لا يفلح ولا ينتج، فما أحسن جعل الليل للسبات والنهار للنشور والمعاش، هذا ما فطر الله الناس عليه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، فإذا اقتطع من الليل قدرا يعيش فيه مع ربه يناجيه، ويضرع إليه، ويقف بين يديه راكعا وساجدا، ويجلس إلى نفسه للقرآن تاليا، ولربه ذاكرا، كان فى معية مالك الملك جل جلاله، وما أجملها معية، ففى الحديث القدسى «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى» وقوله سبحانه **﴿فاذكرونى أذكركم﴾** البقرة: آية ١٥٢.

إن الله افترض قيام الليل فى أول سورة المزمل «فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضته» أخرجه مسلم فى صحيحه.

من أهم الركائز

وقوله ﷺ: **«ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ الإسلام..»** الإسلام كيان كامل من هذه الخمسة التى جاءت فى الحديث، وهدم أى ركن منها أو تعرضه للهدم خروج على الإسلام أو تقويض لبنيانه، وتلك هى الطامة الكبرى، وإذا كان الإسلام يعنى توفير الأمن والسلام لصاحبه مع الله بحيث لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، ومع الناس بحيث يأمن شرهم، ويأمنون شره فهم جميعا بالإيمان إخوة كالجسد الواحد فى توادهم وتراحمهم، وإذا اشتكى عضو فى هذا الجسم تداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما توعد الحق سبحانه من يعرّض أمن أخيه للأذى أو الضرر بأقسى ألوان الوعيد، قال تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾** الأحزاب: آية ٥٨.

وقوله ﷺ فى الحديث الصحيح: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**، فإذا قام العبد بجميع ما طلب منه، وانتهى عن جميع ما نهى عنه الإسلام فإن عليه مع ذلك أن يخلص العمل لله عز وجل حتى يؤتى العمل ثماره، ويحظى بالمثوبة من الله عز وجل، يقول الله تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد﴾** الكهف: آية ١١٠.

وقـولـه ﷺ: **«وعـمـوده الصـلاة»** ذلك أنهـا أهم الأركان بعد الإيمان وهى باب القبول لجميع ما يقوم به أمر الدين ما كان منه من الطاعات، أو التنزه عن المخالفات، وترك المنكرات، والصلاة هى المدد الموصول بين الأرض والسماء، وهى معراج المؤمن إلى ربه فى اليوم والليلة خمس مرات، وفيما يتطوع به فى الليل والنهار، وفى سائر الأوقات التى تستحب فيها ابتغاء المزيد من القربات.

ولذا كانت الصلاة عماد الدين، والأساس الذى تقوم عليه جميع العبادات، فإذا قُبلت، قُبلت معها جميع الأعمال، وأثيب العبد بكل ما قدم من خيرات وإلا رُدت وفقد المرء ثمرة ما قدم بفقده أهم أسباب الفوز برضوان الله، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾** العنكبوت: آية ٤٥.

ولذا كانت من بين العبادات التى تلقى الأمر بها رسول الله ﷺ من الله عز وجل، وكانت الفريضة التى لا تسقط عن المسلم فى سلم أو حرب فى صحة أو مرض مادام فى الإنسان عقل وهو به فى الذروة من المخلوقات، وقوله ﷺ: **«وذروة سنامه»** الجهاد - ذلك أن أول أبواب الجهاد - جهاد النفس والانتصار عليها والتسلح عليها والتسلح لذلك بالاستجابة لداعى الله ورسوله حيث بدونه لا وسيلة للانتصار فى أى ميدان يستقبل المرء فى الحياة وهو الجهاد العينىّ الذى يجب أن يجند له فى الإنسان جميع الإمكانات مادية أو غير مادية فإذا انتصر المرء فى ميدان الجهاد لنفسه - فاستجابت لداعى الإيمان كان حريا أن يحالفه النصر فى جميع المواقع التى يعرض له فيها ما يحول دون سلامته فى دينه أو نفسه أو ماله أو عرضه حين يقوم بواجب الدفاع عنها أو الحفاظ عليها، والوقوف فى وجه أى عدوان يراد بها خاصة ما يكيد به العدو الأول «الشيطان» ذلك بأنها أمانات استودعها إيانا ربنا جل جلاله، ويسر لنا وسائل الحفاظ عليها، وحرم أى عدوان عليها، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها خالدا مخلدا أبدا»** وفى سبيل حماية النفس والحفاظ عليها كان الجزاء الرادع لمن تسول له نفسه الشر بها إذ يقول سبحانه: **﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾** المائدة: آية ٤٥، ويقول سبحانه: **﴿ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٧٩، وفى حالة الاعتداء على النفس أو المال أو العرض أو الوطن فقد قال تعالى: **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم إن الله لا يحب المعتدين﴾** البقرة: آية ١٩٠.

امسك عليك لسانك

وقوله ﷺ: **«وملاك ذلك كله فأخذ بلسانه».**

ملاك الأمر: قوامه، والقلب ملاك الجسد، وهو هنا يعنى الأمر الذى يتوقف عليه صلاح أمر الإنسان، وقبول عمله دينا ودنيا، فقوله ﷺ مجيبا السائل **«كف عليك هذا، وأخذ بلسانه ينطوى تحته جميع ما ذكرنا من خطر اللسان من بين جميع الأعضاء وأنه لا نجاة من خطره إلا بالصمت».**

وعن عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة؟ «قال امسك عليك لسانك. وليسعْك بيتك وابك على خطيئتك» رواه الترمذى بسند حسن.

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»، فكان أمر الصمت على هذا النحو من الأهمية لكثرة آفات اللسان من خطأ وكذب وغيبة ونميمة ورياء، ونفاق وفحش ومراء، وتزكية للنفس، وخوض فى باطل إلى غير ذلك من الآفات التى تحمل عليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قل أن يمسك لسانه عنها أو يكفه عما لا يحب، ومن هنا عظمت فضيلة الصمت مع مافى الصمت من دوام الوقار للفكر والذكر، والعبادة، والسلامة من تبعات القول فى الدنيا، ومن الحساب عليه فى الآخرة قال تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ سورة ق: آية ١٨.

وإن شيمة المؤمن أن يكون صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرة، قال ﷺ «**طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله**»، وذكر الطيبى أن اللسان خليفة القلب وترجمانه، وإن اللسان عبارة عن القلب واللسان، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه وقد قيل:

لسان الفتى نصفٌ ونصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومن جميع ما سبق فى شأن اللسان ندرك السر فى تخصيصه ﷺ من بين أعضاء الجسم بالحذر من سقطاته وذلاته، وما تؤدى إليه من نتائج تؤدى إلى ضعف المسلمين، وتوهن قوتهم، وتشيع العداوة والبغضاء والفرقة بينهم. قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ الأنفال: آية ٤٦، وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا أصبح ابن آدام فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**» رواه الترمذى.

وبعد: فإن هذا الحديث يبين لنا مدى اهتمام الصحابة بأمور دينهم وهم أولئك الذين قال فيهم - صلوات الله وسلامه عليه - «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، أى أقتديتم بهم فى أقوالهم وأفعالهم، وكيف يمكن أن نصوغ حياتنا فى ظل تعاليم ديننا الذى تربى هؤلاء على مائدته، ونهلوا من أنوار النبوة، وذلك الهدى النبوى، ما سمت فى المسلمين منزلتهم، ومن ثم يمكن أن نجنى أطيب الثمرات لعمرنا دينا ودنيا، وكيف أن رسول الله ﷺ وضع الأساس الذى لا قيام للحياة، ولا ثمرة فيها بدونه، وأنه لا حياة إلا به، وهو الاستجابة لله وللرسول بإقامة أركان هذا الدين مخلصين لله رب العالمين، وبذلك تتحقق الحياة الحقيقية التى أشار إليها الحق سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿**أو من كان ميتا فأحييناه**﴾، أى بالإيمان بهذا الدين «وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس، وبهذا يصل إلى شاطئ السلامة وبر النجاة إلى جنات ونهر عند مليك مقتدر فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

المراجع:

- تفسير ابن كثير.
- التفسير الواضح.
- فى ظلال القرآن.
- رياض الصالحين.
- الترغيب والترهيب.
- دليل الفالحين بشرح رياض الصالحين.
- إحياء علوم الدين.
- المصباح.

محمد بن سعد الواقدى

أ.د/ أحمد عمر هاشم

نسبه ونشأته[1]:

هو الإمام المؤرخ الثقة أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهرى الهاشمى ولاء لأن أحد أجداده كان مولى للحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العباسى بن عبد المطلب الهاشمى.

ولد بالبصرة سنة ١٦٨هـ، ولهذا نسب إليها فقيل ابن سعد البصرى وكان ابن سعد محل رضا الرواة، حيث لم يلابس الفتن الهوجاء فى عهد المأمون وبعده، فأمكنه نشر علمه، وعلم أستاذه، وبقيت كتبه محفوظة مقبولة عندهم.

وعرف ابن سعد بكاتب الواقدى، لأنه صحبه زمانا، وكتب له فعرف به، وتردد المحدثين فى قبول أخبار الواقدى ليس له أثر كبير فيما يتعلق بابن سعد، فإن أكثرهم قالوا: ثقة مع أن أستاذه ضعيف وإذا كان ابن سعد ألف كتبه من تصنيفات الواقدى ولم ينس ذكر اسم شيخه فى سلسلة الإسناد، إلا أنه كان يغربل الرواية التى يرويها له، أو يؤيدها برواية أخرى لغيره.

حياته العلمية:

كان ابن سعد ذا مكانة علمية، فعرف له العلماء فضله ومنزلته جمع كثيرا من العلم وروى عن كثير من الشيوخ لاسيما الواقدى، يقول أحمد بن كامل القاضى: قال لى محمد ابن موسى: الذين اجتمعت عندهم كتب الواقدى أربعة أنفس: محمد بن سعد كاتب الواقدى أولهم.

شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخه محمد بن عمر بن واقد الواقدى وهو الذى صحبه ولازمه كثيرا، كما روى أيضا عن سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون الواسطى، وعبيد الله

ابن موسى العبسى، وهيثم والوليد بن مسلم وأبى الوليد الطيالسى وغيرهم من شيوخ الرواية بالبصرة والكوفة وواسط وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة والشام واليمن ومصر وغيرها.

ومن تلاميذه الذين رووا عنه:

أبو بكر بن أبى الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبى أسامة التميمى، والحسين بن فهم راوية الطبقات الكبرى عن ابن سعد، وهو الذى قال عن شيخه كان كثير العلم، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب.

منزلته:

وقد جرَّح بعض العلماء ابن سعد، وعدله الأكثرون، قال الحسين بن فهم كنت عند مصعب الزبيرى فمر بنا يحيى بن معين، فقال له مصعب: يا أبا زكريا حدثنا محمد ابن سعد الكاتب بكذا وكذا، وذكر حديثا، فقال له يحيى: كذب وقال أبو بكر الخطيب معلقا على ذلك: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى فى كثير من رواياته، ولعل مصعبا الزبيرى ذكر ليحيى عنه حديثا من المناكير التى يرويها الواقدى فنسبه إلى الكذب[٢].

وقال ابن أبى حاتم الرازى سألت أبى عن محمد بن سعد، فقال: «يصدق» جاء إلى القواريرى وسأله عن أحاديث فحدَّثه، وقال إبراهيم الحربى: كان أحمد بن حنبل يوجه فى كل جمعة بحنبل بن اسحاق إلى ابن سعد يأخذ منه جزءين من حديث الواقدى ينظر فيهما إلى الجمعة الأخرى ثم يردهما ويأخذ غيرهما قال إبراهيم ولو ذهب سمعهما كان خيرا له، وقد سبق بيان أن كل يغربل الرواية التى يذكرها عن شيخه الواقدى ويعضدها بغيرها.

ومما سبق يتضح لنا أن المعدلى لابن سعد عدد كثير، وأن له مكانته العلمية التى استحق بها كل إكبار وتعظيم.

وقد قام ابن سعد برحلات علمية إلى المدينة والكوفة وبغداد، وفى بغداد لزم الواقدى، ولم ينسب إليه فى كتب التراجم إلا ثلاثة مؤلفات.

١ ـ الطبقات الكبرى.

٢ ـ الطبقات الصغرى.

٣ ـ أخبار النبى ﷺ.

والواقع أن كتاب «الطبقات الكبرى» يحتوى على ما يحتوى عليه الكتابان الآخران، وحسبه فى التصنيف كتاب «الطبقات الكبرى» الذى يدل على تضلعه فى العلم، ورسوخ قدمه فى كثير من فنون المعرفة والتاريخ.

كتاب الطبقات الكبرى

وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من أوائل ما ألف فى هذا الموضوع ولعله لم يسبقه فى هذا المجال إلا طبقات الواقدى، وكان لكتاب ابن سعد أثره فى التآليف التى جاءت بعده.

ومصادر كتابه نوعان: **الأول:** المشافهة والسماع. **والثانى:** الكتابة. ولم يقتصر ابن

سعد على الافادة من طبقات الواقدى، وإنما استقى معلومات من كتبه الأخرى، كما استجد بعض فصول لم يجد فيها لشيخه رواية مثل ذكر كنية رسول الله ﷺ، وما كان رسول الله ﷺ يعوذ به ويعوذه به جبريل، وانساب الجاهليين، وسير الأنبياء والأمم السابقة التى اتضح أن الواقدى لم يحتفل بها كثيرا.

وقد استهدف كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد خدمة السنة النبوية فتحدث فيه عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين إلى عصره وجعل الجزءين الأولين لسيرة الرسول ﷺ، وبعد ان انتهى فى أكثر الجزءين من السيرة النبوية العاطرة، عقد فصلا للمفتين بالمدينة فى العهد النبوى، ثم ترجم للصحابة والتابعين فشغل سائر الأجزاء بذلك وخصص آخر جزء للنساء(٣).

منهج ابن سعد فى كتاب الطبقات

لاحظ ابن سعد فى تراجمه عنصرين:

الأول: عنصر الزمان.

والثانى: عنصر المكان.

أما عن **الأول** وهو عنصر الزمان، فقد كان يراعيه فى سائر الطبقات من أولها إلى آخرها، وجعل نقطة البدء فيما يتصل بالزمان هى: (السابقة إلى الإسلام) ثم (موقعة بدر) ولذا بدأ بالمهاجرين البدريين، ثم بالأنصار البدريين ثم بمن أسلم قديما ولم يشهد «بدرا» وإنما هاجر إلى الحبشة أو شهد أحد بمن أسلم قبل فتح مكة، ثم من أسلم بعد فتح مكة.

وأما **الثانى:** وهو عنصر المكان، فترجم للصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - على حسب الأمصار التى حلوا فيها، فسمى من كانوا بالمدينة أو مكة، أو الطائف، أو اليمن، أو اليمامة، ومن نزلوا الكوفة، ومن نزلوا البصرة، ومن فضلوا المقام بالشام أو مصر، كما لاحظ هذا المنهج كذلك بالنسبة لتراجم التابعين - رضى الله عنهم -.

والطبقة فى كتاب ابن سعد تساوى عشرين سنة تقريبا، ولكن هذا التقسيم الذى اتبعه ابن سعد فى منهجه كان له عيب فى الكتاب، فقد يكون أحد الرجال داخلا فى غير موضع واحد فى هذا المنهج، بمعنى أن يكون مثلا بدريا ممن يفتى أيام الرسول ﷺ، ثم هاجر إلى مصر من الأمصار، وعلى هذا فلابد له من ثلاث تراجم، إلا أن ابن سعد تنبه لهذا العيب الذى لا مناص منه، فكان يطيل الترجمة فى موضعها الأصلى فى الطبقة الحقيقية بما فيه الكفاية ثم يمر فى الموضع عليها بإيجاز سريع.

وقد وجد من بين رواة ابن سعد رواة قلائل ضعفهم أهل الحديث وهم: هشام ابن محمد بن السائب الكلبى، والواقدى، وأبو معشر، والحقيقة: أن هشاما كان أوثق من أبيه، والواقدى كان محل ثقة عند فريق كبير من المحدثين.

وأكبر ما انتقده المحدثون على الواقدى، واتبعه فى ذلك تلميذه ابن سعد، هو جمع الأسانيد الكثيرة وإيراد متن واحد لها، وادخال حديث الرجال بعضهم فى بعض

مبتغيا بذلك الإيجاز إذا كثرت الروايات وتشابهت.

وأرى أن الطبقات الكبرى لابن سعد فيها الأسانيد المرسلة، والمقطوعة بجوار الصحيحة الكثيرة، فهى لم تكن كلها فى درجة واحدة، ولعل الذى دعاه إلى ذلك هو إنه كان يهدف إلى استيفاء الموضوع الذى يكتب فيه، فدون جميع ما ورد فى ذلك صحيحا أو مرسلا أو مقطوعا، وليس يصعب على أهل العلم استخلاص الصحيح فى الكتاب من غيره فذلك أمر سهل، ولئن كانت طبقات ابن سعد خالية من التعقيبات الكثيرة التى تظهر شخصية المؤلف، إلا أن ما يوجد فيها من التوضيحات اليسيرة تطلعنا على نقده العلمى الطيب الذى تميز به، فمثلا: يورد رواية خلاصتها: أن النبى ﷺ بكى عند قبر أمه لما فتح مكة فقال ابن سعد (وهذا غلط، وليس قبرها بمكة، وقبرها بالأبواء).

هذا وكتاب الطبقات لا يستغنى عنه محدث ولا فقيه ولا مؤرخ، ومن كتب بعده فى الرجال فقد استفاد الكثير منه وللكتاب روايتان: الأولى، رواية الحارث بن أبى أسامة لبعضه، والحسين بن فهم لبعضه الآخر كلاهما يرويه عن ابن سعد.

ولهذا الكتاب منزلة جليلة بين العلماء، غير أنه أكثر فيه من الرواية عن الضعفاء، قال ابن الصلاح: وكتاب ابن سعد «كتاب الواقدى» كتاب كثير الفوائد، وهو ثقة غير أنه كثير الرواية فيه عن الضعفاء، وقد تبين ذلك مما سبق.

وتوفى ابن سعد يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين ببغداد، ودفن فى مقبرة باب الشام، وهو ابن اثنتين وستين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وهكذا وقفنا على جانب كبير من النهضة العلمية، التى فجر ينابيعها الدافقة هؤلاء الاعلام، جمع رحيقها الصافى الأئمة الستة الذين أشرقت كتبهم فى سماء الهدى فأوجدت الجو العلمى العاطر والمناخ الصحى للسنة النبوية الشريفة.

وواضح أن هؤلاء الاعلام، قد حصلوا على ثناء كبير، وتقدير أى تقدير من الحفاظ المتقنين فى عصرهم فكان هذا الثناء، وذلك التقدير بمثابة شهادات علمية عظيمة، فلئن كان فى عصرنا هذا ترتفع مكانة الباحث بمقدار ما حاز من شهادات وما وصل إليه من تفوق فى سلك دراساته حتى أهلته كفاءته، ورشحته شهاداته إلى مكانة مرموقة وعمل عظيم فإن أولئك العلماء فى عصرهم هذا كانت شهاداتهم بقدر كدهم ورحلاتهم العلمية، التى يلتقون فيها مع العلماء اللامعين، والأئمة المتثبتين متنقلين من قُطر إلى قُطر بهمة قعساء لا تعرف الكلال، ولا تعوقها مشقة السفر ولا عناء الطريق، كما اتضح لنا من خلال الحديث عن نشأتهم وحياتهم العلمية فكان ثناء أئمتهم عليهم وأقوال علمائهم فيهم تعتبر أسمى الشهادات الصادقة، لصدورها من أهل الصدق والتوثيق.

الهوامش

١ ـ وفيات الأعيان جـ١ ص٦٤٢، الرسالة المستطرفة ص١٣٨، مرآة الجنان جـ٢ ص١٠٠.

٢ ـ طبقات الشافعية الكبري جـ٢ ص٩، تاريخ بغداد جـ٥ ص٣٢٢.

٣ ـ الطبقات الكبري لابن سعد تقديم الأستاذ إحسان عباس ص١٢ ط بيروت، علوم الحديث ومصطلحه الدكتور صبحي الصالحي ص٣٤٣، الحديث والمحدثون ص٣٥٠.

الحضارة والعلوم

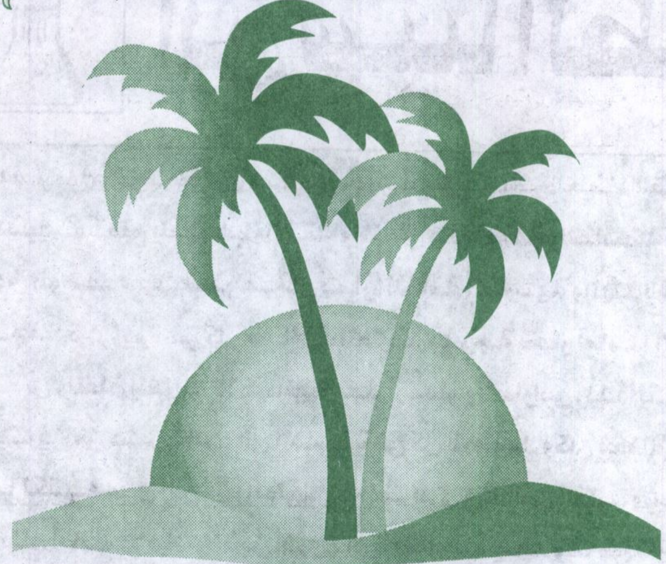

- ابن سينا الطبيب
- علماء الجغرافيا المسلمون وجهودهم فى رسم الخرائط وتلوينها وتجسيمها
- الضوء والنور بين المعارف الفيزيائية والإشارات القرآنية
- «تخيروا لنطفكم» من منظور طبى إسلامى
- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار «لعبد الرحمن الجبرتى»

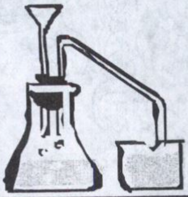

ابن سينا الطبيب

ولد سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م قرب بخارى بفارس، حين أكمل العاشرة حفظ القرآن وأتى على كثير من الأدب. ثم تعلم الحساب والفقه والمنطق والهندسة والفلسفة، كان متفوقا بطريقة تفوق الوصف حيث استوعب كل ثمار الثقافة الفارسية والهندية والعربية فى عصره، وقدم مادة غزيرة فى كل مجالات المعرفة بدرجة تحار أمامها العقول.. لقب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطو والفارابى. بدأ التأليف وهو فى الحادية والعشرين من عمره. ألف فى الفلسفة فى كل فروعها، وكان معظم الفلاسفة من بعده شرَّاحاً لكتبه مثل الرازى والطوسى، وألف ابن سينا فى الطب، وشاعت شهرته كواحد من أعظم أطباء الإسلام الذين أثروا تأثيراً ملموساً ومحسوساً فى تاريخ البشرية.

أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة

وتذكر الروايات التاريخية أنه شرع فى مداواة المرضى وهو شاب وكان فضلاء الطب يتتلمذون عليه، وقد ألف ابن سينا شيخ أطباء العرب كتاب «القانون فى الطب» وهو أكبر كتبه حجما وأعظمها شهرة وأفضلها مثالا فى لغته العربية، وهو عبارة عن خمسة كتب ضخمة تحتوى على أكثر من خمسة آلاف صفحة من الحجم الكبير، دائرة من المعارف الطبية وأثر عريق فى علم التطبيب الذى زاوله الإنسان منذ عدة آلاف من السنين. جمع فيه أمير الأطباء خلاصة ما وصل إليه اليونان والهنود والعرب مع استعراض ناقد ومتحقق بالخبرة. فقد كان أعظم الأطباء وأشهر أساتذة الطب فى القرون الوسطى. وأكثر من استشهد به الدارسون الذين امتد أثرهم إلى العصر الحديث. وكتابه القانون مبحث ضخم فى علم الصحة والصيدلة وعلم وظائف الأعضاء، والعلاج قسمه إلى خمسة أجزاء. أول الكتب الخمسة فى المبادئ العامة والثانى فى العقاقير المفردة حسب حروف الهجاء والثالث فى الأمراض التى تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم والرابع فى الأمراض التى تنتشر فى أجزاء أخرى من الجسم كالحميات والخامسة فى الأدوية المركبة، ويتميز الكتاب بموسوعية المعرفة الطبية وتنسيق المعلومات حتى أصبحت كتب الطب السابقة عليه ملغاة من الناحية العلمية. وقد استضاء به أساتذة الطب فى أوروبا وآسيا.

ولذا فإن أكبر جامعات فرنسا، وأسبانيا، وإيطاليا، وانجلترا، وألمانيا وغيرها من البلدان قد درست القانون فى الطب لمدة ٦٠٠ عام متصلة

بداية من عام ١٤٧٣م، وذلك باللغتين العربية واللاتينية، وقد بلغ مجموع طبعاته الكاملة حتى القرن السابع عشر ٤٠ طبعة، العدد الذى لا يضاهيه سوى عدد طبعات الإنجيل، وربما لم يدرس كتاب فى الطب على مر العصور كما درس هذا الكتاب، ويتضح من لائحة جامعة لوفان فى سنة ١٦١٧م أنها اتخذت من كتب ابن سينا والرازى أساسا للدراسة وأن مؤلفات اليونان الطبية لم تنل غير حظوة قليلة، ذلك أنه لم يسجل فى المناهج من بين مؤلفاتهم إلا أقوال أبقراط المأثورة وحكمه وأوليات الطب لجالينوس، وقد ترجم كتاب القانون لابن سينا إلى اللاتينية جيرارد الكريمونى وذكرت الموسوعة البريطانية للقرن العشرين ما يلى:

تصدر كتاب ابن سينا «القانون فى الطب» الكتب التى تدرس فى الجامعات الأوروبية فى الفترة الممتدة من القرن الثانى عشر إلى القرن الثامن عشر لأسباب نذكر منها:

١ - هذا الكتاب كان القاعدة الفاصلة للطب، يعود إليه الطلاب والأطباء كمرجع يجدون فيه الحد والفصل والنقاش، وظل الكتاب قمرا منيرا فى سماء الطب حتى القرن الثامن عشر.

٢ - إن ابن سينا هو أول من قدم فى تاريخ الطب تشخيصا كاملا ودقيقا للالتهاب الرئوى والربو والسل مميزا بين هذه الأمراض الرئوية ومشيرا إلى إمكانية انتقال السل بالعدوى كما ينتقل بالماء والتراب. ومما يجدر ذكره أن الدكتور شترميل الألمانى قد عدد فى كتابه «إرشادات بصدد الأمراض الباطنية» السمات التى عددها ابن سينا سابقا للسل دون أن يغير منها شيئا.

٣ - إن ابن سينا أول من أعطى فى تاريخ الطب وصفا لمرض الالتهاب السحائى وفرق بينه وبين الحميات المشابهة له، وفرق بين الشلل الناجم عن سبب داخلى فى المخ والناجم عن سبب خارجى، وقد أشار الطبيب السوفيتى بتروف أنه من المستبعد أن يضاف شىء جديد إلى هذا الوصف فى عصرنا الحاضر.

٤ - إن ابن سينا هو أول من أشار إلى دور الجهاز العصبى فى نشوء مرض الربو الشعبى، وأن المرض ينشأ من إصابة أطراف الجهاز التنفسى. أى اصابة النخاع الشوكى والدماغ - ولهذه النتيجة توصل الطب الحديث.

٥ - إن ابن سينا أول من وصف أعراض وأسباب داء الكلب ووضع له العلاج، والذى ظل حتى القرن التاسع عشر أكثر الأمراض غموضا فى أوروبا. وفى عام ١٨٠٤م برهن الطبيب الألمانى زينيكه قدرة لعاب المريض على نقل العدوى، أما ابن سينا فقد كتب فى القرن الحادى عشر الميلادى، حين لم يكن هناك مجاهر ولا مختبرات ما يلى: إذا ما عض أحد ما فى ذروة المرض شخصا آخر فإنه يحدث للمعضوض نفس ما حدث للمريض، كما أن بقايا مياه الأخير وطعامه تصنع الشىء نفسه مع من يستعملها. وقد كان ابن سينا يعتبر الشراب المعد من كبد كلب مصاب بداء الكلب واحدا من أنجح الأدوية لعلاج هذا المرض. وقد تأكد هذا الأمر بعد مرور مئات السنين من خلال التطعيم.

٦ - إن ابن سينا أول من فصل الجدرى عن السحاء وميز الجدرى كمرض مستقل.

٧ - إن ابن سينا أول من قال بإمكانية انتقال الطاعون بالعدوى وأشار إلى الفئران والقوارض كناقلة للوباء. وفى أوروبا لم يعرفوا دور الفئران فى نشر الطاعون إلا عام ١٨٩٤م.

٨ - أجرى ابن سينا جراحات لاستئصال الأورام، وأول من ميز بين مرحلتى سرطان الكبد، المرحلة المبكرة ومرحلة التليف.

٩ - خلف ابن سينا طريقة متقنة لجراحة العين ومبادئه لعلاج شعرة العين الجراحى لا تكاد تختلف عنها الطرق الحديثة.

١٠ ـ فى المراجع العلمية مازالت أساليب العلاج لكسور عظام الجمجمة والفكين والترقوة واللوحين والأضلاع والعمود الفقرى وعظام الفخذ تحمل أسلوب ابن سينا.

١١ ـ وصف ابن سينا ميكانزم الخلوع فى المفاصل وأرجعها إلى أن التجويفات فى عظام مفاصلها غير عميقة مما جعلها تتماسك بصورة غير محكمة والأربطة بينها ليست متينة.. الأمر الذى يجعلها عرضة للانخلاع.

١٢ ـ لم يضع أحد ممن سبقوا ابن سينا الأسس العلمية لطب الأمراض العقلية، ورغم أنه لم تكن لديه مختبرات عصبية وفسيولوجية وبيوكيميائية ولا كهربائية، إلا أنه كان لديه الحدس وقوة الملاحظة. لقد ميز بين اختلالات العقل واختلالات الأعصاب، وأرسى الأسس للدراسات النفسية والاكتئاب.

١٣ ـ كشف ابن سينا عن مرض الانكلستوما قبل أوروبا بـ٨٠٠ عام وقرر أن مصدر الداء دودة معوية اسماها الدودة المستديرة، وقد أقرت ذلك الاكتشاف مؤسسة روكفلر الأمريكية.

١٤ ـ عنى ابن سينا بالملاحظة والتجربة واستخرج منها القوانين الأولية، وقد وضع فى كتابه القانون فى الطب ـ قواعد للتجريب سبق بها علماء أوروبا. ويسرت له هذه الملاحظات والتجارب الاهتداء إلى علل كثيرة من الأمراض وطرق علاجها، وتقول الدكتورة شوارتز هبت أستاذة الصحة العامة بألمانيا الاتحادية **«إن الغرب لن ينسى أبدا أنه مدين للعرب بدراسة الطب، وأن مؤلفات ابن سينا والرازى والزهراوى وغيرهم كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة بالرمو بإيطاليا أشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى»**، وكانت هذه الكتب قد ترجمت إلى اللاتينية.

١٥ ـ أثبت ابن سينا أن فلاسفة الإسلام كانوا علماء قبل أن يكونوا فلاسفة، فإن اشتغاله بالطب أثر على فلسفته من جهة المنهج الذى يتبعه فى التفكير، فقد كان يؤمن بالتجارب ويجريها على الحيوانات ويتتبعها ويرى أثرها، ويجرب عليها الدواء قبل أن يجربه فى الإنسان.

١٦ ـ يرجع الفضل إلى ابن سينا والأطباء فى رفع كرامة مهنة الطب وتنقيح معارفه القديمة، وإضافة المزيد من التجارب العلمية الدقيقة إليه، ولقد بلغ ارتقاء الطبيب فى ظل الإسلام أنه كان يشترط فيه الإلمام بأصول الدين والفلسفة والفلك والموسيقى علاوة على إلمامه بالعلوم الطبية. وأوروبا مدينة للعرب بإدخال نظام اختيار الأطباء قبل التصريح لهم بمزاولة المهنة.

١٧ ـ تضمن الجزء الثانى من كتاب الأدوية المفردة.. يذكر فيها ٧٦٠ دواء مرتبة حسب الحروف الأبجدية، والكتاب الخامس والأخير مخصص لفن المداواة أو الأقراباذين إذ يصف بالتفصيل الأدوية المركبة فى مختلف استخداماتها ونسبها ومقاديرها ونفعها وضررها، ويبدأ بفصل السموم فيذكر كل اسم وأعراض التسمم به ومداواة ذلك، وفى الفصل عدد كبير من المراهم والأشربة والأقراص. ويقال أن شيخ الأطباء توصل إلى تغليف الأدوية للمساعدة فى سهولة بلعها كما هو الأمر فى البرشامات الآن.

١٨ ـ قليل من المثقفين يدركون عظمة ابن سينا كطبيب وفيلسوف، وأقل من هؤلاء من يدركون أهميته كفيزيائى وجيولوجى.. وأدلى بدلوه فى علوم الصوت والضوء والحرارة. وهى من فروع الفيزياء المتشعبة وأدلى بدلوه فى علوم المعادن والزلازل والفوالق الأرضية من الجيولوجيا..

هذه الجوانب الخفية من شخصية ابن سينا لم تسلط عليها الأضواء بما يفيه حقه كعملاق وآن الأوان لكى نساهم بالقليل فى تعريف شباب أمتنا بإنجازات الأجداد ودورهم العظيم فى ميادين الحضارة العربية الإسلامية.

علماء الجغرافيا المسلمون وجهودهم فى رسم الخرائط وتلوينها وتجسيمها

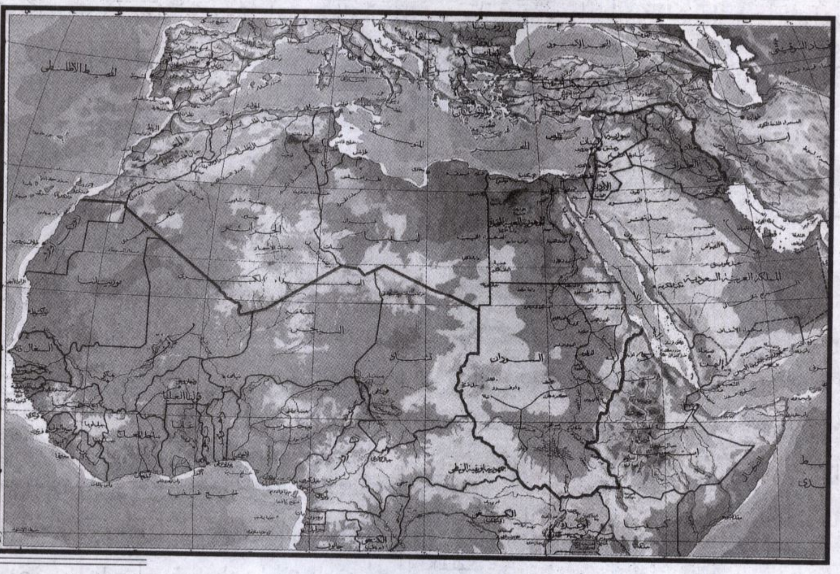

أ. د/ أحمد شلبى

اتسع العالم العربى اتساعا كبيرا وحرص المسلمون على السيطرة على هذه المساحات الشاسعة وربطها بالأماكن المقدسة وبعاصمة الدولة الإسلامية، وذلك بواسطة إنشاء الطرق وتمهيدها، ورسم خرائط لها وايضاح مكان المدن على هذه الخرائط، وقد نبغ فى هذا المجال عدد كبير من المؤلفين فى مجال الجغرافيا، فقاموا برحلات كثيرة رسموا بها الطرق والممالك، وكتبوا بذلك كتبا تحمل هذا المعنى ومن أشهر كتبهم فى هذا المجال «المسالك والممالك»، واتسع بعضهم بمؤلفه فشمل أرضا غير إسلامية وسمى كتابه «صور الأقاليم» أو «صورة الأرض»، ومن أشهر الجغرافيين: ابن خرداذبة، والبلخى، والاصطخرى، وابن حوقل، والادريسى، وياقوت.

وسنروى فيما يلى بعض جهود هؤلاء الرواد الذين كانت أعمالهم موضع تقدير الشرق والغرب ونروى كذلك بعض ما يتصل ببلدانهم وجهودهم العلمية الأخرى.

ابن خرداذبة (القرن الثالث الهجرى)

عالم من علماء الجغرافيا المسلمين، لعله كان أسبق الجغرافيين العرب، واسمه عبدالله ابن أحمد بن خرداذبة، وخرداذبة كلمة فارسية معناها المنحة الفاخرة، وكان جده مجوسيا وأسلم على يد البرامكة، وكان أبوه يشغل بعض المناصب الإدارية فى طبرستان، وعاش الابن فى بغداد، واتجه فى مطلع حياته إلى الموسيقى فالتحق بإسحاق الموصلى ومنه تعلم أصول الموسيقى، ثم اتصل بالخليفة المعتمد العباسى فعينه فى وظيفة صاحب البريد بإقليم الجبال الذى يعرف بالعراق العجمى.

وهذه الوظيفة كان من طبيعتها أن يتعرف شاغلها على الطرق التى تصل العاصمة بالمدن

الرئيسية فى العالم الإسلامى، فاتجه للتعرف على هذه الطرق حتى ألف كتابه «المسالك والممالك» حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى، وبذلك فهو سابق للاصطخرى وابن حوقل وياقوت.

وقد لاقى كتابه هذا عناية كبيرة؛ فترجم للغة الفرنسية سنة ١٨٦٥م، واتجه المستشرقون لطبعه ونشره، وفى هذا الكتاب حديث عن الطرق والمدن التى تقع عليها، وفيه كذلك حديث عن المسافات التى بين مدينة وأخرى، ويشمل الكتاب أيضا حديثا عن نظم الحكم، وعن النظام المالى والخراج المرتبط بكل منطقة من مناطق الإقليم الذى كان صاحب البريد فيه يتولى أمره.

ولم يكتف خرداذبة بالحديث عن وصف الطرق البرية بل وصف الطرق البحرية، وتحدث عن الموانى المهمة التى كانت ترسو بها السفن العربية فى رحلاتها البحرية، وذكر السلع التى كان التجار العرب يحرصون على استيرادها من الهند، وجنوب شرقى آسيا، وهذه السلع هى الكافور والقرنفل، وخشب العود والصندل وجوز الهند والطيب وغيرها من التوابل.

ويبدو أنه ألف هذا الكتاب استجابة لطلب الخليفة أو أحد كبار الموظفين، ولذلك جاء فى مقدمة الكتاب قوله: فهمت الذى سألت من رسم وإيضاح مسالك الأرض وممالكها وصفتها، وبعدها، وقربها وعامرها، ومفاوزها، ورسم طرقها.

ووجه اهتماما كبيرا للطرق بين بغداد ومكة المكرمة، وكذلك الطرق إلى المدينة المنورة، ووصف الطريق الذى سلكه الرسول ﷺ حين اتجه من مكة إلى الطائف لدعوة أهلها، وكذلك حين هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

كما عُنى برسم الطريق بين اليمامة ومكة، والمهم أنه صور مكة المكرمة مركزا إسلاميا تهفو إليه الرحالة من مدن كثيرة بالعالم الإسلامى، فوصف أكثر الطرق التى تربط مكة المكرمة بمدن مختلفة تيسيرا على مواكب الحجاج، وتعريفا لهم بالمناطق التى سيمرون بها وبالحاجات التى ينبغى أن يحرصوا على اقتنائها طيلة الرحلة.

وقد اعتبر هذا الكتاب ثبتا مهما لكل من يعملون فى البريد والخراج فى الدولة الإسلامية.

وتوفى ابن خرداذبة سنة ٢٧٢هـ تقريبا.

البلخى:

بلخ مدينة قديمة فى شمالى خراسان بمنطقة أفغانستان بالقرب من بلاد ما وراء النهر، وكانت بلخ مركزا لمعبد «النوبار» وهو أهم معابد البوذيين قبل الإسلام، وكان برمك جد البرامكة سادن هذا المعبد.

وقد غزاها العرب فى مطلع العقد الرابع حوالى سنة ٣٢هـ، بقيادة الأحنف بن قيس، وتم فتحها سنة ٤٣هـ على يد قيس بن الهيثم، وقد خرب العرب معبد النوبار عقب استيلائهم على بلخ ثم جاء الوالى الأموى الشهير أسد بن عبدالله القسرى فأعاد بناء المدينة وحصنها سنة ١٠٧هـ، بل نقل عاصمة خراسان من مرو إلى بلخ.

وظلت بلخ على ولائها للأمويين حتى استولى عليها أبو داود البرقى قائد أبى مسلم الخراسانى فانتقل ولاؤها للعباسيين، وبعد العصر العباسى الأول حظيت بلخ بنوع من الاستقلال الداخلى حتى استولى عليها السامانيون فى أواخر القرن الهجرى الثالث، ثم اكتمل مجدها خلال القرن

الرابع حتى أطلق عليها جغرافيو العرب «أم البلاد»، وحظيت بلخ بمكانة عظيمة تحت حكم الغزنويين ثم استولى عليها السلاجقة والتيموريون، وأنشأ بها شاه رخ تيمورلنك قلعة عظيمة سنة ٨١٠هـ (١٤٠٧م).

ثم آل السلطان عليها إلى الأوزبك ثم إلى الصفويين، ومنذ عام ١٢٥٧هـ استقرت بلخ مع أمراء الأفغان، وهكذا تداولتها الأيدي وعرفت الازدهار والخمول، وإن كان ازدهارها أكثر من خمولها، ويرجع سبب ذلك الاهتمام إلى موقعها بين أقطار مهمة هى الهند والصين وتركستان وإيران، وفى العصر الحديث غلب عليها الخمول وإن كانت لاتزال تفخر ببعض الآثار المهمة كالمسجد الأخضر التيمورى وبعض أضرحة الأولياء الصالحين وبعض المدارس، ومن أهم الأضرحة التى توجد فى رحابها «مزار شريف» وهو ينسب للإمام على بن أبى طالب ويقع فى ضواحى بلخ.

وقد أنجبت بلخ مجموعة من الأعلام ينسبون لها وأكثرهم من الصوفية، ومن أشهر من ينسب لها البلخى الجغرافى الذى سنتحدث عنه فيما يلى:

البلخى:

هو أحمد بن سهل وُلد بالقرب من بلخ سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م)، ونشأ فى ظل الدولة التى استقلت استقلالا تاما عن الدولة العباسية كالصفاريين أو استقلالا ذاتيا كالدولة السامانية.

وعمل البلخى فى خدمة الجيهانى وزير نصر السامانى، وبرع البلخى فى عدة علوم منها الفلسفة وعلوم السياسة، وألف فيها ونسب إليه تصنيف ٤٣ كتابا. لكن شهرته ارتبطت بمؤلفه فى الجغرافيا وعنوانه «صور الأقاليم» ويعد أقدم كتاب عربى فى الجغرافيا، توضح الخرائط أفكاره، وخرائط البلخى شملت شكل الأرض والأقاليم الواقعة عليها مع عناية خاصة بالدول الإسلامية، ولم يكتف البلخى بالخرائط التى عرفت عند الجغرافيين العرب ربما لأول مرة، بل أضاف الألوان فى رسمها، وعقب عليها بالشرح والوصف، وكان البلخى بذلك نموذجا لمن جاء بعده من الجغرافيين العرب وبخاصة الاصطخرى الذى اقتبس من البلخى كثيرا من اتجاهاته ومعلوماته.

وللبلخى كتب مفقودة عن «السياسة» و«أدب السلطان»، و«فضائل بلخ».

وقد توفى البلخى سنة ٣٢٢هـ الموافق ٩٣٤م.

الإصطخرى:

ومن العلماء المسلمين الذين اهتموا بعلم الجغرافيا الرحالة الجغرافى إبراهيم بن محمد الاصطخرى، وينسب إلى مدينة اصطخر وهى مدينة فارسية تقع بالقرب من شيراز فى منطقة كثيرة المستنقعات والبحيرات، وتلك المنطقة كانت الموطن الأول للدولة السامانية، وكان سامان مؤسس هذه الدولة سادنا للمعبد المجوسى فى اصطخر، وقد بكر العرب فى اتجاههم للاستيلاء على هذه البلدة وكان ذلك فى عام ١٩هـ (٦٤٠م)، على يد العلاء الحضرمى الذى كان أميرا للبحرين، وتمّ للعرب الاستيلاء عليها سنة ٢٣هـ (٦٣٤م) على يد أبى موسى الأشعرى وعثمان بن العاص.

ولكن أهمية اصطخر بدأت فى النقصان عندما ظهرت شيراز للوجود ابتداء من سنة ٦٤ هـ (٦٨٤م). وجذبت شيراز الأضواء منها، وفى عهد

الدولة البويهية زاد إهمال اصطخر، فمسها الخراب ولم يبق منها إلا بقايا أسوارها ومسجدها الكبير.

وقد نسب لاصطخر بعض العلماء والباحثين ومنهم الاصطخرى الفقيه قاضى الشافعية الذى تولى الحسبة فى خلافة المقتدر، وهو مؤلف كتاب «أدب القاضى».

ومنهم الفقيه المعتزلى على بن سعيد مؤلف كتاب «الرد على الباطنية» تلبية لخليفة العصر القادر العباسى.

وأشهر من ينسبون لاصطخر هو الجغرافى الرحالة إبراهيم بن محمد مؤلف كتاب «المسالك والممالك» وقد عاش الاصطخرى الجغرافى فى منتصف القرن العاشر الميلادى وكتابه «المسالك والممالك»، واسع الشهرة، وقد ألحق به المؤلف خرائط ملونة لكل من الأقطار الإسلامية، ويعتبر هذا العمل تجديدا وتطويرا لعمل أستاذه البلخى الذى تعلم منه وأخذ عنه.

وقد كتب الاصطخرى كتابه عن مشاهده، فقد طاف بأكثر البلاد الإسلامية فى الشرق والغرب وشملت رحلاته الهند شرقا والمغرب الأقصى غربا، وكان الاصطخرى معاصرا لجغرافى مسلم آخر هو ابن حوقل.

وقد ألف الاصطخرى كتابه السابق ذكره **«المسالك والممالك»** مقتبسا عنوانه من ابن خرداذبة. كما ألف كتابا آخر فى الجغرافيا عنوانه **«صور الأقاليم»**، وقد اقتبس هذا العنوان من كتاب ألفه أستاذه البلخى فى نفس الموضوع، وهذا يدل على التواصل بين المفكرين المسلمين، ومحاولة استفادة المتأخرين من المتقدمين مع تقديم بعض الزيادات، هذا ما يلاحظه قارئ هذه الكتب.

وقد قام الجغرافيون المسلمون بدور مهم فى هذا الفن، فإنهم لم يقنعوا بما ترجم من كتب بطليموس فى الجغرافيا، بل راحوا يحققون ويرحلون للبحث والدراسة، فأتيح لهم أن يصححوا كثيرا من الأخطاء التى وقع فيها بطليموس، وأن يضيفوا إلى ما دون كثيرا من المعلومات.

وكتاب **«المسالك والممالك»** للاصطخرى يشمل الحديث عن العالم الإسلامى بدءا من الجزيرة العربية وانتهاء ببلاد ما وراء النهر، ووصف الاصطخرى البلاد الواقعة على هذه المسالك وتحدث عن المدن وتجارتها ومزارعها، وصناعة أهلها، وأجرى الاصطخرى مقارنات بين المدن التى تحدث عنها.

ويتحدث الاصطخرى عن الخراج فى العصر العباسى ويذكر مقداره فى أكثر البلاد التى تكلم عنها.

ويذكر الاصطخرى تصور العباسيين للبلاد المختلفة فيقرر أن الحجاز مصدر الثقة وتثبيت البيعة، وأن العراق لاستقرار الخلافة، وأن خراسان للمال والرجال.

ويهتم الاصطخرى بالحديث عن أخبار البلاد التى يتكلم عنها فيذكر الأسر الغنية، ويشرح ثراء بعض المدن كما يذكر تاريخ بعض المدن التى يتحدث عنها غير مكتف بوصفها، بل يشير إلى تاريخها، فيذكر أن البصرة لم تكن موجودة فى أيام العجم وإنما مصرها العرب كالكوفة.

وقد توفى الاصطخرى عام ٣٤٦هـ - ٩٦٧م.

الضوء والنور بين المعارف الفيزيائية والإشارات القرآنية

-١-

اكتشف العلماء حديثا أن الضوء عبارة عن إشعاع كهرومغناطيسى مرئى فى الأحوال الموجية من ٤٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ أنجستروم (الانجستروم وحدة قياس طولها ١٠-١٠ متر). ويطلق على الموجات الكهرومغناطيسية الأطول (تحت الأحمر Inpra red) والأقصر (فوق البنفسجية Ultraviolet) - مجازا - ضوء، وإن كانت هاتين المنطقتين غير مرئيتين للعين البشرية المجردة، ويشع المنبع (المصدر) الضوئى فى الأحوال العادية ضوءا متعدد الموجات، كل موجة بجانب الأخرى، لينتج ما يسمى «الإشعاع» (Radiation).. وتبلغ سرعة انتشار الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر/ ثانية ٣×١٠^٨ متر/ ثانية، وهو حين يمرّ بمادة ما تقل سرعته عنها فى الفراغ.

أ. د. كارم السيد غنيم

وتحدث ذبذبات الضوء عادة فى جميع الاتجاهات العمودية على اتجاه انتشار الضوء، أما إذا حدثت الذبذبات فى اتجاه واحد فقط (عموديا على اتجاه الانتشار) وُصف الضوء بأنه مُسْتَقْطب (Polarised). وإذا سقط الضوء على مادة ما فإن جزءا منه يرتد (ينعكس reflect)، وجزءا آخر يختفى (يُمتص absorbed). ونتيجة لاختلاف سرعة الضوء عند مروره خلال وسطين مختلفين يحدث انكسار (Refaraction) عند الحد الفاصل بينهما.. وهناك أيضا ظواهر تحدث للضوء مثل التشتت والانحناء والتداخل وغيرها، وهى مشروحة فى الكتب المتخصصة التى تدرس للطلاب فى المدارس والجامعات.

وعند سقوط الضوء على مادة ما، فإنه لايمدها بالطاقة فقط، وإنما يمدها أيضا بـ«دفع»، وبالتالى فهناك ضغط يقع على المادة نتيجة سقوط الضوء عليها، ويسمى «ضغط الإشعاع»، أو «ضغط الضوء»، وأما حاملات الطاقة والدفع فى موجات الضوء فهى «الفوتونات الضوئية» (Photons).

ومن الضوء نمط يسمى «الضوء البروجى»، وهو عبارة عن ظاهرة ضوئية خافتة فى سماء الليل، وتمتد بطول دائرة البروج. وألمع أجزاء الضوء البروجى الخارجى هما ضوء الصباح الرئيسى وضوء المساء الرئيسى، ويمتد كل منهما حتى مسافة ٩٠ درجة من الشمس، وبالتالى فإننا نراهما لوقت طويل قبل شروق الشمس وبعد غروبها.

وضوء السماء (وتطلق «الموسوعة الفلكية» لفظة السماء على الغلاف الجوى للأرض) وهو لمعانها أثناء النهار، ويظهر نتيجة تشتت أشعة الشمس فى الغلاف الجوى الأرضى.. وهناك ما يسمى «الضوء القطبى»، وهو ظاهرة ضوئية تحدث فى حيز حلقى فى معظم الأحيان من المنطقتين القطبيتين للغلاف الجوى الأرضى، وتعرف بكل من: ضوء الشمال، وضوء الجنوب.

وتعتبر الشمس وغيرها من النجوم مصادر طبيعية لانبعاث الضوء ذاتيا، حيث يحدث الإحساس بالرؤية للأجسام المظلمة (فى ذاتها)، مثل : الأقمار والكواكب عندما يسقط عليها هذا الضوء، ثم يرتد أو يتشتت وتستقبله عين الإنسان (أو الحيوان) أو أىّ جهاز بصرى للتصوير أو الرصد.

ورد الضياء بصيغة الفعل فى عدة مواضع بالقرآن العظيم، نذكر منها قول الله تعالى: **﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون﴾** البقرة: آية ١٧، تأتى هذه الآية الفيزيائية فى معرض كشف معايب المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، ومن يريد التعرف على جوانب الموضوع بالتفصيل عليه الرجوع إلى النص ابتداء من الآية الثامنة وإلى الآية العشرين من سورة البقرة، وهى الآية التى يقول الله تبارك وتعالى فيها: **﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير﴾**.

ولقد أفاض الفخر الرازى فى (التفسير الكبير) فى شرح العديد من المسائل المتعلقة بالآية (١٧)، وفيما يلى نجتزئ بعض ما عرضه لإجلاء جوانب فى هذه الآية، والتى نود أن نبرز ما يوفق الله سبحانه فى إبرازه من جوانب علمية بها.. يطرح الفخر فى إحدى مسائله ثلاثة أسئلة هى:

١ - ما وجه التمثيل بمن أعطى نورا ثم سُلب ذلك النور منه، مع أن المنافق ليس له نور؟

٢ - إن من استوقد نارا فأضاءت قليلا فقد انتفع بها وبنورها ثم حُرم، فأما المنافقون فلا انتفاع لهم البتة بالإيمان، فما وجه التمثيل؟

٣ - إن مستوقد النار قد اكتسب لنفسه النور، والله تعالى ذهب بنوره وتركه فى الظلمات، والمنافق لم يكتسب لنفسه النور، والله تعالى ذهب بنوره، وتركه فى الظلمات، والمنافق لم يكتسب خيرا وما حصل له من الخيبة والحيرة فقد أتى بهما من قبل نفسه، فما وجه التشبيه؟.. وكان من أجوبة الفخر الرازى عرضه قول للسدى، وهو: إن أناسا دخلوا الإسلام عند وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم إنهم نافقوا بعد ذلك، والتشبيه هاهنا فى نهاية (غاية) الصحة، لأنهم بإيمانهم أولا اكتسبوا نورا، ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور ووقعوا فى حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين.. وإن لم يصح ما قاله السدى، بل كانوا منافقين من أول أمرهم، فهاهنا تأويل آخر ذكره الحسن - رحمه الله - وهو أنهم لما أظهروا الإسلام فقد ظفروا بحقن دمائهم، وسلامة أموالهم عن الغنيمة، وأولادهم عن السبى.. وعدّ ذلك نورا من أنوار الإيمان. ولما كان ذلك - بالإضافة إلى العذاب الدائم - قليلا، قُدرت شبههم بمستوقد النار الذى انتفع بضوئها قليلا.

وفى مسألة أخرى يقول صاحب (التفسير الكبير): فأما تشبيه الإيمان بالنور، والكفر بالظلمة، فهو فى كتاب الله تعالى كثير، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية فى كونه هاديا إلى المحجة، وإلى طريق المنفعة، وإزالة الحيرة، وهذا حال الإيمان فى باب الدين، فشبه ماهو النهاية فى إزالة الحيرة، ووجدان المنفعة فى باب الدين بما

هو الغاية فى باب الدنيا، وكذلك القول فى تشبيه الكفر بالظلمة، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه، لا يرد عليه من أسباب الحرمان، والتحير أعظم من الظلمة، ولا شىء كذلك فى باب الدين أعظم من الكفر، فشبه الله تعالى أحدهما بالآخر.. ويواصل صاحب (التفسير الكبير) طرح الأسئلة وعرض الأجوبة، ومنها هلا قيل: ذهب الله بضوئهم، لقوله تعالى: ﴿**فلما أضاءت**﴾؟ وأجاب بقوله: ذِكْرُ النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: «ذهب الله بضوئهم» لأوْهَم ذهاب الكمال، وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم بالكلية، ألا ترى كيف ذكر عُقَيْبه «**وتركهم فى ظلمات لا يبصرون**»، والظلمة عبارة عن عدم النور، وكيف جمعها؟ وكيف نكَّرها؟ وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة خالصة؟ وهو قوله: «**لا يبصرون**».

وبنحو هذا قال النيسابورى فى (غرائب القرآن).. وإنما لم يقل (**ذهب الله بضوئهم**) على سياق «**فلما أضاءت**»، لأن ذكر النور أبلغ فى الغرض، وهو إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا، فإن الضوء شدة النور وزيادته، وذهاب الأصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس.. وفى جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على أنها ظلمة لايتراءى فيها شبحان، وفى قوله «**لا يبصرون**» دلالة على أن الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون.

وبتطبيق ما اكتشفه العلم حديثا نجد أنه لما أضاءت النار ما حول المنافقين من الأجسام المعتمة سقط الضوء فوقها، وانعكس عنها، فكشفها للناظرين، ثم ذهب الله بالضوء الساقط المنعكس عن هذه الأجسام، وهو الذى كان يسقط على أبصارهم، ولذلك نسبه إليهم بقوله جل وعلا: ﴿**بنورهم**﴾.. أما ما ينبعث من النار فـ(ضياء)، وأما بعد سقوطه على الأجسام المعتمة وانعكاسه عنها فـ(نور)، ففى هذه الآية القرآنية جعل الله النور ضدا أو مقابلا لظلمة الأجسام غير المضيئة بذاتها، لأنه هو السبب المباشر فى إزالة الضوء الذاتى قبل سقوطه على هذه الأجسام وانعكاسه عنها فليس هو السبب المباشر لإزالة ظلمتها، فقد يوجد هذا الضوء فى الغرفة، لكنه لا يسقط على أجسام لا ينعكس عن شىء وبالتالى لا ينير الغرفة، فالوحى الإلهى هو الضوء الذى يبدد ظلمات النفوس البشرية، كما أن الضوء الحسى يقع على دقائق الغلاف الجوى (للأرض) فينير النهار، حتى وإن لم تسقط أشعة الشمس على الإجسام والأشياء أمامنا.

إضافة إلى ورود (الضياء) فى القرآن الكريم بصيغة الفعل، وهو ما ذكرناه سابقا، فلقد ورد أيضا بصيغة المصدر فى عدة مواضع منها قول الله تعالى: ﴿**هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا**﴾ يونس: آية ٥. كما أوضح الله سبحانه صفات ضياء الشمس فى آية قرآنية أخرى فقال جل وعلا: ﴿**وجعل الشمس سراجا**﴾ نوح: آية ١٦، وكذلك فى الآية ١٣ من سورة النبأ ﴿**وجعلنا سراجا وهاجا**﴾، أى أن الشمس (وهى من النجوم) سراج مضئ متقد بلهب..

إن القرآن العظيم يصف الأشياء حسب طبائعها وصفا علميا دقيقا، يؤكد لأصحاب العقول السليمة، والنفوس الصحيحة، فى كل زمان وكل مكان، أنه كتاب صادر من لدن حكيم عليم خبير، خالق مدبر، وهى أوصاف وحقائق ومعان علمية صحيحة لم تظهر إلا بعد مرور قرون عديدة من تاريخ نزول القرآن، وقد وضح من الآيات التى ذكرناها أن الله سبحانه ساق الضياء (فعلا ومصدرا) للتعبير عن الضوء المنبعث من الأجسام والأجرام مثل الشمس، لكنه أورد النور (وتقابله الظلمة) للتعبير عن الضوء المنعكس عن الأجسام المعتمة، مثل القمر.. ﴿**وجعل القمر فيهن نورا**﴾ نوح: آية ١٦.

كما أن الله سبحانه قال فى سورة القصص آية ٧١: **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾**، وهو إشارة إلى ضوء الشمس بالنهار، ولقد سمى الله تعالى رسالته التى أنزلها على كليمه موسى عليه السلام وهى التوراة ـ ضياء، حين قال: **﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾** الأنبياء: آية ٤٨، وذلك أن هذه الرسالة تبين سبيل الحق من سبل الباطل، وتوضح الخير من الشر، مثلما يكشف الضوء طريق السلامة من طريق الندامة، وهو فى هذه الآية ضياء معنوى على شاكلة الضياء الحسى. والضياء (أو الضوء) هاهنا يصدر من مصدره مباشرة، وذلك لأن الله كلم موسى تكليما بدون واسطة (ملك الوحى)، كما يحدث عادة مع غيره من الرسل، وبالتالى فالتوراة ضياء مباشر، وليست نورا، أى ليست ضوءا منعكسا على ملك الوحى واستقبله موسى. وأما قول الله تعالى: **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾** المائدة: آية ٤٤، فيوضح خصائص التوراة بعد قيام موسى بتبليغها للناس، أما قبل التبليغ فهى ضياء مباشر للناس.

ـ ٢ ـ

يقول أهل اللغة: الضياء أخص من النور، وكان العرب قديما لا يفرقون بين الضياء والنور، فكلاهما عندهم بمعنى الضوء المنتشر من النيرات (أى: الأجسام المنيرة). ولكن المقابلة بين الآيات القرآنية التى وردت بها النجوم بالآيات التى وردت بها الكواكب توضح بجلاء أن الضياء من خواص النجوم والنور من خواص الكواكب (والأقمار): ولقد أشار القرآن إلى هذا الفرق فى مواضع عديدة. وحين وصف الله رسوله محمدا ﷺ لم يصفه بالضياء (أو الضوء والإضاءة)، بل وصفه بالنور (أو الإنارة)، فقال فى محكم التنزيل: **﴿ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾** الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦، فهو ﷺ سراج لكنه لا يضئ بذاته، بل ينزل عليه الوحى (كسقوط الضوء الحسى) فينعكس على ملك الوحى جبريل عليه السلام.. وهكذا يتأكد بهذا الوصف العلمى الدقيق أن القرآن لم يصدر عن رسول الله وإنما صدر عن الله ذاته، ثم نزل ووقع على قلب الرسول فانعكس لينير الدنيا للعالمين..

يرد (النور) فى القرآن العظيم مفردا دائما، أو (الظلام) فيأتى فى القرآن العظيم دائما بصيغة الجمع، وفى هذا حكمة بالغة. وأما الأمثلة التى توضح هذا فعديدة، نذكر منها قول الله تعالى: **﴿الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** البقرة: آية ٢٥٧، **﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾** إبراهيم: آية ١. **﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾** الحديد: آية ٩. **﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا﴾ ﴿رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾** الطلاق: الآيتان ١٠، ١١، **﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون﴾** البقرة: آية ١٧، **﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾** فاطر: الآيات من ١٩ ـ ٢٢، **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ ﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾** المائدة: الآيتان ١٥، ١٦، **﴿ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم**

﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ النساء: الآية: ١٧٤، **﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾** النور: آية ٤٠. **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾** التوبة: آية ٣٢، **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾** الزمر: آية ٢٢.

وقد تكون الحكمة من إفراد (النور) وجمع (الظلمات) هى أن النور مستمد من نور الله، الذى هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، فاقتضت الحكمة أن يفرده كما تفرد سبحانه بجميع صفاته. والنور فى حقيقته شفاف، وبالتالى فمن يحصل على القليل منه، يهديه إلى الكثير. أما الظلام فداء ووباء، وقليله يولد كثيره، والظلمات عديدة، ظلام الجهل، ظلام الضلال، ظلام الكفر، ظلام التيه، ظلام الحيرة، ظلام العناد والمكابرة،.. الخ. ولكن النور واحد المصدر، ويكفى قليله لإنارة الطريق لمن شرح الله صدره للإيمان.

والآية (٣٥) فى سورة النور، تحدث فيها نفر من العلماء، قديما وحديثا، بما يكفى لتأليف كتب، ولكننا أبينا أن نغفل هذه الآية الكريمة، أو نحرم القارئ من جرعة - ولو قليلة - من نتائج دراسة العلماء لها.

يقول الله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم﴾** النور: آية ٣٥.

ومما شرحه صاحب (غرائب القرآن)، قوله: قُرئت «نور» - عند البعض - بتشديد الوار «نوَّر». فكيف المعنى (منوِّر السموات والأرض). ولكن ما المراد بالنور؟ الأكثرون على أنه الهداية والحق، كما قال فى آخر الآية «يهدى الله لنوره من يشاء»، شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه، وأضافه إلى السموات والأرض للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضى له السموات والأرض، أو على حذف المضاف: أى: نور أهل السموات والأرض. وقيل: نوَّر السموات بالملائكة وبالأجرام النيرة، والأرض بها وبالأنبياء والعلماء.. وقيل: هو تدبيره إياهما بحكمة كاملة، كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد، إذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا، فهو لهم كالنور الذى يهتدى به فى المضايق والمزالق، هذا القول اختيار الأصم والزجاج.

ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى رسالته (مشكاة الأنوار): إن الله تعالى نور فى الحقيقة، بل لا نور إلا هو، وبيانه أن للإنسان (بصرا) يدرك به النور المحسوس الواقع من الأجرام النيرة على ظواهر الأجسام الكثيفة، و(بصيرة) هى القوة العاقلة، ولا شك أن البصيرة أقوى من البصر.. وبعد أن عدد الغزالى أسباب قوة البصيرة وضعف البصر، قال: المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الإنسانية، **فأولها:** القوة الحساسة التى هى أصل الروح الحيوانى، وتوجد للصبى، بل لكل حيوان، وأوفق مثال لها من عالم الأجسام: المشكاة.

وثانيها: القوة الخيالية التى تحفظ ما تورده الحواس (مخزونا عندها) لتعرضه على القوة العقلية التى فوقهاعند الحاجة إليه، وأنت لا تجد شيئا فى عالم الأجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة، فإنها فى الأصل جوهر كثيف، ولكن صُفِّى ورُقِّق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح..

وثالثها: القوة العقلية القوية (أىْ: القادرة) على إدارك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية، ولا يخفى

وجه تمثيله بالمصباح كما مرَّ فى تسمية النبى سراجا..

ورابعها: القوة الفكرية القوية (أىْ: القادرة) على التقسيمات والاستنتاجات، فمثالها مثال الشجرة المثمرة..

وخامسها: القوة القدسية النبوية التى **﴿يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾**.وقال الشيخ الرئيس ابن سينا بما يشبه كلام حجة الإسلام الغزالى فى هذا الشأن.

وإذا كان لفظ (النور) قد ورد فى خمسين آية (تقريبا) بالقرآن العظيم، فإنه فى معظم هذه المواضع يشير إلى النور المعنوى، وإن كان يشير فى بعض المواضع إلى النور الحسى أو النور الحسى والمعنوى. وفى آية سورة النور يمثل الله سبحانه نوره بالضوء المنبعث من زجاجة داخلها مصدر إضاءة هو مصباح، أما الزجاجة فهى جسم غير مضىء بذاته، لكنه يحيط بمصدر اللهب والضوء وهو المصباح، لكنه أوضح أن هذه الزجاجة تُرى متلألئة كالكوكب الدرىّ، وذلك بعد أن يسقط الضوء عليها ويرتد (ينعكس) عنها، وتعبر الآية عن هذا بـ«**نور على نور**»، أىْ: أنه ليس بنور واحد، بل بأنوار بعضها فوق بعض، وهو اللمعان والتلألؤ الذى وصف الله به السطح الداخلى لهذه الزجاجة، وهو ما يرى أيضا فى الأحجار الكريمة الشفافة الرائقة ذات الكثافة العالية، كالماس، التى بسقوط شعاع الضوء على إحداها، يتكرر انعكاسه مرات عديدة متوالية فى داخلها فيتراكم فى نقط عديدة بعضه فوق البعض، فيرى الشخص المنظر الإجمالى وكأنه لمعان ناشىء من مصادر ضوئية عديدة. وهكذا كان سطح الزجاجة شديد اللمعان من كثرة مرات انعكاس الضوء بداخلها، فى نقاط عديدة، قبل انبعاثه إلى خارجها، وبالتالى تبدو الزجاجة وكأنها كوكب درى من فرط نورها.

ونرى من المناسب أن نأتى فى هذا الموضوع بآية قرآنية يقول الله سبحانه وتعالى فيها: **﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾** الصافات: آية ٦، ولما كانت الزينة صفة غير لازمة للأجسام (والأجرام) ومحلها أسطح هذه الأجسام لا بواطنها، فإن هذه الآية تدل دلالة أكيدة على ظلمة الكواكب (والأقمار) فى حد ذاتها، وأن ما نراه من نورها إنما هو ضوء سقط على أسطحها من نجوم أو أجرام مضيئة بذواتها، وهكذا تكون النيرات أقسام، منها ما ضياؤه ذاتيا كالنجوم، ومنها ما ضياؤه مكتسبا، بارتداد ضوء النجوم الساقط على سطحه، وهو مالم يكن معروفا للإنسان فى كافة بقاع العالم، لا وقت تنزل القرآن فقط، بل إلى عهد قريب، فسبحان من هذا كلامه، سبحان منزل القرآن العظيم ليكون خاتما لكتبه إلى البشر أجمعين.

وختاما، فالإشراق المذكور فى قول الله تعالى: **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾** الزمر: آية ٦٩، له معنيان، أحدهما ظاهرى (مباشر) وهو التلألؤ واللمعان، والآخر مجازى وهو البركة، ومن أخذوا بالمعنى المجازى ـ وهو الشائع قديما ـ لم يعلموا بأن الأرض كوكب ينير بانعكاس الأشعة الساقطة على سطحه، ولهم عذرهم، لأن هذه الحقيقة العلمية لم يتوصل الإنسان إليها إلا بعد ما استطاع الخروج من أطر الأرض جميعها وتمكن من السباحة فى الفضاء الخارجى، فرأى رواد الفضاء الأرض منيرة، كما نرى نحن سكان الأرض القمر منيرا. كما أن الله سبحانه نسب النور إلى ذاته العلية بلفظة «**ربها**» لنعلم نحن البشر أنه هو المتولى والراعى لجميع المخلوقات، القيوم على شئون الكائنات، حيها وجامدها، ما نعلم منها ومالم نعلم.

«تخيروا لنطفكم» من منظور طبى إسلامى

أ. د/ عبدالمعبود عمارة

الزواج الناجح هو الذى يقوم على الأسس الدينية والصحية وهو علاج للروح والجسد وعاصم من الانحراف وبه تسكن النفس وتكمل الألفة، وتحفظ الصحة وهو ضرورة اجتماعية يتوقف عليها بقاء النوع وخلود العمل الصالح.. وهو فوق ذلك يعالج أمراض الانعزالية والتهرب من الواجبات الاجتماعية ويعالج أمراض الشذوذ والانحراف الخلقى ويمنع الجرائم حين يطلق البعض العنان للغرائز.

وحينما ندعم الجانب الدينى فى الزواج باتباع الأسلوب العلمى واختيار الزوجين لبعضهما بعد الفحص الطبى الضرورى فإن ذلك يساعد على تكوين الأسرة والمجتمع القوى، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. قال تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ القصص: آية ٢٦.

وقال تعالى ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ الروم: آية ٢١.

وقال تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**﴾ الرعد: آية ٣٨.

والزواج سنة من سنن الإسلام وسبيل دعا إليه الأنبياء والصالحون. وهو دعامة العمران ورباط الأسر وداعية للتآلف والتآزر وطريق الرحمة والمودة والسكن النفسى والجسدى وهو وسيلة الطهر والاستقامة وغض البصر وإحصان الفرج وإبعاد للنفس عن هواجس الشيطان. قال تعالى: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾ النور: آية ٣٢.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود.

وعلى الزوج أن يختار زوجته من أسرة كريمة ذات دين لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل**» رواه ابن ماجه.

وأن تكون الزوجة من الأسر المعروفة بالخلو من الأمراض الوراثية والمعروفة بحسن الرعاية للزوج والحنان على الأولاد والاقتصاد وترك التبذير فى الإنفاق لأن الأم هى البناء الأساسى لمجتمع قوى

معافى من العلل والعاهات النفسية والعضوية.

وينبغى أن تكون الزوجة منجبه ويعرف ذلك بسلامة بدنها وبقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعماتها وخالاتها. وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»**، والذى رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق. فلأن الولد ينزع إلى أصل أمه وعنها يرث الطبائع والصفات ويأخذ السلوك والتقاليد وهذا هو ما تحمله جينات الوراثة والتى تتسبب فى نقل كثير من الأمراض الوراثية.

ولما كان أيضا الزواج طريق المودة والرحمة والسكون الجسدى والنفسى واستمرارية للعمل الصالح بوجود الولد الصالح وحفظا للنفس والدين كان لابد من الاطمئنان على صحة الزوجين قبل الزواج بالفحوص الطبية لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قال تعالى: **﴿قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** القصص: آية ٢٦.

فالقوة أى سلامة البدن مطلوبة كطلب الأمانة «الدين» ويجب فحص الحالة النفسية والعصبية للحفاظ على مستقبل الأسرة من التفكك.

ويجب فحص الزوجين لمعرفة الإصابة بفيروس (**B**) و (**C**) الكبديين وستيومجالوفيرس والذى يؤدى إلى إجهاض السيدات الحوامل ويؤدى إلى تشوهات جنينية.

وكذلك الفحص لمعرفة الخلو من فيروس الإيدز المدمر والزهرى والسيلان ومعرفة عامل **RH** فإن كان سلبيا فى الأنثى فعليها أخذ الحقنة المضادة حتى تحمى نفسها من الإجهاض أو تتزوج بمن يماثلها من الرجال أى (**Rh** سلبى).

وأما الزواج بذات القرابة القريبة فإن ذلك غير مرغوب فيه لما جاء فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣ ص١٠٦، طبعة المكتبة العلمية ببيروت «اغتربوا لاتضووا» أى تزوجوا الغرائب دون القرائب فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى من ولد القريبة، وقد أضوت المرأة إذا ولدت ولدا ضعيفا فمعنى لا تضووا أى لا تأتوا بأولاد ضاوين أى ضعفاء نحفاء.

ومن القول الحكيم **﴿لا تنحكوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا﴾**.

والمعروف أن كثيرا من الأمراض الوراثية تنتشر فى بعض الأسر كبعض أمراض القلب والدورة الدموية والأمراض الصدرية ومرض نقص إفراز الغدة الدرقية وأمراض التخلف العقلى ونقص الجلاكتوز فى لبن الأم.

وقد أنشئت فى بعض كليات الطب وحدات لدراسة الأمراض الوراثية وأنيط بها المسح الصحى الوراثى للأسرة، وهذه الوحدات الطبية تقدم النصائح للراغبين فى الزواج، وتنصح بعدم إتمام الزواج بين الطرفين إذا كان كلاهما حاملا لنفس المرض لأن كثيرا من الأمراض الوراثية لا علاج لها، وأخذ الحذر واجب دينى أمر به المولى تبارك وتعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾**.

ومن حاد عن سنة رسول الله ولم يظفر بذات الدين **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»** - من الحديث الشريف المتفق عليه - أصيب بالأمراض العضوية والنفسية والتى قد تؤدى إلى تشريد الأسر وتشتيت الأطفال وفقد الانتماء والمحبة والتعاطف والتواد بين أفراد الأسرة.

وربما وصل الأمر بالشك والريبة، وفى حالات كثيرة قد يصل الأمر إلى الجنون أو الانتحار وتطالعنا الجرائد والصحف اليومية بجرائم قتل وتشريد وهتك عرض وأمراض جنسية لا تعالج وسبب كل هذا هو عدم اتباع سنة رسول الله ﷺ فى الزواج: **«تنكح المرأة لأربع: لدينها وحسبها وجمالها ومالها فاظفر بذات الدين تربت يداك»** متفق عليه.

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار

لعبد الرحمن الجبرتى

من ١١٦٨هـ ـ ١٧٥٤م إلى ١٢٣٧هـ ـ ١٨٢٢م

من التراث الإسلامى

ـ ١ ـ

عبد الرحمن الجبرتى من أشهر المؤرخين المصريين فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر. وكتابه «عجائب الآثار» مصدر فريد لتاريخ مصر فى فترة حافلة بالأحداث، وفى أحداث الحملة الفرنسية على مصر وبدايات حكم محمد على؛ ويقول الجبرتى فى مقدمة كتابه:

«.. كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الذى نحن فيه، جمعت فيها بعض الوقائع الإجمالية، وأخرى محققة تفصيلية، وغالبها نحن أدركناها، وأمور شاهدناها.. الخ».

د. محمد عبد المنعم خفاجى

هذا المؤرخ المصرى الكبير هو عبدالرحمن بن حسن بن برهان الدين الجبرتى الحنفى، من أسرة حبشية من بلاد الجبرت[1] استقرت بالقاهرة من نحو سبعة قرون، حيث وفد أحد أجدادهم إلى القاهرة للدراسة فى الأزهر الشريف، والإقامة فى رواق الجبرتية أحد الأروقة فى جامع الأزهر.

والده الشيخ حسن بن على بن محمد الجبرتى المتوفى عام ١١٨٥هـ ـ ١٧٧٢م كان عظيم الإلمام بالعلوم الرياضية وكان معاصرا للشيخ الشبراوى شيخ الأزهر الشريف[2] (١١٣٧ ـ ١١٧١هـ)، وكان مقربا من الوالى التركى أحمد باشا، وقد ورث عن أهله وزوجته متاجر ومنازل وضياعا.

ونشأ عبدالرحمن فى كنف والده العالم الأزهرى الثرى؛ وحفظ القرآن الكريم، ومتون اللغة والفقه والتوحيد والنحو، ودخل الأزهر طالبا وشغف بالتاريخ شغفا ظاهرا، وعزم على أن يؤرخ حوادث مصر فى كتاب جامع.

لقد صار الجبرتى شيخا أزهريا عالما مؤرخا، عاصر أحداث عصره وأخذ يدونها كما شاهدها ورآها، ورأى قدوم الحملة الفرنسية على مصر،

وشاهد ثورة الشعب ضد الحملة، وكان شاهد عيان لكل هذه الأحداث يؤرخها ويفصل أنباءها، كما عاصر قيام حكم محمد على فى مصر، ورأى بعينى رأسه طغيان محمد على واستهانته بالشعب فكتب فى تاريخه ينقده ويبين أخطاء سياسته، وكان بدء كتاباته التاريخية من سنة ١٠٩٩ إلى ١٢٣٦هـ أى إلى سنة ١٨٢٠م.

اغتال محمد على مؤرخنا عبدالرحمن بعد أن ضاق صدره بنقده لسياسته فى شارع شبرا أثناء عودته إلى القاهرة فى ليلة ٢٧ من رمضان من عام ١٢٣٧هـ - ٢٢ يونيو عام ١٨٢٢م وانتهت حياة المؤرخ الكبير عن سبعين عاما قضاها فى الدرس والتأليف والتدوين، واستقصاء الحقائق وتتبع الأحداث، وتفسير ما غمض من أمور مصر وسياسة حكامها.

-٢-

و«عجائب الآثار» هذه الموسوعة التاريخية الضخمة التى تقع فى أربعة مجلدات عمل كبير أنقذ به عبدالرحمن الجبرتى تاريخ مصر من الضياع، فى فترة حافلة بمختلف التيارات والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية.

بدأ عبدالرحمن كتابه بمقدمة عمن مَلَكَ مصر من الأيوبين والمماليك البحرية والجركسية؛ ثم انتقل إلى تدوين أحداث عام ١٠٩٩هـ، معتمدا فى أخباره على ذكريات المتقدمين فى السن وعلى الوثائق العامة والكتابات المختلفة حتى عام ١١٧٠هـ.

ومن عام ١١٧٠ هـ اتبع مؤرخنا طريقة اليوميات والحوليات فجاء كتابه سجلا حافلا فى دقة ووضوح وعمق تحليل ودراسة وبحث، وذكر للخطط والآثار، من مساجد وكتاتيب وأسبلة وقصور وبساتين ومرافق، كما عنى بالترجمة لأعلام عصره من سياسيين وعلماء وشعراء وأدباء ومؤلفين، والكتاب يقع فى أربعة مجلدات (أجزاء) ضخام.

فى الجزء الأول والثانى من «عجائب الآثار» يؤرخ الجبرتى لعصر المماليك، ولعلى بك الكبير، ومحمد أبو الذهب، وإبراهيم بك، ومراد بك (المتوفى عام ١١٠٨هـ - ١٦٩٦م) فى أمانة وصدق واستقصاء؛ ويلم إلماما واسعا بحياة مصر فى العهد العثمانى التركى.

ويذكر أخبار الحملة الفرنسية، وثورة القاهرة الأولى والثانية بالتفصيل فى المجلد الثالث من تاريخه.

ثم يذكر بدايات حكم محمد على، ويضيق صدره بسياسة هذا التركى الجبار المتعسف الذى لا يبالى بصوت الشعب، ولا يصون حريته، ولا يحترم مشاعره، وبحسبنا مذبحة المماليك وسياسة محمد على مع عمر مكرم وغيره من قادة الرأى فى مصر آنذاك، وكل ذلك مما دونه الجبرتى فى الجزء الرابع من تاريخه.

وضاق صدر محمد على بالجبرتى وكتاباته التى عبر فيها عن رأيه فى سياسات هذا الجبار المتعطش للدماء، فاغتيل عبدالرحمن الجبرتى فى طريق مظلم موحش فى شبرا أثناء عودته من شبرا إلى القاهرة بتحريض من محمد على، وباشر سليمان أغا السلحدار عملية الاغتيال، ومات الرجل الذى حفظ لنا تاريخ مصر فى فترة حالكة من الضياع والنسيان والاندثار.

مات الجبرتى أعظم مؤرخ شهدته مصر فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.

وكان كتاب «عجائب الآثار» على وشك الضياع لولا أن بعض المكتبات الفرنسية قد احتفظت بنسخ منه إلى أن طبع الكتاب فى القاهرة فى المطبعة الأميرية فى أربعة أجزاء ضخام، ثم طبعته «الهيئة العامة للكتاب» أخيرا فى طبعة محققة.

-٣-

وقد ترك لنا الجبرتى مؤلفا آخر هو «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس»، وهو عن

الحملة الفرنسية، الذى ظهرت منه طبعة فرنسية قام بها (كاردان) عام ١٨٣٨م، وكان كاردان مترجما فى القنصلية الفرنسية فى القاهرة.

كما ترجم هذا الكتاب إلى التركية، ثم طبع فى القاهرة عن النسخة الأصلية بخط الجبرتى فى أوائل الستينيات من هذا القرن العشرين، وللجبرتى أثران آخران مخطوطان:

أولهما: تلخيص كتاب «سلك الدرر» للمرادى.

وثانيهما: تلخيص كتاب تذكرة داود للأنطاكى، وعسى أن ينشرا محققين، حفاظا على تراث الجبرتى شيخ المؤرخين المصريين المحدثين.

ولقد قام ألكسندر كاردان المترجم فى القنصلية الفرنسية بنقل ما كتبه الجبرتى عن الغزو الفرنسى لمصر، ونشره فى المجلة الآسيوية أولا، ثم أعاد نشره فى كتاب صدر فى باريس عام ١٨٣٨م، وكان كاردان يستقى معلوماته عن الجبرتى من أسرة الجبرتى نفسه، وحمل الكتاب عنوان **«مظهر التقديس بذهاب دول الفرنسيس».**

والواقفون على مجرى الأمور يؤكدون أن طبعة المطبعة الأميرية لتاريخ الجبرتى قد لعبت بها الأيدى وحذف منها الكثير من الأعمال الوحشية التى قام بها محمد على لدعم سلطانه فى البلاد، أما الطبعة الأولى الأصلية للكتاب فقد صودرت من قبل.

- ٤ -

لقد وقف الجبرتى مذعورا أمام أحداث كثيرة شاهدها أو سمع بها ودونها فى تاريخه الكبير.

عاصر مذبحة المماليك بيد محمد على وسمع الكثير من أنبائها وكتب عنها يقول:

أسرف العسكر فى قتل المصريين، وسلب ما عليهم من الثياب، ولم يرحموا أحدا، وأظهروا كامن حقدهم.. وعندما تحقق العسكر من حصول الواقعة وقتل الأمراء، انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم، طالبين النهب والغنيمة، فولجوها بغتة، ونهبوها نهبا ذريعا، وهتكوا الحرائر والحرير، وسحبوا النساء والجوارى، وسلبوا ما عليهم من الحلى والجواهر والثياب، وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعه بسرعة فقطع يد المرأة.. وسالت الدماء مدرارا فى الأقاليم والقرى، ووردت الروؤس فى ثانى يوم من النواحى، فوضعت بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة، وكان القتلى يلقون فى حفر فوق بعضهم البعض وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء، وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفرة.. وكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى يحدث مثلها.

ويتهكم الجبرتى فى تاريخه كذلك بنابليون بونابرت الذى زعم فى منشوراته التى كان يصدرها فى القاهرة ويوزعها على الناس بأنه إنما جاء إلى مصر بجيشه لهلاك أعداء الإسلام وكسر الصلبان، وأن الله قدر فى الأزل أن يجىء من الغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها.

لقد سجل الجبرتى كل أحداث مصر صغيرها وكبيرها فى تاريخه الكبير، وترجم لأعلامها وعلمائها وأدبائها، وكبار الشخصيات فيها ترجمات مفصلة، وحفظ لنا الكثير من الوثائق النادرة فى حياة الشعب، وترك لنا تراثا غاليا لا يقدر بمال.

ومات الجبرتى مقتولا، وترك بتاريخه صفحات خالدات فى سجل أعمال المؤرخين المصريين الذين حفظوا لنا تاريخ مصر من الضياع.

الهوامش

١ - إقليم ساحلى يقع إلى الغرب من ميناء زيلع (فى الصومال الشمالى) يجاور اثيوبيا، وهو اليوم مابين الصومال وأريتريا.

٢ - راجع الأزهر في ألف عام لصاحب هذا البحث (١١٨/١، ٣/ ٣٣١)، وعجائب الآثار (١٩٣/١).

صورة الإسلام فى المناهج الدراسية فى الغرب

إن قضية صورة الإسلام فى المناهج الدراسية فى الدول الأوروبية والأمريكية من أهم القضايا التى يجب أن يوليها القائمون على التربية والتعليم فى الدول العربية والإسلامية اهتمامهم إذا رغبنا التعايش السلمى والرغبة الحقيقية فى أن يسود العالم سلام شامل وعادل.

د. فوزية العشماوى

وعلينا أن نعيد قراءة كتب التاريخ المدرسية، خاصة إعادة قراءة ما سطره الغربيون فى كتب التاريخ المدرسية عن الإسلام والمسلمين، بهدف تقليل الاختلاف والحد من المتناقضات التى تعرقل الحوار بين الشمال والجنوب، فيجب أن نستخرج من المناهج الدراسية كل «الأنماط الثابتة» «Stereotypes» أى الأنماط الذهنية المتكونة عن المسلمين فى الوعى الأوروبى والصور التى يتم تكرارها بأسلوب سلبى كلما جاء ذكر المسلمين وكذلك الأحكام التقديرية المسبقة التى تعكس وجهة نظر متعنتة تجاه الإسلام وتبرز مدى تحيز مؤلفى تلك المناهج التاريخية وفقدانهم لروح الموضوعية، وسنقدم بعض الاقتراحات لإعادة صياغة المناهج الدراسية بهدف تصحيح الأفكار المسبقة والمعتقدات الخاطئة المتوارثة وذلك فى سبيل تحقيق مفهوم أفضل عن الآخر وتعريف أفضل بالتاريخ الإسلامى الصحيح.

أوروبا محور العالم:

حين نستعرض كتب التاريخ المدرسية الغربية ونقوم بتحليل ما تذكره عن الإسلام وعن العالم

الإسلامى نجد أن الصفحات المخصصة لعرض كل ما يتعلق بالإسلام لا يزيد عن ١٠ صفحات من إجمالى كتاب التاريخ الذى تتراوح عدد صفحاته فى الغالب ما بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ صفحة ـ أى أن النسبة لا تزيد عن ٣٪ من المقرر الدراسى، وهى نسبة ضئيلة جدا بالمقارنة بباقى المقرر: أى بنسبة ٩٧٪ المخصصة لتاريخ أوروبا وأمريكا، وفى الغالب يكون الفصل المخصص للعالم الإسلامى مندرجا فى إطار بلاد العالم الثالث سواء من الناحية الجغرافية أو من الناحية التاريخية، وأحيانا يأتى ذكر الإسلام والمسلمين كحضارة من الحضارات أو كتيار من التيارات الدينية والأيدلوجية التى عرفتها الإنسانية عبر التاريخ والمنتشرة حاليا فى العالم. وكثيرا ما يأتى ذكر الإسلام فى إطار توزيع الثروات الطبيعية فى العالم ويقترن ذكر الإسلام والمسلمين بالبلاد المنتجة للنفط لأن معظمها يدين بالدين الإسلامى، ولقد لاحظنا أن معظم المناهج الدراسية فى الدول الأوروبية تجعل من أوروبا المحور الذى تدور حوله الأحداث التاريخية الهامة ولا تعرض كتب التاريخ ما جرى من أحداث تاريخية هامة فى دول الجنوب، أو فى منطقة الشرق العربى، وقارتى افريقيا وآسيا، فالاهتمام كله منصبٌّ على أوروبا وتاريخها القديم والحديث، أما الأحداث التاريخية الهامة التى تعتبر علامات ثابتة فى تاريخ الأمة العربية والإسلامية

على المسلمين اليوم أن يحرصوا على تصحيح صورة الإسلام المشوهة فى الغرب دون التفريط فى حق من حقوق الإنسان المسلم

فيتم إغفالها تماما، ويتم التركيز فقط على بعض الأحداث غير ذات الأهمية والتى تبرز مثلا تفوق أوروبا أو انتصارها على المسلمين والغرض من وراء ذلك بالطبع هو محاولة لرفض «الآخر» أى العربى المسلم المختلف عن الأوروبى وعدم قبول التعرف عليه وعلى هويته، ودوره فى تاريخ العالم وقيمة هذا الدور، وهذه اللامبالاة بتاريخ الآخر إنما تعكس الرفض الواعى أو غير الواعى للآخر.

لقد قمنا عام ١٩٩٤م بإجراء دراسة مقارنة باللغة الفرنسية عن صورة المسلم فى كتب التاريخ المدرسية فى بعض دول البحر الأبيض المتوسط: (فرنسا وأسبانيا واليونان)، تحت إشراف اليونسكو، ولقد اهتممنا فى هذه الدراسة بكتب التاريخ فى نهاية المرحلة الابتدائية وجاء فى نتائج البحث:

«إن التاريخ الذى يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار يعلمنا أشياء مختلفة تماما عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب المسلمين فى مدارس جنوب البحر الأبيض المتوسط، وعلى سبيل المثال فإن كتب التاريخ المدرسية فى دول شمال المتوسط تعمد إلى تقديم مفهوم عن الإسلام وعن نبى الإسلام محمد ﷺ يتفق مع المفهوم اليهودى والمسيحى للإسلام، ويحتوى على معلومات تجرح شعور المسلمين.

كذلك لا يتم عرض المفاهيم الإسلامية بأسلوب

علمى، فنجد أن نبى الإسلام ﷺ يتم تقديمه أحيانا على أنه رسول، وأحيانا أخرى على أنه شاعر ملهم يرى رؤى خارقة، ولهذا الغرض يستخدم مؤلف الكتاب المدرسى صيغة فعل الشك Conditionnel والهدف من وراء ذلك هو زرع الشك فى نفوس صغار التلاميذ فى مصداقية الرسول محمد ﷺ، ولقد لاحظنا أثناء إجراء هذه الدراسة عن صورة المسلم فى المناهج الأوروبية ـ أنه فى أغلب الأحيان يبدأ الحديث عن الإسلام بذكر الانتشار السريع المخيف للإسلام من خلال الفتوحات الإسلامية فى القرن السابع والثامن الميلادى، وكيف أن جيوش المسلمين الزاحفة على أوروبا اكتسحت تلك البلاد واستولت عليها بقوة السيف، وأزلت أهلها، ونهبت أموالهم وثرواتهم حتى كانت هزيمة المسلمين على يد «شارل مارتال»، القائد الفرنسى الذى أوقف الغزو الإسلامى فى معركة «بواتيه» فى جنوب فرنسا عام ٧٣٢م. كذلك يتم تصوير المحاربين العرب وكأنهم وحوش كاسرة وتتكرر هذه الصورة باستمرار فى نفس القالب المحدد Stereotypes قالب الغزاة المتوحشين الذين يثيرون الرعب، ولا يمكن هزيمتهم ويشكلون تهديدا مستمرا ثقيلا لجيرانهم.

أما أهم فصل من فصول المناهج الدراسية المخصص للجوانب التاريخية للإسلام فهو الفصل الخاص بالحروب الصليبية: فإن هذه المناهج تصور الحروب الصليبية على أنها حروب كان الهدف الأساسى من ورائها هو تحرير بيت المقدس من أيدى «الكفار» أى المسلمين الذين كانوا، حسب ادعاء الأوروبيين يحتلونها ويسيئون معاملة الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية فى القدس.

وهذا الوصف يجعلنا نشعر بأن الأوروبيين مصرون على تصوير المسلمين على أنهم «كفار» مثلما كانوا يطلقون عليهم فى القرون الوسطى، فلا يوجد أى تعليق على هذا اللفظ سوى وضعه بين قوسين ليفهم التلميذ: أن هذا اللفظ منقول كما هو من مصدر ما، أى أنه Quotation دون محاولة من مؤلف الكتاب المدرسى لتصحيح هذا المفهوم الخاطئ للمسلمين.

كذلك أغفلت المناهج الدراسية الغربية التنديد بوحشية الصليبيين وعدم تسامحهم مع سكان المقدس حين انتزعوها من أيدى المسلمين عام ١٠٩٩، بينما التاريخ العالمى والموسوعات العلمية الكبيرة اعترفت بأن الصليبيين ذبحوا أكثر من ٧٠ ألف من المدنيين من أهالى القدس دون تميز بين النساء والأطفال والشيوخ ـ أو بين مسلمين ويهود ـ وحتى مسيحيين من أهالى المدينة المقدسة العزل من السلاح.

كذلك لزمت المناهج الدراسية الصمت التام أو الإغفال التام لتسامح المسلمين الكبير حين استعاد المسلمون القدس عام ١١٨٧ على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى الذى أصدر العفو التام عن كل الأهالى، وهذا إغفال متعمد لإخفاء الحقائق التاريخية التى سجلها التاريخ وغنى عن القول أن الدافع وراء هذا الإغفال المتعمد هو تشويه صورة المسلمين فى ذهن التلاميذ الغربيين والإصرار على عدم تصحيح المفهوم الخاطئ الذى ترسب فى عقول التلاميذ ومازال عالقا بها حتى اليوم. ولعل أكثر الأمثلة دلالة على ظاهرة الإغفال المتعمد هو إغفال المناهج الدراسية الغربية الاعتراف بفضل الفلاسفة والعلماء العرب المسلمين على النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر الميلادى. ونادرا ما تذكر المناهج

الدراسية الغربية اعترافا بدين أوروبا تجاه علماء المسلمين من أمثال ابن رشد وابن المقفع والخوارزمى وابن سينا وابن النفيس والذين كانوا منذ القرن التاسع الميلادى أساتذة ومعلمى أوروبا بأسرها، فقد ترجموا كتب الفلاسفة والعلماء الإغريق من اليونانية إلى العربية وأضافوا عليها الكثير من اختراعاتهم ونظرياتهم الفلسفية والعلمية، ونقل عنهم الغربيون اختراعاتهم وترجموا كتبهم إلى اللاتينية ثم إلى مختلف اللغات الأوروبية دون أن يذكروا أسماء هؤلاء العرب المسلمين، ودون الإشادة بفضلهم بل إن كثيرا من علماء النهضة الأوروبيين نسبوا لأنفسهم اختراعات المسلمين وأغفلوا فضلهم تماما حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأ بعض المستشرقين الغربيين يعترفون فى كتاباتهم بفضل العرب والمسلمين على النهضة الأوروبية، ولعل من أبرز المستشرقين الذين أشادوا بدور المسلمين فى تنوير أوروبا هو المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون الذى ذكر فى كتابه الذى حمل عنوان «حضارة العرب» (١٨٨٤) ما يلى: **«كان تأثير العرب المسلمين على الغرب عظيما، وإليهم يرجع الفضل فى حضارة أوروبا.. ولا يتسنى لنا معرفة التأثير العظيم الذى أثره العرب المسلمون فى الغرب إلا إذا أدركنا مدى تخلف أوروبا فى الزمن الذى دخلت فيه الحضارة الإسلامية إليها فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى حين ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس بينما كان سادة أوروبا نصف متوحشين يعتكفون فى أبراج عالية ويتفاخرون بأنهم أميون.. إن العرب المسلمين هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش وأعدوا النفوس للتقدم والرقى بفضل علوم العرب وآدابهم التى أخذت الجامعات فى أوروبا تعول عليها فانبثق منها ذات يوم عصر النهضة الأوروبية».** هذا الاعتراف بالدين وبفضل العرب على أوروبا لا نجد له أثرا فى المناهج الدراسية التى يعول عليها فى تكوين وعى التلميذ الأوروبى الذى سيصبح فيما بعد صاحب الرأى والقرار فى المجتمع الأوروبى.

منهجية تصحيح صورة الإسلام فى الغرب:

يجب على المسلمين اليوم أن يحرصوا على تصحيح صورة الإسلام المشوهة فى الغرب دون التفريط فى أى حق من حقوق الإنسان المسلم، وذلك عن طريق التعريف الصحيح بالإسلام وإنكار السلوكيات المنحرفة لبعض المسلمين سواء فى البلاد الإسلامية أو المسلمين المقيمين فى الدول الأوروبية، والذين يساهمون بسلوكياتهم المنحرفة والبعيدة عن روح الإسلام فى زيادة تشويه صورة الإسلام فى الغرب، وفى نفس الوقت يجب على الغرب أيضا أن يحرص على تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام والثابتة فى وعى الغربيين والتى يتوارثونها جيلا بعد جيل عن جهل بالإسلام الحقيقى ومفاهيمه الصحيحة وروحانياته السامية، ويجب على الدول الغربية حكومات ومؤسسات أهلية، أن تعترف بحق الإنسان المسلم سواء الذى يعيش فى دولة إسلامية أو فى دولة أوروبى أو أمريكية فى أن يدافع عن عقيدته الإسلامية ويمارسها بحرية، فهذا حق أساسى من حقوق الإنسان يجب أن يحترمه الغربيون ويحترمون الخصوصيات الدينية والثقافية للمسلمين.

خاصة المسلمين المقيمين فى الدول الغربية، ونحن نعتقد أن تصحيح صورة الإسلام المشوهة فى الغرب لن يتم إلا عندما يبدأ الغرب فى التخلص من أثر الموروث التاريخى فى وعيه وعقله عن الإسلام.

على الغرب أن ينظر إلى الإسلام بموضوعية وعقلانية ويطرد من فكره الأنماط المتجمدة عن الإسلام والمسلمين.

مقصرون فى سباق العلم..
مستهلكون فى سوق التكنولوچيا

المحمول يجتاح أسوار الجامعة

د. محمد عمارة:

ميزان الحضارة الأخلاقية يميل لصالحنا

لماذا تراجعنا فى سباق التقدم حتى صرنا فى ذيل القائمة بلا منازع وصرنا على هامش الحضارات؟

وهل يمكن فى ظل طفرة التقنيات الحديثة وثورة المعلومات الهائلة أن نعبر هوة المنافسة السحيقة بيننا وبين من سبقنا؟، لقد صرنا نلهث وراء كل غريب وكل ماهو وافد ويسيل لعابنا لكل ما يستجد من مخترعات فى سوق التكنولوجيا لنقف أمامها مبهورين نستهلك منها أكثر ما ننتج بعد أن كانت أمتنا مركزا للإشعاع الحضارى لكل ربوع الدنيا.

د. أحمد فؤاد باشا:

الأمية العلمية حجر عثرة فى سبيل أى تقدم

استخدام التكنولوجيا الحديثة يجب أن يخضع لضوابط تحد من آثارها السلبية

تحقيق:
مصطفى إبراهيم خيان

إنها حالة من التبعية أصابتنا وأمسكت بتلابيبنا حتى كادت تخنقنا، وليت الأمر يقف عند حد استيراد التكنولوجيا لكن الخطورة تكمن فى سوء استخدامها والخضوع لتأثيرها والأخذ بقشورها، دون محاولة جادة للإفادة منها ومحاولة إنتاجها.

لقد صار المحمول يتجول مع قطاع كبير من أفراد المجتمع كبارا وصغارا وحتى مع الأطفال الذين لا يعرفون الفرق بينه وبين أية لعبة أخرى. الكل يحمله، والكثيرون يعتبرونه نوعا من الوجاهة وإثبات الذات.

هل نظل مستهلكين للتكنولوجيا دون

توطين العلوم الحديثة ضرورة للحاق بركب الحضارة

الدكتور محمد يونس الحملاوى

ضوابط؟ أم حان الوقت الذى ننفض فيه غبار المحاكاة والتقليد ونستبدل ثوب التبعية بثوب العزة والتقدم؟

التفوق فى منظومة القيم

ولأن قضية التقدم والتخلف عن ركب الحضارة هى محور تفكيرنا والهاجس الذى يؤرق حياتنا فى ظل عصر العولمة - فقد سألنا الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامى - عما يعنيه مصطلح التقدم والتخلف والذى أشار إلى أن كلمة التقدم وكلمة التخلف مصطلحات آلية مركبة، وللتقدم أسباب عديدة كما أن للتخلف أسبابا عديدة.

وإذا ما نظرنا إلى واقعنا الراهن فى إطار التنمية الحضارية الاقتصادية، وفى إطار المقارنة المادية مع الآخرين وخاصة مع الحضارة الغربية فسنجد أننا قد تخلفنا وتقهقرنا كثيرا، لكننا فى منظومة القيم والأخلاق نفوقهم بمراحل بعيدة.

فعلى سبيل المثال نجد قصورا وتخلفا فى عالمنا الإسلامى على مستوى البحث العلمى، وفى العلوم الكونية والفضائية وعلوم الطيران والصناعات الحديثة.

لكن ميزان الحضارة الأخلاقية والإنسانية يميل لصالحنا، سواء فى العلوم الشرعية أو الدينية والقيمية، فعالمنا الإسلامى لايزال بخير فحتى من يرتكبون الجرائم يدركون أنها جرائم ويشعرون فى قرارة أنفسهم بالذنب، وغالبا ما تكون لديهم الرغبة الصادقة فى الإقلاع عنها والعودة إلى الطريق المستقيم، وعلى الذين تبهرهم الحضارة الغربية أن يعرفوا جيدا أن هذه الحضارة لا تقوم على أساس راسخ متين بل هى حضارة مادية لن تلبث أن تنهار وتقوض دعائمها الزائفة.

فقد تفككت الأسرة الغربية وانفلتت الحريات فلم يعد لها ضوابط وشاع الانحلال والجرى وراء الشهوات والشذوذ، وعبادة المادة، إذن فنحن أمام حضارة واهية تعانى تخلفا فى القيم والمبادئ، وأمام مجتمعات تعيش خواء روحيا مميتا.

رعاية التخلف الموروث

لكن ما أهم أسباب تخلفنا على المستوى العلمى والتقنى؟

يؤكد الدكتور عمارة أن هناك سببين رئيسيين، إليهما ترجع أسباب تراجعنا.

أولهما: التخلف الموروث من حكومات العسكر فى الدولة العثمانية ودولة المماليك وخضوع المجتمع لسيطرة الخرافات والأفكار الهدامة.

كذلك تعرضت الأمة لأخطار الغزوات الصليبية والحملات التتارية، ومن ثم فقد تخلفنا فى مجالات العلوم والبناء الحديث.

ثانيهما: الهيمنة الغربية التى نعانى آثارها المدمرة منذ قرنين من الزمان.

وهذه الهيمنة تعمل على حراسة التخلف الموروث وتثبيت أركانه مع إجهاض كل مشاريع التقدم بدءا من مشروع محمد على وحتى اليوم، بل إن الغرب قد سعى لزرع الكيان الصهيونى فى قلب الأمة العربية والإسلامية ليكون قاعدة عسكرية يحمى مصالحه ومطامعه فى العالم الإسلامى.

الحضارة الروحية والحضارة المادية

ولكن ما السبيل للخروج من هذا المأزق؟

السبيل فى الأخذ بأسباب التطور الحقيقى والبعد عن المحاكاة والتقليد ومجرد التشبه بالغرب والانبهار بحضارته، وأن نتعامل بحكمة مع الحضارة بعنصريها الروحى والمادى، وإذا جاز أن نأخذ من الحضارات الأخرى فلنأخذ ماهو صالح ومفيد وما يتفق مع قيمنا، وبالقدر الذى لا يطمس هويتنا.

وعلينا أن نفرق بين ماهو صالح لحاضرنا ومستقبلنا وبين ماهو مجرد استجابة لدوافع التقليد والتشبه بالغير.

ومن أجل تحقيق الانطلاقة لابد من امتلاك الإرادة التى تجتاز العوائق وتتخطى الصعاب وامتلاك الإدارة التى تحول الإرادة إلى واقع ملموس.

التعامل الأمثل مع العلم

ويحذر الدكتور أحمد فؤاد باشا ـ وكيل كلية العلوم بجامعة القاهرة ـ من الاستخدام السيئ للتقنيات الحديثة حتى لا تتحول إلى سلاح فتاك يضر بمستخدميه ويترك آثاره السلبية على الأفراد والمجتمع عموما.

وكما يضيف: فإن علينا أن نتعرف على الأسلوب الأمثل فى التعامل مع العلم والمنجزات العلمية، ومن الضرورى أن نستند إلى قاعدة علمية راسخة ننطلق منها وليس مجرد الأخذ من الشرق والغرب.

فالتخطيط العلمى السليم يجب أن يراعى نشر الثقافة العلمية السليمة بين أفراد المجتمع وقبل ذلك محو الأمية وتقليل نسبة الأمية التى تصل نسبتها إلى ما يقرب من ٨٠٪ فى بعض الدول الإسلامية، فما بالنا بالأمية العلمية التى تفوق ذلك بكثير؟ ففى حين نجد دولا أخرى تعتبر الأمى من لا يجيد التعامل مع (الكمبيوتر) نجد أننا لازلنا نعانى أمية أبجدية متفشية إضافة إلى أمية علمية صارخة وهى مجرد عثرة فى سبيل أى تقدم.

وفى ذات الوقت الذى يذخر فيه مجتمعنا الإسلامى بثروات طبيعية هائلة والعديد من مراكز البحوث والجامعات التى تخرج لنا مئات الآلاف من شتى التخصصات لكن كل ذلك لا يكفى للتطور أو التفوق فى سباق التكنولوجيا والعلوم الحديثة، فلانزال نستهلك التكنولوجيا ولا ننتجها، ومن ثم فهناك سوق متقدم نستهلك منها ما ينتجه لنا الآخرون، وتلك ردة فى لغة العزة والكرامة تجعلنا ندور فى فلك التبعية، ولا يمكن لأمة أن تنهض من كبوتها إلا إذا تحررت من كل تبعية وسعت إلى طلب العلم، كما دعانا إلى ذلك الرسول الكريم محمد ﷺ الذى قال: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».**

رفع راية الجهاد

وإذا ما سلمنا بحقيقة الجهاد فى سبيل طلب العلم والتكنولوجيا لإعزاز الأمة الإسلامية نجد أنه على المختصين وأصحاب الشأن أن يتدارسوا

الخطوات التنفيذية لتوطين التكنولوجيا.

ومن الإجراءات اللازمة لذلك ضرورة ألا تضر هذه التكنولوجيا بالذوق العام للمواطن، وأن يدرك من يستخدمها آثارها الإيجابية والسلبية معا حتى لا يكون مجرد آلة تستخدم آلة دون وعى ولا تفكير، وبالتالى ينشأ جيل لا تتعدى طموحاته اقتناء وسائل التقنيات الحديثة بغض النظر عن إلمامه بأهميتها له أو عدم أهميتها، ويستوى عنده أن يستخدمها إيجابيا أو سلبيا، بل ولا يتطلع لابتكار أو إبداع، فهذا لا يعنيه.

الدكتور على راشد:

التكنولوجيا سلاح ذو حدين والعبرة بحسن الاختيار

المحمول واستكمال الوجاهة

الدكتور فؤاد باشا يدق ناقوس الخطر مما أصاب الناشئة من الاستخدامات السيئة لوسائل التكنولوجيا الحديثة حبا فى التقليد والمحاكاة، ولمجرد المباهاة وكنوع من التمدين والعصرية والانفتاح على العالم المتقدم، كما يتوهمون متناسين أن ذلك هو بداية النهاية لأى جيل.

ويكفى لندلل على ذلك ـ وكما يضيف الدكتور فؤاد باشا ـ أن نلاحظ الكم الهائل من التليفونات المحمولة التى انتشرت بسرعة البرق بين كافة طوائف الشعب، لكل من يحتاجه لطبيعة عمله ومن يقتنيه لمجرد استكمال الوجاهة.

ومن هنا فإن على وسائل الإعلام يقع دور خطير فى توعية الشباب وتثقيفهم، خاصة ونحن نعانى فقرا شديدا فيما يقدم من برامج فقيرة علميا وتثقيفيا، ويا حبذا لو تمت الاستعانة بأهل الاختصاص والعلم لتقديم برامج وروايات للخيال العلمى الذى يشحذ عقول الشباب ويستخرج طاقاتهم الإبداعية والابتكارية.

تقليد غير واع

أما الدكتور محمد يونس الحملاوى ـ أستاذ هندسة الحاسبات بهندسة الأزهر ـ فيرى خطورة سوء استخدام منجزات العلم والتقنيات الحديثة، إذ تعود أساسا إلى الميل نحو تقليد كل ماهو غربى ووافد دون وعى أو إلمام بمحتواها أو الاستيعاب الجيد لأسس ودواعى استخدامها، الأمر الذى يؤدى إلى ظهور أجيال مقلدة وغير قادرة على الإبداع، الأمر الذى يعمق من الهوة بيننا وبين العالم المتقدم، ويخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية لا حصر لها.

الاستخدام الواعى

ومع هذا ـ كما يضيف الدكتور الحملاوى ـ فإن استخدام التقنيات الحديثة أمر مرغوب وملح لأننا لا نستطيع أن نتخلف عن ركب الحضارة أو أن نتقوقع وننغلق على أنفسنا فى وقت تتسارع فيه خطى التقدم بشكل مذهل، فليس من المنطق أن

أصادر استخدام التقنية الحديثة لمجرد أن لها بعض الآثار الضارة الناتجة عن سوء الاستخدام أو إساءة استعمالها بعيدا عن مواضعها الصحيحة، ولكن المنطق يتطلب منا أن نأخذ هذه المنجزات بحذر، فهى كالسكين إذا أسىء استخدامها فإنها تدمى أو تقتل،أما إذا أحسن التعامل بها تحولت إلى أداة نافعة ومفيدة، وقياسا على ذلك نجد أن استخدام المحمول قد يكون أداة رائعة لسرعة إنجاز الأعمال وتوفير الوقت والجهد، وقد يصبح وسيلة للإزعاج والتلوث السمعى وإضاعة الوقت وأداة للعديد من الآثار السلبية، وكذلك جهاز العرض (الفيديو) يمكن استخدامه كوسيلة تعليمية وتثقيفية ذات أثر نفعى بعيد، على حين أنه لو أسىء استخدامه لتحول إلى وسيلة خطيرة لتدمير الفكر والثقافة.

ومن هنا أرى ضرورة توطين التقنيات الحديثة والأخذ بأسبابها كى يتوفر لنا قاعدة منتجة ـ صناعية وزراعية وخدمية ـ ننطلق منها فى سباق العلم والتقدم ولعل من أهم أسس توطين العلوم والتقنيات من وجهة نظرى أن يتم تعريب العلوم وإحلال اللغة العربية محل اللغات اللاتينية التى يتم التدريس بها فى الجامعات حاليا فلم يعرف التاريخ دولة أخذت نصيبا من التقدم والرقى إلا وكان ذلك عن طريق لغتها القومية.

واقــع مــر

ويتعجب الدكتور الحملاوى من واقعنا مقارنة بدول صغيرة لم يكن لها فى يوم من الأيام وجود على خريطة الحضارة، لكنها اليوم سبقتنا بمراحل بعيدة، وكما يقول فإن دولة صغيرة مثل سنغافورة لا يزيد عدد سكانها عن حى واحد من أحياء القاهرة تتجاوز فيها معدلات التقدم والنمو العديد من دولنا، ودولة كتايلاند حققت في أقل من عقد من الزمان تطورا أصبح مثالا يحتذى به، وهى التى كان اقتصادها يعتمد حتى وقت قريب على المعونات الخارجية.

والأمر يتطلب أن نأخذ بالأسلوب العلمى فى التفكير والتنمية، وهذا ما فعلته اليابان التى أحدثت ثورة صناعية هائلة فى وقت تفتقد فيه إلى المواد الخام اللازمة للصناعة والتطور، وفى تقرير عن حجم إنتاجها فى عام ١٩٩٥م، حققت ناتجا قوميا بلغ ٥٥٠٠ مليار دولار مقارنة بالدول الإسلامية مجتمعة والتى لم يزد معدل إنتاجها القومى عن ١٣٠٠ مليار دولار بما فيهادول البترول الغنية، وبما تملكه من مواد خام وموارد بشرية هائلة.

سلاح ذو حدين

ويتفق الدكتور على راشد ـ أستاذ الحاسبات بهندسة الأزهر ـ مع الرأى السابق فى أن استخدام التكنولوجيا يمكن أن يكون سلاحا ذا حدين، فالمخترعات الحديثة أنتجت من أجل رفاهية المواطن ومساعدته على إنجاز الأعمال بسهولة ويسر لكنها قد تتحول إلى سلاح فتاك يضر بمن يستخدمه وبمن حوله.

ولكن المعول على ذلك يعود للإنسان نفسه فهو القادر على التحكم فى هذه التقنيات، فالتليفزيون من وسائل التثقيف والتعليم وتهذيب النفوس، وتحصيل المعلومات إذا تم استخدامه فى الغرض الأساسى له وهو قد يصبح وسيلة مدمرة ومخربة إذا أسىء استخدامه.

ومن هنا يأتى دور الأمة فى غرس تعاليم الإسلام، وتسخير العلم الحديث فيما ينفع الناس،

على غنيم:

مسيرة التكنولوجيا يجب ألاَّ تتوقف مهما تكن النتائج

ويأتى دور الأسرة فى تربية أبنائها على حُسن الاختيار والتميز بين الصالح والطالح، فآفة مجتمعاتنا هى سوء الاختيار واستقبال كل قيمة وافدة دون تمعن أو تبصر.

وفى اعتقادى فإن كل تقنية حديثة يمكن أن تناسبنا طالما خضعت للضوابط، ولا يمكننى أن ألغى استخدام أى نوع من التكنولوجيا تحت دعوى سوء استخدامها فأى تكنولوجيا يمكن أن أحولها إلى قيمة نافعة ومفيدة، فالانترنت مجال مفتوح أمامنا ويمكن لأى فرد أن يأخذ منه ما يشاء، لكن علينا أن نعلم أبناءنا حرية الاختيار السليم، فمالم يقتنع الفرد بأضرار أو مزايا استخدام هذه التقنيات فلن أستطيع أن أمنعه.

لذا فعلينا أن نرشد أولادنا إلى ما يتفق مع قيمنا وما ينهض بمجتمعنا، وقد قال الرسول الكريم ﷺ **«علموا أولادكم لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم».**

قرية كونية صغيرة

ويرى على غنيم - نائب رئيس مجلس إدارة الأهرام ومدير مركز أماك للأهرام - أن علينا أن نسارع لإدخال كل أنواع التكنولوجيا الحديثة، فلا خوف على مجتمعنا من هذه التكنولوجيات، لأننا - كما يقول - تخلفنا كثيرا عن المجتمعات المتقدمة التى حصلت على هذه التقنيات من سنوات طويلة فانطلقوا وتقدموا، ولا يمكن لمجتمع من المجتمعات أن ينعزل عما يدور فى العالم حوله بعد أن أصبح هذا العالم قرية كونية صغيرة إذا تحدث فيها من فى أقصاها سمعه من فى أدناها.

وعن إساءة البعض لاستخدامات هذه التقنيات يؤكد أنه لا خوف من ذلك، فوسيلة كالتليفون المحمول صارت اليوم ضرورة لا غنى عنها للكثيرين، سواء لرجال الأعمال أو الموظفين أو الطلاب حيث يمكن لابنى أو ابنتى أن تستدعينى فى أى وقت ومن أى مكان عند حدوث أى طارئ.

أما من يسىء الاستخدام فكان لابد من ضوابط يمكن فرضها للقضاء على هذه الظاهر، لذلك فنحن حين ندخل المسجد نجد الإمام ينبه المصلين أن يغلقوا تليفوناتهم المحمولة كذلك نجد التنبيهات عند تواجدك فى أماكن الاجتماعات بعدم استخدامه،لكن هذه التقنيات مع كل هذا مفيدة ونافعة وتؤكد على أهمية عنصر الوقت فى حياة الإنسان، ولا يمكن لى أن أحجِّم استخدام تكنولوجيا لمجرد أن لها بعض الآثار السلبية..

فإبعاد هذه التقنيات هو إلغاء لعقلية المواطن وحجر على فكره، وحسنا فعلت الدولة فى السنوات الأخيرة حين أدخلت تكنولوجيا الحاسبات الآلية إلى مختلف المدارس والجامعات كى تواكب كل تطور وتتعامل بلغة العصر.

شاعر العروبة والإسلام

أحمد محرم ١٨٧٧ ـ ١٩٤٥م

رحل الشاعر أحمد محرم عن عالمنا فى الثالث عشر من شهر يونيو من عام ١٩٤٥م، بعد أن ظل يهتف بالشعر أكثر من نصف قرن، يسجل أحداث الأمة العربية والإسلامية، وينافح بشعره قوى الاستعمار التى جثمت على صدر البلاد، وحرمت أبناءها من حقوقهم، واستولت على خيرات بلادهم، وأمعنت فى مطاردة الأحرار، وذوى الرأى فيها، وقد سجل كل ذلك فى شعره الذى ملأ صدور الصحف والمجلات منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر إلى أن لقى ربه منذ ستة وخمسين عاما.

أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى

وأحمد محرم من المدرسة التى حملت لواء الشعر بعد البارودى إلى جانب شوقى وصبرى وحافظ.

وكان اهتمام أحمد محرم بقضايا العروبة والإسلام أوضح من أى شاعر سواه؛ حتى لقب بحق شاعر العروبة والإسلام وهو أول من سجل تاريخ الإسلام فى عصر النبوة شعرا فى ديوانه الذى سماه «ديوان مجد الإسلام» وأطلق عليه الدكتور أحمد زكى أبو شادى اسم «الإلياذة الإسلامية» وقد ظل هذا الديوان حبيس المخطوطات، ومكاتب الجهات المسئولة عن الثقافة فى زمانه حتى لقى النور فى عام ١٩٦٣، لما أقامت محافظة البحيرة مهرجانا لشاعرها أحمد محرم بمدينة دمنهور التى عاش فيها الشاعر أكثر سنوات عمره، ولقى ربه فى رحابها عن عمر يناهز الثمانية والستين عاما، إذ ولد فى العشرين من يناير من عام ١٨٧٧م. وقد عانى فى حياته من الإنكار، وعدم تقدير طاقته الشعرية على الرغم من أصالته، ونضج شاعريته، وقد عبر عن ذلك الإنكار فى قصيدة له تعتبر من عيون الشعر الحديث، جعل عنوانا لها.. «وجودى» ونشرت فى مجلة المقتطف فى ديسمبر ١٩٣٢م، يعرض فيها للتجاهل الذى يلقاه أدبه على الرغم من أصالته حتى إنه بدأ يشك فى وجوده حيث يقول:

وجودى لست لى فلمن تكون
أسرٌ أنت عن نفسى مصون؟
يصيب حقائق الأشياء علمى
وتعصف بى حواليك الظنون
أمنْ نفسى على نفسى غطاء؟
فكيف أنا؟ أشكٌ أم يقين؟
وجودى ما عرفتك غير معنى
تغلغل فى الخفاء فما يبين
غريق فى الظلام ولا مغاص
ولا جسر يلاذ به أمين

أقيم عليه سور من عباب

تضلُّ على جوانبه السفينَ

أُظَلُّ ويضرب التيار وجهى

فأين أنا؟ أحرٌّ أم سجين؟

والقصيدة تصور ما يختلج فى صدر الشاعر مما يراه من جحود وإنكار له، على الرغم من صوته العالى، وفنه الرفيع، وشاعريته المتدفقة، التى لا يتمارى فيها مشتغل بالأدب والشعر فى عصره، ولكن يبدو أن حياة الشاعر بعيدا عن مراكز التوجيه والتأثير والاتصال بذوى الجاه والسلطان كان سببا من الأسباب التى أدت إلى هذا التجاهل الظالم، مما جعله يهتف ساخطا على بلاد الشرق التى تعامت عن إدراك القيم الفنية لذاتها، حتى كأنها قد خلت ممن يعرفون للناس أقدارهم، ويرعون مكانتهم، ويقدرون الأدب العالى والفن الرفيع، فقال:

ديار الشرق هل بك من قطين

دعينى ما الديار وما القطين؟

ظمئت وفى فمى الأدب المصفى

وَضَعَتُ وفى يدى الكنز الثمين

ظلمت أبى ونفسى، إن مثلى

لغال فى النوابغ لا يهون

كريم تدفع الأخلاق عنه

ويمنع ركنه الأدب الحصين

أقول فيفزع الشعراء صوتى

وما أنا فى بنى وطنى ظنين

لربى ما عملت وعند قومى

ديونى حين تلتمس الديون

أمنْ أدبى تبيت الطير تبكى؟!

فما أدبى؟ أشدوٌ أم رنين؟!

وكان أحمد محرم ذا ثقافة واسعة وعميقة فى الشعر العربى على مرّ العصور، بحيث إنه يمكن أن يقال إن إلمامه بالشعر والشعراء على اختلاف عصورهم لما تهيأ لشاعر سواه ممن عاصروه، ويبدو ذلك واضحا من بحوثه التى نشرت عن الشعر والشعراء، ونقده لهم مما يعطى القارئ فكرة جلية عن سعة اطلاعه على الشعر فى شتى عصوره، وتناول المعنى من شاعر إلى آخر ويبدو ذلك لكل من يقرأ إنتاجه فى كتاباته المتعددة مثل:

١ ـ بحثه فى الشعر العصرى الذى نشر فى مجلة «أنيس الجليس» متتابعا عامى ١٩٠٠، ١٩٠١ فى أربعة عشر عددا.

٢ ـ وفى نقده للشعراء إسماعيل صبرى، وحافظ إبراهيم، وتوفيق البكرى، وديوان الشعلة لأحمد زكى أبى شادى، ونشرت هذه البحوث فى مجلة أبوللو.

٣ ـ بحوث فى الشعر الباكى فى الأدب العربى، وشعر الهجاء والأدباء المنسيين، تلك البحوث التى نشرت تباعا فى جريدة الصدق التى كانت تصدر فى دمنهور.

وللشاعر أحمد محرم بحث عميق عن الشعر وأدواته، صدر به ديوانه الأول الذى طبع عام ١٩٠٨، نقتبس منه مطلعه ليكشف لنا عن نظرة الرجل إلى الشعر وأثره فى النفوس والعقول. يقول فيه: «الشعر شعاع الخاطر، وعصارة الذهن، أو هو خيال النفس، وصورة الطبع، فمتى صفت منابعه، وكرمت منابته كان من شرف الرتبة، وخطر الشأن، بحيث تستأثر له النفوس والعقول،

وهو إذا انبعث عن خاطر صدىء، وذهن كدر، وأتى من نفس شوهاء، وطبع غير مهذب، سدت عليه منافذ القلوب والأسماع، ومسالك الخواطر والطباع، فظل مهملا فى مطارحه، مطويا فى صحنه، وكان من الآثار التى لا تقوى على البقاء طويلا، ولا تملك إلى الخلود سبيلا.

والشعر نوعان: نوع تستثار به أهواء النفوس، وآخر تستطلع به دفائن العقول، وهو أشرف النوعين، وأبقاهما على العصرين، إلا أن الجمع بين الآليتين ربما كان فوق موهوبات الطبيعة ومولوداتها؛ فإن النفس والعقل يفيئان فى تصرفهما إلى سنة واحدة، ويستفيضان قوتهما من ينبوع واحد، أو هما جاران لا يفترقان منازع وأخلاقا، ولا يختلفان مطالب وأوطارا، فحيث كان العقل الكامل تكون النفس الكبيرة، وهما آفة السرقة التى تكسو الشعر رونقا، وتجلوه مونقا، وهذا أبو العلاء المعرى على علوّ كعبه فى صناعة الشعر، وتمكنه من آدابه إذا قرأت شعره بقيت وقلبك فى نياطه، ونفسك فى مكانها؛ لأنك لا تمر إلا على حقائق جافة، وحكم مجردة، ولكنك مهما كنت شغوفا بالحقيقة حريصا على الحكمة إذا قرأت شعر أبى نواس على خلاعته، سمعت وقعه فى نفسك، ورأيت دبيبه فى قلبك، وكذلك أنت، وأنت إذا قرأت شعر ابن أبى ربيعة أخذتك هزة وأريحية، ذلك أثر النفس وكهرباؤها، وإنما تكون هذه الكهرباء فى النفوس اللطيفة المطبوعة على الصفاء والرونق، أو المولعة بالزخرف والزينة، والطبع أغلب، وذلك سر يضعه الله حيث يشاء، ويخص به من أراده.

بهذا المفهوم للشعر وأدواته والشاعر ورسالته خاض أحمد محرم غمار الحياة، وشارك فى أحداثها، وحذر من الأخطار التى تتهدد أمن الشعوب وحريتها، والمجتمعات وأمنها واستقرارها، فلم يمض حدث، أو تنشأ قضية إلا تناولها، ودعا إلى العمل بها، إذا كان فيها نفع الأمة وخيرها، أو حذر منها إذا كان فيها نيل حق من حقوقها، أو عدوان على كرامتها، ولن يتمكن مقال عابر من استيعاب هذه المواقف والأحداث التى سجلها شعر الشاعر، وحسبنا أن نقف عند حدث واحد أخذ من اهتمام الشاعر جانبا كبيرا، ذلك هو قضية فلسطين، فقد كان إحساس أحمد محرم بها، وبأبعادها ونتائجها إحساسا نابضا بالحيوية والحركة، والنظرة إلى المستقبل، والأخطار التى تتهدد الأرض المقدسة، ولذلك نجد له عدة قصائد حواها تراثه، ومن أولى قصائده فى ذلك المجال قصيدة بعنوان «نكبة فلسطين» نشرتها جريدة «البلاغ» فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣م، وكأنه يصور ما يجرى على أرض فلسطين الآن، ويحذر من ألاعيب المغتصبين ومكرهم، وتشعر وأنت تقرأ القصيدة كأن الشاعر يقتطع قطعا من مشاعره ويصورها كلمات تنبض بالحياة، وتصرخ بالآخرين أن يتنبهوا للخطر الداهم الذى اهتزت له المقدسات حيث يقول:

فى حمى الحق ومن حول الحرم
أمة تؤذى وشعب يهتضم
فزع القدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الألمْ
ومضى الظلم خليّا ناعما
يسحب البردين من نار ودم
يأخذ الأرواح ما يعصمها
معقل الحق إذا ما تعتصم

ويرى الناس إذا أعجبه
أن يبيدوا كأقاطيع البُهُم
بعثته شهوة وحشية
تتلظى مثل أجواف الأطم
ما تبالى إن مضت ويلاتها
ما أصابت من شعوب وأمم
أهون الأشياء فى شرعتها
أمة تمحى وشعب يُلتهم
يا فلسطين اصطليها نكبة
هاجها للقوم عهد مضطرم
واشهديه فى حماهم مأثما
لورعوا للضعف حقا لم يقم
واشربى كأسك مما عصروا
من زعاف جائل فى كل فم
لا تنامى للعوادى وادأبى
واذهبى طامحة فى المزدحم
ليس بالمدرك حقا غافل
نام، والأحداث يقظى لم تنم
فى فؤادى جرحك الدامى وفى
كبدى ما فيك من حزن وهم

وتهب الثورة فى فلسطين عام ١٩٣٦م، ويواجه المجاهدون قوى الاحتلال الانجليزى والحقد الصهيونى، ويبرز القائد العربى السورى محمد سعيد بن العاص، الذى كان أحد قواد الثورة السورية والذى كان يقوم بنقل السلاح إلى المجاهدين فى فلسطين، ويخوض المعارك على أرضها الطيبة، وفى معركة الخليل التى استمرت ثلاث ليال رهيبة يواجه القائد البطل - ومعه ستون من المجاهدين - الفين من جنود الاحتلال البريطانى مدججين بأسلحتهم ودباباتهم وطائراتهم، فيسقط شهيدا فى هذه المعركة غير المتكافئة بعد أن ضرب الأمثلة النادرة فى البطولة، مما جعل قلوب العرب تهفو من حوله، وتعقد عليه الآمال، فإذا ما استشهد كان لاستشهاده رنة حزن وأسى فى قلوب العرب، ويهز الحدث وجدان الشاعر، ويستشعر الخسارة الكبرى لفقد هذا البطل المجاهد، فينشد:

نظم المجد لأبطال الحمى
ونظمت الشعر نارا ودما
بطل أبصرت مجدى دمه
فى جبين الشرق لما وجما
رفع السيف على هام السهى
أفلا أرفع فيه القلما؟!
ياله من عبقرى ملهم
هاج منّى عبقريا ملهما
رددى صوتى يابيض الظبى
إنما أرثى الكمى المعلما
رددیه غبطة أو أسفا
وابعثيه لذة أو ألما
اجعلى دنياك فى رنّاته
تارة عرسا وآنا مأتما
إنما أرعى لقومى ذمة
فى كريم كان يرعى الذِّمما
يالواء كان للحق حمى
حين لا يرجو حمى أو حرما

ويقيم المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة احتفالا بمرور مائة يوم على جهاد فلسطين يشحذ فيه الهمم، ويشد من أزر المجاهدين، ويهتف الشاعر داعيا إلى الجهاد؛ لأن الحق لابد له من قوة تحميه وعزم وجلاء يفتديه، فيقول:

تلك القضية هل لها ميعاد
شرط القضية أن يطول جهاد
لا تحسبن الحق صيحة عاجز
الحق عزم صادق وجلاد
جودوا حماة القدس ما بكرامكم
بخل، ولا للمكرمات نفاد
ذودوا العدو عن البلاد وناضلوا
إن العدو عن البلاد يذاد
أبنى العمومة ما سهرتم وحدكم
مصر الشقيقة لوعة وسهاد
لا تنكروا الدم فى المصارع ملتقى
إن الرجال بمثل ذلك سادوا

وتحل ذكرى وعد بلفور المشئوم عام ١٩٣٧م، فيلقى قصيدة فى احتفال المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى يوم ١٩٣٧/١١/٣ يقول فيها:

تلك العروبة جرحها يجرى دما
من يمنع الإسلام أن يتألما؟
هذا تراث محمد فى قومه
أمسى بأيدى الناهبين مقسما
أثر السيوف عليه والدم حوله
حرَّان يصرخ أين أبطال الحمى؟
أين الأُلى ورثوا الممالك حُرّة
تقضى القضاء على القياصر مبرما
دار الزمان فعاث فى أرجائها
من كان ينزلها فيمشى محرما
إيه فلسطين اصبرى أو فاجزعى
وكفى بصبرك فى الحوادث مغنما
ظلم اليهود بنيك حين تحكموا
وأرى الأُلى باعوك كانوا أظلما

وتتابع الأحداث، وتحل ذكرى الوعد المشئوم فى العام التالى ١٩٣٨م فلا يستطيع الشاعر أن يدع هذه الذكرى تمر دون أن يناجى فلسطين، ويفضى إليها بما يضطرم فى فؤاده من ألم وأسى، فيهتف:

فلسطين صبرا إن للفوز موعدا
فإلاَّ تفوزى اليوم فانتظرى غدا
ضمان على الأقدار نصر مجاهد
يرى الموت أن يحيا ذليلا معبدا
إذا السيف لم يسعفه أسعف نفسه
ببأس يراه السيف حتما مجردا
يلوذ بحديه ويمضى إلى الوغى
على جانبيه من حياة ومن ردى
لك الله من مظلومة تشتكى الأذى
ويأبى عوادى الدهر أن تبلغ المدى
جرى الدم يسقى فى ديارك واغلا
من البغى لا يرضى سوى الدم موردا
تجرعه نارا وكان يظنه
رحيقا مصفى، أو زلالا مبردا
كذلك يُشقى وعد بلفور معشرا
مناكيد لاقوا منه أشقى وأنكدا
نفتهم فجاج الأرض من سوء ما جنوا
فجاءوا على ذعر عباديد شردا

يريدون ملكا فى فلسطين باقيا
على الدهر يحمى شعبهم إن تمردا
يديرون فى تهويدها كل حيلة
ويأبى لها إيمانها أن تهودا
بلاد أعزتها سيوف محمد
فما عذرها ألا تُعزّ محمدا؟
أفى المسجد الأقصى يعيث الألى أبوا؟
سوى المال طول، الدهر ربا ومسجدا

هذه صيحة شاعر منذ أكثر من ستين عاما يحذر من الخطر الذى يتهدد الأرض المقدسة، وقد وقع ما حذر منه، وأصبحت فلسطين الآن أسيرة يتحكم فيها شذاذ الآفاق، ويعيثون فيها فسادا، وأصبح المسجد الأقصى حزينا أسيرا يحكمون قبضتهم عليه، ويريدون أن تصبح القدس يهودية السمة، فهل لهذه النازلة من كاشفة؟ إن من آخر ما هتف به الشاعر لما أبصر الخطر الداهم - دعوة العرب إلى الوحدة، وكأنما يعبر عما نحن فيه الآن، فعلى الرغم من التحديات التى تقدم عليها إسرائيل يوما بعد يوم فتبتلع الأرض، وتقيم المستوطنات، وتهدم منازل العرب وتشردهم يقف العرب عاجزين عن اتخاذ قرار موحد، فى لقاء يبرمون فيه أمرهم، وقد ناشدهم أن يتوحدوا منذ عام ١٩٤٢م، وكأنه يرى مايواجه العرب من شتات وفرقة وانقسام وغفلة عن الخطر الداهم الذى يوشك أن يجتاح الأخضر واليابس، فيقول تحت عنوان «الوحدة العربية»:

أمم العروبة جاء يومك فاعلمى
وإلى مكانك فانهضى وتقدمى
لك فى فم الأحداث دعوة صارخ
ينفى القرار عن الشعوب النُوَّم
فدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى
وخذى السبيل إلى المقام الأعظم
ضمى القوى وتجمعى فى وحدة
عربية تحمى اللواء وتحتمى
لا تؤثرى العيش الذليل وجانبى
خلق الضعيف وشيمة المستسلم
هذا السبيل لكل شعب ماجد
عالى اللواء إلى العروبة ينتمى
أمم العروبة أين أنت فقد طغى
سيل الأذى فى موجه المتضرّم؟
هذا هو الطوفان فإن تتهيبى
يطبق عليك وأن تهبى تعصمى
هبى فيما يغنى التردد واذكرى
نهضات قومك فى الزمان الأقدم
نعْم السبيل إلى الحياة سبيلهم
فتتبعى آثارهم وترسمى
أمم العروبة لا نجاة لمدبر
يبغى النجاة ولا حياة لمحجم

هذه بعض نفثات الشاعر الذى غنى لمآثار قومه، وأنَّ لمآسيها، وشعر أحمد محرم يمثل ثروة فنية قيمة عبّر فيها عن مشاعره، وسجل أحداث عصره، وكان صوته عاليا فى كل موقف أو حدث يمر بالأمة، ومع ذلك تمضى ذكراه، ولا يذكره كاتب ولا يتحدث عنه شاعر، ولا تشير إليه جهة من الجهات المعنية بالحركات الأدبية والثقافية، ولم تهتم به صحيفة من صحف الأدب، ولا مجلة من مجلاته، كأنما كتب عليه النسيان حيا وميتا.

رحم الله شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم، وكأنما كان يعبر عن هذا النكران حين قال:

لربى ما عملت وعندى قومى
ديونى حين تلتمس الديون

من جواهر التراث التربوى الإسلامى:

الفكر التربوى لابن الأكفانى

هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن ساعد، هذا هو اسمه أما لقبه فتلحقه ثلاثة ألقاب هى: الأنصارى والسنجارى، وابن الأكفانى، واللقب الأخير هو الذى عرف به، ولد بسنجار (من بلاد فارس) ولم يذكر من أرخوا له عاما لمولده، كما لم يذكروا شيئا عن أساتذته أو تلاميذه أو أسرته، ثم رحل إلى مصر، ومات بها سنة ٧٤٩هـ، ويتفق معظم الذين أرخوا له على أنه توفى فى الطاعون العام الذى كان بمصر فى تلك السنة.

فإذا علمنا تركيز المؤرخين على أن وفاته كانت فى عام الطاعون، جاز لنا أن نتوقع أنه لم يكن آنئذ شيخا فانيا، فإذا افترضنا أنه مات فى حوالى الستين من عمره مثلا، فمن المتوقع أن ينحصر مولده ما بين عامى ٦٨٠، ٦٩٠هـ.

أ.د. مصطفى رجب

والذى بين أيدينا يدل على معرفة مؤرخيه بتاريخ حياته العلمى، فابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ) صاحب **«الدرر الكامنة»** يذكر أنه ولد بسنجار وطلب العلم ففاق فى عدة فنون مما يدل على عبقرية مبكرة، ونبوغ أصيل.

ويذكر الزركلى فى الأعلام أنه ولد ونشأ فى سنجار، أى أن هجرته إلى القاهرة تمت وهو فى سن الشباب.

ومن المؤكد أن ابن الأكفانى قد عاش فى السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون التى امتدت من ٧٠٩هـ حتى ٧٤١هـ. فنحن لا نعرف على وجه التحديد متى ولد ابن الأكفانى، والذى أشارت إليه المصادر التاريخية هو تاريخ وفاته فقط (سنة ٧٤٩هـ) ويذكر صاحب الدرر الكامنة أنه مات فى الطاعون العام سنة ٧٤٩هـ، وهذا التاريخ هو المسجل على ظهر المخطوط الذى قمنا بتحقيقه وسنشير إليه بعد قليل. وقد أثبت هذا التاريخ أيضا الزركلى فى الأعلام وصاحب البدر الطالع، وشذ عن هذا الإجماع حاجى خليفة فى كشف الظنون حيث ذكر أنه توفى سنة ٧٩٤هـ، وشوقى ضيف الذى ذكر أنه توفى سنة ٧٤٨هـ. ومن المحتمل أن يكون التاريخ الذى سجله حاجى خليفة هو مجرد خطأ فى ترتيب أرقام سنة الوفاة، أما ما ذهب إليه شوقى ضيف فلا دليل يسانده وبخاصة أنه يخالف ما جاء فى المصدر الذى رجع إليه فى كتابه وهو «**البدر الطالع**» للشوكانى لاحقا على كتاب «**الدرر الكامنة**» وليس سابقا له، بل إن ما ذكره الشوكانى يكاد يكون

منقولا فعلا من «**الدرر الكامنة**» مما يرجح أن الأخير هو الأصل إذ أنه أقرب المصادر تاريخيا إلى ابن الأكفانى.

والمؤلفات التى ينسبها المؤرخون إلى ابن الأكفانى نحو تسعة كتب فى مجالات علمية مختلفة. كما يذكرون عن مكانته وصفاته الشخصية الشئ الكثير مما يجعلنا نستنتج أنه لم يكن شابا وقت وفاته بل إن سنه حين توفى لم تكن لتقل عن خمسين عاما لكى يحقق ما حقق من شهرة وليكتب ما كتب من مصنفات.

وعلى هذا الاستنتاج يكون مولده تقريبا خلال الربع الأخير من القرن السابع الهجرى، وهذه الفترة فترة اضطراب سياسى شهدت انقلابات سلطوية متعددة بين المماليك حتى استقر السلطان الناصر على عرشه للمرة الثالثة بعد بداية القرن الثامن الهجرى بقليل.

وقد كان ابن الأكفانى طبيبا مشهورا فى عصره، ويبدو أنه كان مختصا بطب العيون فكلمة «حكيم» كانت إذاأطلقت أريد بها الطبيب، وأريد بها طبيب العيون بنوع خاص، ويبدو من كلام المؤرخين أنه كان على علم وافر بالعلوم الطبيعية وقد ذكروا له كتابا اسمه «**نخب الذخائر فى أحوال الجواهر**» أشار الزركلى إلى أنه مطبوع.

وقد بلغ من شهرته أن رتب بالمارستان (أى عين فيه طبيبا بمرتب ثابت)، وروى الشوكانى وابن حجر فى معرض الحديث عن شهرته بعد تعيينه بالمارستان قولهما: وألزم الناظر بأن لا يشترى شيئا إلا بعد عرضه عليه وربما لا يشترى شيئا (أى من الأدوية) إلا بعد عرضه عليه فما أجازه أمضاه وإلا فلا.

ويبدو لنا تمكنه من مهارة الطب الذى تخصص فيه من هذه المكانة التى تبوأها فى عهد السلطان الناصر، كما يبدو لنا ذلك أيضا من بيتين من الشعر رواهما ابن حجر العسقلانى منسوبين إلى ابن الأكفانى يسخر فيهما من كحال يعالج عيون الناس بالكحل فيتهمه بأنه جاهل وذلك حيث قال:

ولقد عجبت لعاكس للكيميا

فى كحله قد جاء بالشنعاء

يلقى على العين النحاس يحيلها

فى لمحة كالفضة البيضاء

وقد تحدثت المصادر عن الجوانب الشخصية لابن الأكفانى حين أشارت إلى أنه كان متفوقا فى طلبه العلم، وكان حافظا للتاريخ وللأشعار وكان كثير التجمل فى ملبسه ومركبه، وكان فكها لطيف المعشر، مما يشير إلى أنه كان يتبوأ مكانة اجتماعية مرموقة، ويتمتع بمستوى رفيع من الناحية المادية.

والمصادر الرئيسية التى تعرضت لشخصية ابن الأكفانى هى:

١ ـ **الدرر الكامنة** فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٣هـ).

٢ ـ **البدر الطالع** بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى (ت ١٢٥٠هـ).

ومن المصادر الأحدث :

١ ـ كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون لحاجى خليفة.

٢ ـ الأعلام لخير الدين الزركلى.

ومن المراجع الحديثة كتاب شوقى ضيف عصر الدول والإمارات وهو الجزء السادس من سلسلة تاريخ الأدب العربى.

العوامل المؤثرة فى فكر ابن الأكفانى التربوى:

١ـ الطبيعة العلمية للعصر:

اتسم العصر الذى عاش فيه ابن الأكفانى بأنه عصر ازدهار علمى ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال:

أ ـ رصد أسماء علماء ذلك العصر وهم من أبرز مشاهير التراث العربى فى شتى المجالات كابن النفيس (مكتشف الدورة الدموية) والقلقشندى الأديب، والفقهاء ابن تيمية وابن القيم والمحدث الحافظ ابن حجر العسقلانى، والمؤرخ ابن خلكان وغيرهم كثيرون.

ب ـ المؤلفات الضخمة التى تركها أولئك العلماء البارزون فى شتى التخصصات.

جـ ـ انتشار المدارس بتشجيع مباشر من السلاطين ووجود نظم مالية لتمويل التعليم.

وقد سجل المقريزى فى خططه والأدفوى فى الطالع السعيد كثيرا من أوضاع التعليم فى ذلك العصر وأسماء المدارس وأماكنها وأسماء المعلمين القائمين بالتدريس فيها.

ومن الممكن أن نتوقع تأثيرا لهذا المناخ العلمى فى رجل كابن الأكفانى فهو قد هاجر إلى مصر من سنجار فى سن الشباب، ومن الطبيعى أن يدفعه طموحه العلمى إلى البحث عن مكانة اجتماعية، والعلم هو الطريق الطبيعى لرجل غريب مثله لكى يحظى بالقرب من الأضواء السلطانية، وقد تحقق له هذا بالفعل كما روى مؤرخوه... وبالتالى فإن فكره التربوى، وآراءه فى التعليم، لابد أن تعكس لنا هذا الأثر الواضح لظروف عصره..

٢ـ ثقافته الخاصة:

على الرغم من قلة المصادر التى تناولت شخصية ابن الأكفانى فإن الفقرات المتناثرة عنه تتيح للباحث أن يستنتج أن ثقافة الرجل متنوعة فقد روى عنه ابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) وهو أقرب مؤرخيه إليه زمنيا أنه كان متفوقا فى صغره فى الرياضيات، وأنه نبغ فى علم الطب دراسة وممارسة ، ويبدو أنه كان متخصصا فى طب العيون كما توقع شوقى ضيف فى إشارته إليه، ونحن نؤيد هذا الذى ذهب إليه شوقى ضيف استنادا إلى:

١ ـ أن لابن الأكفانى مخطوطتين فى طب العيون هما :

ـ نهاية القصد فى صناعة الفصد.

ـ كشف الرين فى أحوال العين.

وتبلغ المؤلفات التى ذكرها الزركلى لابن الأكفانى تسعة مؤلفات هى:

١ ـ ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: وهو مخطوط حققناه منذ عشر سنوات ويضم آراءه التربوية وطائفة من المعارف العامة.

٢ ـ الدر النظيم فى أحوال العلوم والتعليم.

٣ ـ نخب الذخائر فى أحوال الجواهر.

٤ ـ كشف الرين فى أحوال العين.

٥ ـ غنية اللبيب فى غيبة الطبيب.

٦ ـ نهاية القصد فى صناعة الفصد.

٧ ـ النظر والتحقيق فى تقليب الرقيق.

٨ ـ روضة الألباء فى أخبار الأطباء.

٩ ـ اللباب فى الحساب.

ومن هذه القائمة نستنتج أن له اهتمامات تربوية حيث أن ثلاثة كتب من هذه التسعة ذات طبيعة تربوية وهى: «**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**»، و«**الدر النظيم فى أحوال التعلم والتعليم**»، و«**اللباب فى الحساب**»، ومازال الأخيران مخطوطين.

ويبدو أن تخصصه فى الطب واهتمامه بالرياضيات وبالفلسفة اليونانية القديمة كان له أثره فى فكره التربوى حيث يتضح لنا ذلك من تقسيمه العلوم، وحديثه عن أهمية استخدام المنطق فى مناهج البحث. ومن ذلك كله نستنتج أن ثقافته الخاصة كانت من العوامل المهمة المؤثرة فى فكره التربوى.

أهم جوانب الفكر التربوى عند ابن الأكفانى:

مفهوم التعليم

يظهر من كلام ابن الأكفانى عن التعليم أنه يجمع عناصر العملية التعليمية جميعا فهو يقول «كل تعليم وتعلم ذهنى فإنما يكون بعلم سابق فى معلوم ما، من عالم لمن ليس بعالم، لما ليس بمعلوم».

فقوله «علم سابق» يشير إلى المنهج أو المحتوى المراد تعليمه، وقوله «من عالم» يريد به المعلم، وقوله «لما ليس بمعلوم» يشير إلى حالة المتعلم قبل تلقيه العلم، أى أن ما يعرفه المتعلم من المعلم، لم يكن معروفا له قبل تعلمه إياه.

ثم ينتقل خطوة تقدمية فيشير إلى التعلم الذاتى الذى يمكن للفرد تحصيله بقدح ذهنه، وتأمل ما حوله من ظواهر فيقول:

(قد يكون «أى التعلم» بالطبع «أى يمكن أن يحصله الإنسان بطبيعته» وتفيده وقائع الزمان بتردد الأذهان فى موجودات الأعيان وأحوالها (الظواهر الطبيعية).

أقسام العلم:

ويقسم ابن الأكفانى العلم الناتج عن التعلم إلى قسمين:

الأول: ويسميه العلم التجريبى: وهو الناتج عن الملاحظة الحسية المباشرة للظواهر الطبيعية.

الثانى: ويسميه العلم القياسى: وهو الناتج عن إرادة الإنسان أن يتعلم، ووسيلته عنده البحث وإعمال الفكر.

تفاضل العلوم:

يرى ابن الأكفانى أن العلوم جميعا تشترك فى صنفين: النفع والشرف، فالعلوم شملها نافعة، والعلوم كلها شريفة، ولكن العلوم قد تتفاضل من جهة الغرض من تحصيلها فعلم الأخلاق من هذه الناحية من أفضل العلوم، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية ونعمت الفضيلة، كما قد تتفاضل العلوم من جهة موضوعها فعلم الطب من هذه الناحية من أفضل العلوم لأن موضوعه بدن الإنسان، كما قد تتفاضل العلوم من جهة منهج البحث فيها فتبرز هنا أفضلية العلوم الرياضية فإنها برهانية يقينية على حد تعبيره.

وهناك مغالطات يلتفت إليها ابن الأكفانى ويذكر بعضها فى مجال تقسيم العلوم منها:

١ - أن يظن بالعلم فوق غايته، فيتوقع أن علم الطب يبرئ جميع الأمراض.

٢ - أن يظن بالعلم فوق مرتبته فى الشرف، فيظن بالفقه أنه أشرف العلوم مع أن علم التوحيد أشرف منه، فعلم الفقه يتناول الأحكام الشرعية التى تنظم العبادات والمعاملات، أما علم التوحيد فيتناول ما يجب معرفته فى حق الله والملائكة والرسل.

٣ - أن يوضع للعلم هدف غير جوهرى، كطلب العلم للحصول على المال أو الجاه.

فالهدف الأسمى للتعلم عند ابن الأكفانى هو معرفة الحقائق وتهذيب الأخلاق.

٤ - أن يمتهن العلم بإتاحته لمن ليسوا أهلا له، فتعلم الطب كان فى الزمن القديم حكمة موروثة

عن النبوة كما يعتقد ابن الأكفانى، فلما تعاطاه سفلة اليهود لم يتشرفوا به، بل رذل بهم وهزلت قيمته.

تقسيم العلوم من حيث غايتها:

قلنا إن ابن الأكفانى قسم العلوم من حيث مناهجها البحثية إلى علوم تجريبية وعلوم قياسية، وهناك تقسيم آخر أورده يستند إلى الهدف من تحصيل العلم، ويمكن إجمال هذا التقسيم على النحو التالى:

أولا: علوم مقصودة لذاتها:

ويسميها العلوم الحكمية (نسبة إلى الحكمة) ويرى أن هدف هذه العلوم هو استكمال النفس الإنسانية لفضائلها ولهذه العلوم جانبان جانب نظرى وجانب علمى، أما الجانب النظرى فيرى أنه يتحقق بحصول الاعتقادات التعينية فى معرفة الموجودات وأحوالها، ويمكن أن نعبر عن ذلك بأنه يقصد بهذا الجانب العلوم التى يمكن أن يتم تحصيلها بالإدراك الحسى المباشر، أو الإدراك العقلى ـ أو الوجدانى ـ الذى يقترب من الإدراك الحسى، ويندرج تحت هذا الجانب النظرى ثلاثة مستويات:

أ ـ مستوى أعلى: وهو العلم الإلهى كالتوحيد مثلا.

ب ـ مستوى أوسط: وهو العلم الرياضى (وهو عنده أربعة علوم: الهندسة، والهيئة، والعدد، والموسيقى).

جـ ـ مستوى أدنى: وهو العلوم الطبيعية.

ويستند هذا التقسيم إلى أن المستوى الأعلى وهو العلم الإلهى علم مجرد عن الطبيعة المادية على مستوى العقل أو الحس فنحن لا نستطيع أن نضع تصورا عقليا للإله، كما أننا عاجزون بالحواس عن إدراكه حسيا، والمستوى الأوسط وهو العلم الرياضى يصح تجرده عن الماديات فى الذهن كالموسيقى والأعداد. أما المستوى الأدنى وهو العلوم الطبيعية فإنها العلوم التى لها وجود مادى فى الخارج وبالتالى فإن لها وجودا ماديا فى الذهن.

وأما الجانب العلمى من العلوم الحكمية فتندرج تحته ثلاثة علوم:

١ ـ علم الأخلاق: ويهتم بالأمور الخاصة بالشخص وحده.

٢ ـ علم تدبير المنزل: ويهتم بالأمور الخاصة بالإنسان وذويه.

٣ ـ علم السياسة: ويهتم بالأمور التى تنظم علاقة الإنسان بمجتمعه.

ثانيا: علوم غير مقصودة لذاتها:

ويقصد ابن الأكفانى بهذا النوع من العلوم ما يمكن أن نسميه بالعلوم المساعدة وبتعبيره هو «العلم الذى لا يقصد لذاته بل يكون آلة لغيره» وهو يقسم هذه العلوم إلى قسمين: **قسم** يرى أنه خاص بالمعانى كالمنطق، وظاهر كلامه أنه يقصد بالمعانى الأمور المجردة والأحكام العقلية، **والقسم الثانى** يرى أنه وسيلة للتوصل إلى المعانى وهو يشمل عنده: اللفظ والحظ أو بتعبير آخر: علم الأدب الذى يهتم الإنسان فى دراسته بتحصيل أكثر ثروة لغوية من المفردات، وتربية تذوقه الفنى، وهاتان وسيلتان لتحقيق غاية واحدة هى البيان أو حسن التعبير عن الرأى سواء أكان ذلك باللفظ، أى الخطابة المرتجلة الشفوية، أم كان بالكتابة التحريرية كالكُتّاب والأدباء. وفى كلتا الحالتين، فإن الأدب لا يكون مقصودا لذاته بل يظل وسيلة لتحقيق غاية هى التعبير عن المعانى المجردة فى الذهن.

أهداف التعليم عند ابن الأكفانى:

١ ـ العلم لذات العلم: ويعد هذا الهدف من الأهداف العامة للتربية الإسلامية، فالعلم فى نظر

الإسلام غاية نبيلة يجب على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وقد استعرض ابن الأكفانى نصوصا كثيرة من الثقافة الإسلامية تحض على طلب العلم وترفع من قدر العلم والعلماء والمتعلمين.

٢ ـ الهدف المعرفى:

يبدو من حديث ابن الأكفانى عن تفاوت العلوم فى الشرف أنه يجعل المعرفة هدفا من أهداف التعليم، فهو يتحدث عن «الحكمة» وأنها ضالة المؤمن ويستشهد بقوله تعالى: ﴿**يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا**﴾، ويقترب مفهومه للمعرفة من المفهوم الأفلاطونى، فهو يرى أن من أهداف التعليم «تهذيب الأخلاق» أو بتعبير آخر: الفضيلة.

٣ ـ الهدف الأخلاقى للتعليم:

يركز ابن الأكفانى فى أكثر من موضع على أهمية العلم والتعليم فى بناء الخلق القويم، فيقول مثلا:

«فإنه لا شىء أشنع ولا أقبح بالإنسان مع ما فضله الله به من المنطق وقبول تعلم الآداب والعلوم والصنائع من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل.

ويستشهد على ذلك بمثال يضربه وهو أن الخيل المدربة على الحروب، والجوارح من الطير (كالصقور) المدربة على الصيد، ترتفع أقدارها وترتفع أثمانها لامتيازها بالفضائل التى اكتسبتها بالتعليم، وهو ينقل عن أفلاطون مباشرة آراءه المشهورة فى النفس الإنسانية، ويركز على أن النفس الناطقة فضيلتها العلم.

كما يدعو فى مناسبات كثيرة إلى أهمية أن يكون المتعلم على درجة من الخلق الحسن ويرى أن من الخير قبض العلم عن غير أهله.

٤ ـ الهدف الوظيفى للتعليم:

يشير ابن الأكفانى اشارة عابرة إلى أن العلم قد يكون لجلب المنفعة فى الدنيا أو فى الآخرة ويتسق هذا مع مفهومه للعلم، وقد أشرنا سابقا إلى أنه يعتبر كل العلوم الأخرى نافعة ولكنه لا يهتم بهذا الهدف، بل على العكس يحط منه إذا قيس بالأهداف الأخرى فيقول:

«على أنه من تعلم علما للاحتراف لم يأت عالما، وإنما جاء شبيها بالعلماء.

ولقد كوشت علماء ما وراء النهر بهذا الأمر، ونطقوا به، ولما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا للعلم مأتما ..».

المراجع:

١ ـ ابن الأكفانى، ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٦، مكتبات.

٢ ـ ابن أبى أصيبعه، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت دار مكتبة الحياة. د. ت.

٣ ـ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٩ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د. ت.

٤ ـ ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، جـ٣، بيروت: دار الجيل، د. ت.

٥ ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، بيروت: دار صادر ١٩٦٩م، ٨ مجلدات.

٦ ـ ابن النديم،الفهرست، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م.

٧ ـ حاجى خليفة، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، بغداد: مكتبة المثنى، ٥ ت.

٨ ـ شمس الدين الذهبى، تاريخ دول الإسلام، جـ١ تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٩ ـ الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

١٠ ـ الغزالى، إحياء علوم الدين جـ١، بيروت،: دار المعرفة، د. ت.

١١ ـ. شوقى ضيف، تاريخ الأدب العربى، ٦ عصر الدول والإمارات مصر والشام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

١٢ ـ د. مصطفى رجب: إرشاد القاصد لابن الأكفانى: تحقيقا ودراسة سوهاج: مكتبة محسن ١٩٨٨م.

السّير الإسلامية فى الدراسات الشرقية بجمهورية أوزبكستان

بين المقامات، والمناقب، وسير الأولياء، فى مكتبة المخطوطات بمعهد أبو ريحان البيرونى للاستشراق بطشقند، التابع لأكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان مئات من المخطوطات صنفت كلها ضمن علم اصطلح على تسميته فى تاريخ الاستشراق بجمهورية أوزبكستان بعلم سِير الأنبياء والصالحين.

وكانت تلك المؤلفات دائماً مصدراً تاريخياً ثرياً، عكف علماء الأدب الأوزبكستانيون على دراسته وتحليله وتدقيقه، ونظراً لتعدد الأديان السماوية، سار علم الأدب فى أوزبكستان على ما سار عليه علم الأدب العالمى الذى تطرق لدراسة سير الأنبياء والصالحين.

بقلم: أ. د. بهادر نزاروف

تعريب: أ. د. محمد البخارى

وركزت الدراسات التى جرت على سير الأنبياء والصالحين المسلمين فى أدب الشعوب الإسلامية فى الشرق، على المنابع، ومراحل التطور، والنهضة التى شهدتها السير فى مختلف الفترات الزمنية، وكانت أولى الأعمال الأدبية الهامة فى هذا الإتجاه، عندما تم دراسة تحليل «سيرة النبى ﷺ» التى كتبها باللغة العربية كلا من ابن هشام، وابن اسحاق، تحليلا علميا[١].

ويفهم من معنى كلمة «سيرة» قصة العمر، أو سيرة الحياة، وتفسر فى علم الأدب لدينا، بالتعبير عن حياة النبى العربى محمد ﷺ، وترتبط بالدراسات التاريخية للدين الإسلامى الحنيف، وقد استعمل مصطلح «سيرة» للمرة الأولى، للإشارة إلى حياة نبينا ﷺ، من قبل ابن هشام (٨٣٤م)، وابن اسحاق (٧٠٤ ـ ٧٦٧م)، واستعملت أيضا للتعبير عن معنى «مغازى» حياة الرسول ﷺ[٢].

واعتبرت سيرة النبى ﷺ وسيلة للحفاظ على سننه، وعلى قوانين الشريعة الإسلامية، ولتسجيل بطولات الجيوش الإسلامية التى قاتلت لإعلاء كلمة الله جل جلاله، تحت قيادة النبى الأمى ﷺ.

ولكن سيرة النبى العربى محمد ﷺ كما يبدو لاتتفق دائماً مع حقائق الحياة التى عاشها ﷺ، لأنه وكما يبدو واضحا أنها عدلت مع الزمن، وأجريت عليها بعض التغييرات، حتى كادت تبدو وكأنها شخصية أسطورية، تصور وقائع تاريخية جرت وشارك فيها ﷺ. رغم أنها جمعت وكتبت خلال القرن الثامن الميلادى كقصص تاريخية بحتة.

وقد قسم ابن اسحاق السيرة النبوية الشريفة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى:[٣]

المبتدأ: وتشمل تاريخ الأنبياء القدامى.

المبعث: وتشمل الأحداث التاريخية حتى السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة.

المغازى: وهى الوقائع والمعارك التى خاضها المسلمون بقيادته، حتى وفاته ﷺ.

وتعتبر سير الأنبياء التى كتبها الوكيدى (٧٤٧ - ٨٢٣م)، وابن اسحاق أساساً لعلم سير الأنبياء[٤]. وهو ما سارت عليه الكتابات اللاحقة وشملت فى الرواية العربية الشعبية مؤلفات أخرى تحدثت عن أبطال أسطوريين «كسيرة عنترة» و«سيرة بيبرس».

وإلى جانب مصطلح «سيرة» استخدم مصطلح «طبقات» للإشارة إلى سير بعض الأشخاص واستعراض انتقالهم فى مراتب الحياة من مرحلة الشباب إلى مرحلة النضوج، أو الانتقال من طبقة إلى أخرى ضمن تسلسل المعلومات التاريخية التى استخدمت للإشارة إلى الصحابة والأولياء، وهى أقرب فى التصنيف إلى علم الأدب الحديث، وفقا لتأكيد سلسلة الإسناد للأصل المنقول عنه.

ومن بين الأعمال الأدبية التى سارت على نحو الطبقات، نورد كتاب «الطبقات الكبير» لابن سعد (٧٨٤ - ٨٤٧م)، وضم سير ٢٤٥٠ من الصحابة الكرام[٥]، وكرست الطبقات تلك للفقهاء والمحدثين فى مرحلة الإسلام المبكرة، ومع تطور العلوم والثقافة الإسلامية، أخذت الطبقات بالتوسع لتشمل سير الشعراء والأدباء والوزراء والأطباء والعلماء والصوفيين...الخ، وهو ما أشار إليه المستشرق الألمانى بروكيلمان فى معرض حديثه عن كتاب «الطبقات الكبير» لابن سعد بن مانع، من خلال تأكيده على شموليته لحياة وأعمال النبى ﷺ وأصحابه وشهداء المسلمين[٦].

ومن هذا المنطلق وزع على شير نوائى الصوفيين فى كتابه «نسائم المحبة من شمائم الفتوة» إلى طبقات خمسة، وهى:[٧]

«ذو النون المصرى» - من الطبقة الأولى.

«إبراهيم أدهم» - من الطبقة الأولى.

«بايزيد البسطامى» - من الطبقة الأولى.

«سيد الطائفة جنيد البغدادى» - من الطبقة الثانية.

«حسين منصور الحلاج» - من الطبقة الثالثة.

«أبو بكر الشبلى» - من الطبقة الرابعة.

«أبو عثمان المغربى» - من الطبقة الخامسة.

وقد ورد فى بعض المؤلفات الخاصة بسير الأولياء عبارة «تذكرة» شرح معناها ولى حجاييف فى رسالته العلمية «تاريخ علم الأدب الأوزبكى»، وقال أنها جاءت من الكلمة العربية «ذكرى»، وتعنى «دفتر الذكريات»، ومن وجهة النظر هذه يمكننا القول بأن «التذكرة» هى عبارة عن قصة تتناول حياة شخص ما من الشخصيات المشهورة فى وقت معين من الماضى[٨].

وتقسم «التذكرة» من حيث المعنى إلى مضمونين، واسع، وضيق. ويشمل المعنى الواسع الفلسفة، والتاريخ، إلى جانب فنون أخرى، «كتذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار، و«تذكرة خوش ناويسان» لغلام محمد دهلوى، و«تذكرة الحمقاء» لصدر ضياء.

و«تذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار (١١٤١ - ١٢٢٨م) هى من نوع سير الأولياء وتضم سير ٧٢ من شيوخ التصوف الأوائل، و٢٠ من المتصوفين فى المرحلة التالية[٩]، وقد أشار المستشرق الانجليزى نيكولسون إلى عدم انتظام المعلومات الواردة فيها، إضافة لاضطراب المقدمة أيضا[١٠]. بينما أكد ميرزا محمد قزوينى فى مقدمته التى كتبها باللغة الفارسية إلى أهمية «التذكرة» معتبراً إياها من

أولى النماذج للأدب البديعى الفارسى[11].

وتظهر فى أسلوب «تذكرة الأنبياء» الصفات العادية والخاصة المفيدة، التى توجه الشعب نحو السبيل القويم وتؤدى إلى تعليمه القويم، كما وشاع استعمال «التذكرة» للتعبير عن سير الشعراء والعلماء ورؤساء الدول، ولكن «تذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار، و«تذكرة الأولياء التركى» لمحمد صديق رشدى، فتعتبر من نوع سير الأولياء الصالحين.

والنوع الثانى من سير الأنبياء هو: «مناقب ـ حالات»، التى تأخذ شكل رسالة تحكى قصص حياة الشعراء والكتاب والشيوخ والأولياء، بأسلوب روائى تعرض فيه مناقب الشيوخ أو الولاة وعلاقاتهم بالمقربين.

واجتمعت فى «مناقب ـ حالات» المؤشرات الإبداعية والأصول العلمية حتى غدت كقوس نصر فى عصرها، ومن المناقب المشهورة: «مكارم الأخلاق» لخان دامير، و«خمسة المتخييرين» لعلى شير نوائى، و«حالات بهلوان محمد»، و«حالات سيد حسن أردشير».

وتناولت معظم المناقب شيوخ التصوف وعصرهم. كـ«مناقب خوجه بهاء الدين نقشبندى» لصلاح بن مبارك البخارى، و«مناقب مولانا لطف الله» لمولانا مير محمد المفتى الطشقندى، و«شمائل حضرة خوجة علاء الدين عطار» لأبى قاسم بن محمد بن مسعود البخارى[12].

ومن بين المؤلفات الداخلة فى علم سير الأنبياء، «المقامات» التى تعتبر من نوع السير والطبقات ومناقب الحالات، ولكن المقامات هى عبارة عن كتاب يحكى عن المراتب والقواعد. وعبارة «مقامات» جاءت من اللغة العربية من أصل كلمة «المقامة» وتعنى المكان، والمرتبة، والدرجة.

والمقامات عندما تتحدث عن شخص معين فهى تتناول مرتبته، وتأثيره، ودرجته فى الحياة. كما وتناولت المقامات المكتوبة باللغة الفارسية حياة الشيوخ والأولياء الذين عاشوا وعملوا فى ما وراء النهر، وخراسان، ومنها: «مقامات خوجة كعب الأحبار»، و«مقامات شيخ عبدالقادر غيلانى»، و«مقامات شيخ الشيوخ يوسف همدانى»، و«مقامات مير كولال»، و«مقامات بهاء الدين نقشبندى»، و«مقامات عبدالرحمن جامعى» وغيرهم.

وقد أدى تأثير هذا اللون من الأعمال الأدبية إلى تطوير الأدب الشعبى الفارسى، وغير المواقف حيال التفكير البديعى والجمالى، ولعبت المقامات دورا كبيرا فى تطوير الأدب البديعى بشكل عام، وكنتيجة لذلك نرى أن الأدب البديعى الفارسى أصبح جزءا من مؤلفات «السيرة» استنادا لعلم سير الأولياء الصالحين.

الهوامش:

١ ـ مقالات فى النشر العربى للقرون الوسطى. طشقند. دار فن، ١٩٩٢. ص٣٢. (باللغة الروسية).

٢ ـ الموسوعة الإسلامية. موسكو ١٩٩٥. ص٢١٧. (باللغة الروسية).

٣ ـ الموسوعة الإسلامية. موسكو ١٩٩٥. ص٢١٦. (باللغة الروسية).

٤ ـ مقالات فى النثر العربى للقرون الوسطى، طشقند. دار فن، ١٩٩٢. ص٣٢. (باللغة الروسية).

٥ ـ الموسوعة الإسلامية. موسكو ١٩٩٥. ص٢٠٨. (باللغة الروسية).

٦ ـ بروكيلمان تاريخ الأدب العربى. فيمر، برلين ١٩٠٢. ص١٤٣. (باللغة الألمانية).

٧ ـ على شير نوائى: مجموعة الأعمال. المجلد ١٥، ص ٧٦ ـ ٨٠ (باللغة الأوزبكية).

٨ ـ ب. والى حجاييف: تاريخ الأدب الأوزبكى فى القرون ١٠ ـ ١٩. طشقند، دار أوزبكستان ١٩٩٣. ص٢٠. (باللغة الأوزبكية).

٩ ـ الصوفية فى الثقافة الإسلامية. موسكو. ص١٤١ ـ ١٤٤. (باللغة الروسية).

١٠ ـ نفس المصدر السابق.

١١ ـ نفس المصدر السابق.

١٢ ـ ب. والى حجاييف: تاريخ الأدب الأوزبكى فى القرون ١٠ ـ ١٩. طشقند، دار أوزبكستان ١٩٩٣. ص٣٠. (باللغة الأوزبكية).

قضايا معاصرة

العولمة.. بين القبول والرفض؟

العولمة (Globa Lization) من المصطلحات المعاصرة، والتى دار السجال حولها، فى الآونة الأخيرة وفى مناسبات ثقافية عديدة ما بين مؤيد ورافض. والملاحظ أننا نهرول - دائما - وراء كل ماهو جديد بدعوى الحداثة تارة، والانبهار تارة أخرى، والأمر يحتاج إلى مناقشة هادئة متزنة للإشكالية، بدل التسرع فى معالجة الأمر.

دكتور/ جمال رجب سيدبى

فى البداية، نود القول إن العولمة هى نتيجة لسياسة الحكومات الغربية من أجل فرض نظام عالمى جديد، نظام يحقق مصالح الأقوى على حساب الأضعف، ناسين أو متناسين أن الأضعف هو السوق المستهلكة لمنتجات الأقوى.

وبطبيعة الحال الأقوى لا يريد فرض هيمنته من الناحية الاقتصادية فقط، وإنما يحاول أن يصدر الثقافة والفكر وتلك مكمن الخطورة فى الموضوع.

أقول إن الغرب متنبه تماما لما يمر به العالم الآن من ظروف وهم يستثمرون الوقت أحسن استثمار وينتقد «هانس بيتر مارتين وهارالد شومان فى كتابهما» «فخ العولمة» ويذهبان إلى أن أصحاب الزعم بأن العولمة ذات الاتجاه الليبرالى المغرق فى التطرف هى من قبيل الحتميات الاقتصادية والتكنولوجية الشبيهة بالأحداث الطبيعية التى لا يمكن الوقوف فى وجهها. ويعتقدان - على العكس - من ذلك بأن هذه العولمة إن هى إلا نتيجة حتمية خلقتها سياسات معينة، بوعى وإدارة الحكومات والبرلمانات الجديدة، وألغت الحدود والحواجز أمام حركات تنقل السلع

ورؤوس الأموال وسحبت المكاسب التى حققها العمال والطبقة الوسطى، وانتهاء بالتوقيع على اتفاقية منظمة التجارة العالمية (الجات) التى ستتولى توقيع العقوبات على من لايذعن لسياسة حرية التجارة. ففى كل هذه الأمور لم تكن هناك حتميات لا يمكن تجنبها، بل هى سياسة واعية بما تفعل وتعبر عن مصلحة الشركات دولية النشاط(١).

إن العولمة إذا كان المقصود بها الانفتاح والتعاون فلا ضير فى هذا المصطلح، وإذا كان المقصود الأخذ والعطاء فلا ضير أيضا، فى ذلك أما أن نكون مجرد مستهلكين للآخر سواء على المستوى الاقتصادى والثقافى والفكرى، فهذا ما يرفضه العقل الإسلامى.

إن المتأمل لما يدور الآن، يرى أن وسائل التقنية المعاصرة من البث المباشر وثورة الاتصالات قد سهلت المهمة أمام النظام العالمى الجديد فى تحقيق مآربه، وأيضا اتفاقية الجات التى تتطلب يقظة وحذرا شديدين من الشعوب الموقعة عليها وإلا ذهبنا إلى الهاوية!

أعتقد أن الهدف من العولمة ليس مجرد التعامل مع الآخر أخذا وعطاء مع المحافظة على الثوابت لشخصية الأمة وقيمها بقدر ماهو الذوبان فى الآخر والتشتت وفقدان الهوية.

إن هؤلاء الذين يروجون لمثل هذه الأفكار، كان يتعين عليهم التريث فى الأمر، بل الجرى والهرولة والذوبان والتشتت هل الهدف هو الأمركة فى كل شىء؟ أم أن نأخذ ما يتفق مع قيمنا وثقافتنا وحضارتنا ونبذ مالا يتفق مع موروثنا الحضارى؟

إننى أعجب أشد العجب عندما أرى بعض المثقفين يهللون للمصطلح دون تحديد لمدلوله ومراميه، إننا نعلم أن التعريف الواضح والصحيح هو المدخل الصحيح للمعرفة العلمية.

فالحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، تحض على التفاعل مع الحضارات المجاورة تأخذ وتعطى، تتفاعل معها دون أن تهمش أو تذوب فى الآخر.

لقد انفتحت الحضارة الإسلامية على اليونان والفرس والروم وعبر حركة الترجمة فى العصرين الأموى والعباسى، أثبتت بجدارة للتاريخ مدى مرونة هذه الحضارة، ولكنها لم تلغ أبدا الآخر، حتى الفتوحات الإسلامية لم تلغ شخصية الأمم الداخلة فى الإسلام.

إن بعض المنصفين من عقلاء الغرب قد تنبه إلى أهمية الإسلام وعالميته ودوره فى إنقاذ البشرية من هذا المصير المشئوم يقول: «السير روبين كوك ـ وزير الخارجية البريطانى ـ: «إن عالم اليوم لا يترك خيارا أو مفرا من ضرورة العيش معا والعمل متآزرين فى سلام ووئام وإن التحديات التى نواجهها هى تحديات عالمية والبعض يقول إن الغرب بحاجة إلى عدو بعد انتهاء الحرب الباردة وإن الإسلام هو العدو الجديد الذى سيأخذ مكان الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى القديم كما يقولون: **«إن صراع الحضارات قادم لا مفر منه، وأنا أقول إنهم مخطئون، بل مخطئون خطأ فادحا فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو بل نحن بحاجة إليه كصديق فقد تكون حضارتنا مختلفة، وقد تكون أدياننا مختلفة، ولكن هذا لا يعنى أننا**

لا نستطيع أن نتعايش معا وأن ننسجم معا ليود أحدنا الآخر، لذلك علينا أن نتعاون معا لإفشال هذه الادعاءات، فالقرآن الكريم فى سورة الحجرات الآية ١٢ يقول: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾**، والآية توضح أن نعمل معا لتحسين التفاهم بيننا وتوضيح تلك الصور الخاطئة والمشوهة لبعضنا البعض، وعلينا أن نتخلص من عدم الثقة التى تضر بالجميع(٢).

وكلام الرجل، واضح ولا يحتاج إلى تعليق!! فهو يستشهد بالقرآن فى عالميته وتعاونه مع الآخر، فلماذا لا ننطلق نحن من العالمية من منطلق عالمية الإسلام، بما يحوى المصطلح من معنى ومغزى بدل هذا المصطلح «العولمة»، الذى يشى بابتلاع الآخر!! أو على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود: وأولى تلك الضلالات هى «العولمة» وهى كلمة مهذبة جدا للتبعية والأمركة وفقدان الهوية والخصوصية والذوبان فى الهلامية العالمية!!(٣).

ورغم خطورة المرحلة التى تمر بها الأمة الإسلامية، ومحاولة الغرب لتغيير ثوابت الأمة ومسخ شخصيتها، أرى أن الأمر لم يعد مجرد رفض «للعولمة» كمصطلح ومفهوم بقدر ما يرتبط الآن بثورة الاتصالات ووسائل الإعلام، يقول الأستاذ حسين حامد فى مقالة ثورة الاتصال وإعادة هيكلة العالم: «إذا كان الأمر على هذا الحال، فماذا نحن فاعلون فى زمن غلبت محنتنا بأزمة التغريب التى تلفنا جميعا؟ وفى الطريق الآن مئات القنوات الفضائية الأوروبية والأمريكية التى ستبدأ إرسالها فى غضون سنوات حاملة إلينا مصالح أصحابها وقيمهم ومعارفهم وخبراتهم والتى لا تتفق فى أغلبها مع مجمل الحياة عندنا، مع ملاحظة أن المشاهد سيلتقط هذه القنوات فى زمن غير بعيد من خلال تليفزيونه العادى دون حاجة إلى الطبق الفضائى (Dish) أو المستقبل (Decoder) الذى يفك شفرة القمر الصناعى الذى يحمل هذه القنوات، ففى الطريق أيضا جهاز التليفزيون الذى سيستقبل الأقمار الصناعية مباشرة دون وسائط وإذا أضفنا السينما الأجنبية ومحاذيرها إلى التليفزيون وقنواته الفضائية فسنجد أن المواطن المصرى سيكون فى غده القريب محاصرا من جميع الجهات بإطار من القيم والمعارف المختلفة تماما عن تراثه الدينى والاجتماعى، وعندها علينا أن نتوقع ظهور جيل جديد منقطع الجذور يستسهل كل المحظورات(٤).

إن الأمر جد، وليس بالهزل، ويحتاج إلى تضافر عقول الأمة فى رسم استراتيجية جديدة تنطلق من عالمية الإسلام وتوازنه، لكى نتبوأ مكانتنا اللائقة فى النظام العالمى الجديد.

الهوامش

١ ـ انظر: د. رمزى زكى فى مقدمة «فخ العولمة». تأليف هانس ـ بيتر مارتين، هارلد شومان ترجمة عدنان عباس سلسلة عالم المعرفة عدد «٢٣٨».

٢ ـ وزير الخارجية البريطانى: مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٦/١٠/١٩٩٨م.

٣ ـ د. مصطفى محمود: مقال «البنت السوبر»!! الأهرام ١٧/١٠/١٩٩٨م.

٤ ـ حسين حامد: مقال ثورة الاتصال وإعادة هيكلة العالم ـ الأهرام ٢/١١/١٩٩٨م.

الإمام محمد عبده

لم تحظ شخصية إسلامية من الدراسة والاهتمام ما حظيت به شخصية الإمام محمد عبده، فقد تناولت الدراسات والاهتمامات رؤيته وفكره ومنهجه، وكتاب «الإمام محمد عبده» للدكتور محمد البهى وزير الأوقاف الأسبق هو إحدى الدراسات التى قدمت رؤية كاملة لفكر محمد عبده ومنهجه من أجل رقى الشعب المصرى فى وقت كان العمل الوطنى يعد جريمة كبرى من وجهة نظر الحكام. وكان الدكتور محمد البهى ـ رحمه الله ـ من المتحمسين المحبين للشيخ محمد عبده ومنهجه الإصلاحى وهو ينتمى بحكم نشأته إلى محافظة البحيرة (مديرية البحيرة آنذاك) التى نشأ فيها الشيخ محمد عبده والتى فكرت فى إحياء ذكرى الشيخ محمد عبده وقدمت اقتراحات عديدة لذلك وحظى اقتراح إرسال اثنين من المتفوقين من خريجى الأزهر من أبناء المديرية إلى جامعات ألمانيا لدراسة الفلسفة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ـ وهما المجالان اللذان كان يحبهما الإمام محمد عبده ـ بالقبول.

للأستاذ الدكتور محمد محمد البهي

عرض: مصطفى عبدالكريم

وقد تناول د. محمد البهى حياة الإمام محمد عبده منذ كان طفلا صغيرا وحتى تشكل طموحه الوطنى وحبه للتقدم والعدل والمساواة فى مصر، كما يربط الكتاب فكر محمد عبده النظرى وأثره فى الواقع التطبيقى إلى جانب الاهتمام ببيان أثر فلسفة جمال الدين الأفغانى على توجهات محمد عبده الإصلاحية، والكتاب قام بالتقديم له الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ومن إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن سلسلة دراسات إسلامية، ويشمل الكتاب مقدمة وستة فصول:

الفصل الأول : التكوين الوطنى والإصلاحى لمحمد عبده: يستعرض هذا الفصل الدوافع التى دفعت الإمام إلى أفكاره الإصلاحية والوطنية وتكمن هذه الدوافع وأسبابها فى حياته، فقد نشأ فى أسرة قروية حيث ولد فى دلتا مصر فى بلدة «محلة نصر» بالبحيرة سنة ١٨١٨م واضطرت أسرته إلى تغيير محل إقامتها عدة مرات لكى تنأى بنفسها من الاضطهاد والملاحقة، وقد عرف محمد عبده من والديه وأقاربه حقيقة هذا الاضطهاد والملاحقة وكان لهما تأثير قوى على نفسية الطفل محمد عبده وأفرزت كراهية فى داخله للسيادة الأجنبية والاستبداد على وجه الخصوص، وقد كان هذا الشعور أحد الدوافع التى شكلت شخصية محمد عبده وطموحه.

تعلم محمد عبده فى كتَّاب القرية وبعد عامين من التعليم أرسله والده إلى طنطا لكى يلتحق بالمسجد الأحمدى، وقد صبر على الإقامة والدراسة وقتا قصيرا لأن مناهج التعليم ـ آنذاك ـ لم تكن مثمرة ثم عاد إلى قريته مرة ثانية رافضا

التعليم فى المدارس ثانية، بل أخذ يعين والده فى زراعة الأرض وبدأ فى مرافقة أحد الصوفية الذى اجتذبه إليه لكى يعيش حياة الصوفية فجعله ذلك يحيا حياة الوجد والانفصال تماما عن عالم الواقع إلى عالم تجريدى آخر، وكان لذلك تأثير كبير عليه، إذ جعله ينسى انطباعاته عن التعليم العقيم الذى تلقاه فى المسجد الأحمدى ثم التحق بالأزهر لكن التعليم الأزهرى لم يرض طموحه ولم يتخل عن الصوفية بل استغرق فى عشقه لحياة التصوف ثم بدأت مرحلة جديدة فى حياته حين قابل جمال الدين الأفغانى سنة ١٨٧١م، وتردد عليه وتلقى العلم على يديه وبيّن جمال الدين لمحمد عبده أسس الدين الإسلامى ومناهج الفلسفة أيضا.

الفصل الثانى:

محمد عبده زعيما وطنيا ومصلحا: بدأت حياته العلمية مع بداية سنة ١٨٧٨م وشرع فى معركته الإصلاحية حيث بدأ بالشباب، وكان يُلقى عليهم دروسه من منصة التدريس ويحث الشباب على التضحية بأرواحهم فداء للأمة المقهورة وطالبهم بالاستعداد للوفاء بالإصلاح الوطنى، وقام بالتدريس فى الأزهر وكان منهجه التعليمى يركز على التحرر من قيود التقليد والتمسك الشديد بها، وحارب طغيان اللغات الأجنبية وطالب بالاهتمام باللغة العربية الأم فأزعجت دعوته السيادة الاستبدادية وقدم استقالته وغادر القاهرة وعاقه هذا القرار عن المضى قدما فى طريقه الإصلاحى الذى بدأه، ثم أسندت إليه رئاسة تحرير الجريدة الرسمية للحكومة «الوقائع الرسمية» فمنحه ذلك إمكانية التوجه المركَّز إلى طبقات الشعب، وهكذا استطاع نشر أفكاره وتصوراته بين الشعب، ثم أسس بالتعاون مع جمال الدين مجلة «العروة الوثقى» التى كافحت ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية، وتوجه إلى تونس لكن سرعان ما عاد إلى مصر ليعين قاضيا ثم مستشارا واستطاع اكتشاف عيوب كثيرة فى نظام القضاء وحاول إصلاحها وتحرر من التقليد وحرفية التقاليد، فقد كان القانون بالنسبة إليه هو ضمير القاضى الذى يحب أن يخدم الحقيقة وتطلب منه هذا التحلى بالشجاعة والثقة بالنفس، وفى سنة ١٨٨٩م تولى منصب مفتى البلاد وعُين فى العام نفسه عضوا فى هيئة كبار العلماء وعضوا فى مجلس شورى القوانين، وقد حاول من خلال وظائفه الثلاث تحقيق أفكاره الوطنية، إلا أن المنية عاجلته فى ١١ يوليو ١٩٠٥م.

> **ابتعد الإمام محمد عبده فى منهجه التعليمى عن قيود التقليد وحارب طغيان اللغة الأجنبية والاستعمار**

الفصل الثالث: فكره الوطنى ومنهجه التطبيقى:

كان يسمع وهو طفل عن اضطهاد شعبه وكابد ذلك بنفسه وهو شاب ثم كافح وهو مدرس ضد هذا الاضطهاد ولم يطالب إلا بتحرر بلده وشعبه وكان محمد عبده ضد من رأوا آنذاك أن وسيلة الرقى الوطنى هى تأليف دستور جديد وبرلمان للبلاد وتوجه ضد من رفضوا استقلال البلاد

وتحررها من كل أشكال السيادة الأجنبية فى عصر ساده الجهل بمستقبل البلاد وسيطرت الفوضى وكانت التربية التى جعلها محمد عبده أحد أهدافه هى التربية الإسلامية والتى تتحقق من خلال اتباع الأسس التى أتى بها الرسول محمد ﷺ.

وكان إيمانه القوى والثابت بالإسلام هو الذى دفع به إلى الرد على اعتراضات المشككين فى الإسلام حيث حاول إرجاع دوافع تأخر العالم الإسلامى إلى مصادر أخرى غير الإسلام ولم تكن تلك الدوافع ذات طبيعة اقتصادية أو سياسية، بل بلورها فى الفهم الخاطئ لأسس الدين الإسلامى والبدع التى لا تتفق وطبيعة الإسلام الحقة من ذلك:

١ - فهم خاطئ فى فهم معنى التوكل والقدر فمال إلى الكسل وقعد عن العمل.

٢ - إساءة فهم قواعد الدين مثل قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**، ومن ثم فإن المسلمين أفضل الأمم أو الآية **﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾**، ومن ثم يشيع الاعتقاد بأن الإسلام يصاحبه القوة بدون أن يحقق هو ذلك فى الواقع. وإذا ما صادفه حظ عاثر فإنه يواسى نفسه بأنه حكم القضاء والقدر وينتظر حكم القدر بدون أن يبحث عن وسيلة لتغيير هذا الوضع أو يستجمع قواه أمام حقيقة وضعه.

٣ - فهم خاطئ فى فهم معنى الطاعة لأولى الأمر والانقياد لأوامرهم فألقى مقاليده إلى الحاكم ووكل إليه التصرف فى شئونه.

٤ - إن الحكام على قناعة بأنهم يضطرون المحكومين للعمل وفق ميولهم ويخضعون أنفسهم تماما لسيادتهم وهم فى ذلك لا يراعون أى شكل من أشكال العدالة ويسهمون فى دمار أمة بأكملها.

٥ - ينتمى إلى طبقة المحكومين اتباع المذاهب المتباينة والذين يتبعون الآراء المتعارضة فى الدين وينقادون إلى سيطرة التقليد انقيادا أعمى.

الفصل الرابع: رؤيته لعلاقة الإسلام بالإنسان والمجتمع والدولة والحضارة: أوضح محمد عبده أن الإسلام يترك أمام العقل البشرى كل الإمكانات مادام ينهج دروب الحكمة ويدعه ينظر إلى الحياة ويتعرف عليها لكى يكتشف بنفسه قيمة الحقائق المادية فيتوجه طواعية إلى الإيمان. ويقول إن القرآن يأمر بالتأمل والنظر فى استخدام العقل للتدبر فى مظاهر الكون وما يمكن الوصول إليه من دقائق الطبيعة لاكتساب الحقيقة بواسطة العقل، فالإسلام يدعونا إلى الإيمان مع التدبر كما يرى أن الإنسان قادر على معرفة الأشياء ووضع قوانين، إلا أن معرفته لم تنجح فى إدراك الوجود كما يؤكد محمد عبده أن الدين عقيدة ورسالة كُلِّف النبى بتبليغها سواء للفرد وللمجتمع أو للإنسانية كلها وهى ضرورية من أجل خلق النظام، والعقل البشرى ليس مؤهلا بمفرده لكى يحقق السعادة للبشر فى الحياة، ومن هنا يحتاج إلى معين وهاد لكى يقود قدراته العقلية والجسدية نحو الخير.. وقد طالب بالتمسك بالوحدة الوطنية والعمل المشترك وأن يلبى كل فرد التزاماته تجاه الآخرين، كما طالب بالعدالة المطلقة وضمان حرية كل فرد من أفراد الشعب والقضاء على الاستبداد والفوضى وكان هذان المحوران هما محور دعوته.

الفصل الخامس: الإصلاح الدينى واللغوى: تبنى محمد عبده فى هذا المجال أسلوب التحلل ونقد التراث التعليمى وذلك بالرجوع إلى مبادئ الحلول التى طرحت فى صدر الإسلام للمشكلات الدينية والاقتصادية والسياسية، كما رأى أنه يجب التوقف عن التمسك بالتقليد ودعا إلى تحرير الفكر وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل

ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه، وقد سعى محمد عبده إلى إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف التى تخضع مباشرة لسلطة الخديو، وهذا الإصلاح من منظوره يعتبر ذا دلالة كبيرة وأهمية قصوى، ليس من أجل مصر أو العالم الإسلامى، بل أيضا من أجل العالم كله وهو يهدف أيضا إلى تحسين علاقات الشرق بالغرب، إذاً لقد اعتبر محمد عبده الأزهر هو المحور العلمى والنظرى الذى ينفذ فيه خطط الإصلاح الدينى، وكانت المحاكم ومناصب الدعوة هى المواقع العملية والتى طبقت نظريات التعليم الأزهرى والتى كانت فى حاجة إلى إصلاح، ودعا إلى دقة الاختيار للوعاظ ولمن يعتلون المنبر، لهذا يرى أنه يجب إصلاح إدارة الأوقاف لتنوير جماهير الشعب. وبذل محمد عبده جهدا كبيرا لإحياء اللغة لكى يجعلها مفهومة ويسيرة الفهم، وكانت طموحاته أن يجد الإنسان كتبا يسيرة عن العلوم والدين وذلك من خلال إجراء التغيير وتيسير الأسلوب فى المدارس والجامعات والصحافة ولذلك انكب على إصلاح مكتبة جامعة الأزهر وأثراها بالكثير من الكتب القديمة اليسيرة على الفهم، وأسس جمعية إحياء علوم العربية.

الفصل السادس: ملخص البحث.. علاقة الفكر بالمنهج عند محمد عبده: دعا محمد عبده إلى إحياء الوعى الوطنى فى الأمة وهذا راجع إلى أن روحه ووجدانه فاضا بحب الوطن وارتبط نجاح منهجه ارتباطا وثيقا بآمال الأمة كلها، وتمثل هذا المنهج فى تربية الشباب بكيفية معينة والرقى الأخلاقى بالمجتمع، ونادى بتحرر مصر من السيطرة الأجنبية ووضع نصب عينيه الطريق إلى ذلك وهو التربية، أما الاشتغال بالسياسة فقد ابتعد عنها فى آخر أيامه ولم يهتم مطلقا بتقديم نظرة فلسفية جديدة تعتمد على الاستدلال المحرر، إنما ذهب إلى بعض الأفكار واقتبس من غيره من المفكرين المسلمين من أجل تأسيس أفكاره الإصلاحية وهذا لا يعد عيبا فى رؤيته للعالم أو فى نسقه الفكرى، إلا أنه يبقى دائما حامل لواء التوفيق بين النظريات والتطبيقات، وقد اتفق لديه التنظير مع التطبيق العملى.

اعتبر الإمام محمد عبده أن الأزهر هو المحور العلمى الذى ينفذ فيه خطط الإصلاح الدينى

ولقد تأثر محمد عبده بجمال الدين الأفغانى وروحه الوطنية واتفقا فى رؤيتهما الداعية إلى الإصلاح الدينى إلا أن محمد عبده فاقه من خلال قدراته الإصلاحية ودعوته لإصلاح جامعة الأزهر واللغة وكان مرجع الاختلافات بينهما طبيعة شخصيتهما بسبب الميلاد فى أقاليم منافية متباينة وتأثير تباين بيئتيهما عليهما.

وهكذا كانت شخصية محمد عبده وحياته منبعا ثريا لكل الدارسين والمطلعين والذين تناولت دراساتهم حياة الإمام محمد عبده ومنهجه وفكره ورؤيته فأثروا المكتبة العربية بكل ما يتعلق بهذه الشخصية الإسلامية الكبيرة.

«ما أروعه من دين، ذلك الذى يصير العبد فيه سيدا، فالكل سيد تحت راية الإسلام، وما أروع ابن الخطاب حين قال بعد شراء أبى بكر بلالا ثم عتقه. «أعتق سيدنا، سيدنا».

«إنچيلا»

أحمد حامد

لماذا أسلم هؤلاء؟

الأمريكية إنچيـــلا: ... الكل سيد تحت راية الإسلام!

هى الأمريكية: إنچيلا مايكل والتى، المولودة عام ١٩٥١م، لأبوين أمريكيين، لم يكن لهما هم إلا العمل المستمر، للحصول على المال، لدفع أقساط الديون المتراكمة والتى لا تنتهى، فكل شىء متاح لك مادمت تعمل، والدفع بالأجل مباح مادمت تدفع، وظلا على هذا الحال، ليكفلا لأولادهما حياة آمنة، مستقرة.

وتقول إنچيلا: اعتقد أبواى أن الحياة طعام وشراب وكساء، وتركا أولادهما، فشل الأخ الأكبر فى التعليم، وانخرط فى عمل راح يكسب منه، وأدمن فيه المخدرات فطرد من عمله، وتحول إلى مجرم، ثم إلى مجنون، ومات، وتبعه شقيقى الثانى الذى سلك نفس نهج أخيه الأكبر.

ولم يبق لهما إلا أنا، حيث أبديت استيائى مما حدث، مستوعبة كل الأحداث التى مرت بنا كأسرة بدأت تفقد أبناءها، لعدم التوجيه من الأبوين الغائبين، واعتبرت أبوىّ سببا رئيسيا فى قتل أخوىّ، ولولا أنى كنت أدفن رأسى بين أغلفة الكتب، قارئة كل ما تقع عليه عيناى، لكنت قد انحرفت أيضا، لكنى اعتبرت الكتاب صديقى ومعلمى وموجهى، فنضج عقلى مبكرا، وكان تفوقى فى الدراسة الملاذ الوحيد والدفء الحقيقى الذى أشعر به، وكان ذلك بالنسبة لأبوىّ شيئا عاديا، ولما اقتربت من الالتحاق بالجامعة قررت أن أعمل مستغنية عن مساعدة قاتلى أخوىّ. وبالفعل اشتغلت، وكانا قد انفصلا عن بعضهما، وما عدت أعرف عن أبوى شيئا بعد انفصالهما.

وتقول الأمريكية إنچيلا مايكل والتى: والتحقت بالجامعة لدراسة التاريخ الذى استهوتنى قراءته منذ الصغر، لأتعرف على عالم بلدى وعلى العالم من حولى.

واستطعت التفوق فى دراستى، رغم أنى أعمل.

وفى الكلية كان لنا زملاء وزميلات من السود، كثيرا ما كانت تحدث ضدهم مشاحنات من زملائنا وزميلاتنا من أصحاب البشرة البيضاء،

وبطريقة وصلت إلى الحيوانية، مما جعلنى أقترب من زميل أسود لأواسيه فى جرح أصابه إثر مشادة انتهت بالتشابك بالأيدى.

وجاءنى زملائى من البيض وحذرونى وهددونى بمقاطعتهم لى إن تحدثت إلى أسود بعد هذه المرة. فابتسمت لهم فى سخرية، لأنى مقتنعة بأن لون الإنسان ليس جوهره، واستنكرت العصبية وجهالتها، وصممت على صحبة هذا الزميل الأسود، فوجدته فى صدق ينصحنى بالابتعاد عنه حتى لا يكيدون له ولى، وتكون العواقب وخيمة.

لكنه لما وجدنى مصممة على صحبته، فخورة بزمالته ضاربة باللون عرض الحائط، قال لى بالحرف الواحد: «إذن ليذهبوا جميعا إلى الجحيم، مادام لونى لا يؤذيك»، وعاد فى هدوء عصبى يقول: ليهدهم الله إلى الدين الذى لا يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان، بسبب اللون أو الجنس أو اللغة، وبدأت رحلتى فى التعرف على الدين الذى ساوى بين البشر جميعا.

وكان الإسلام ومازال، هو الشاطئ، الذى يرسو عليه الإنسان فيأمن على نفسه وعرضه وماله، فهو دين يدعو إلى سلام النفس، وبرئها من كل الشوائب التى تعكر صفو الحياة، ليعيش البشر فى أمان واطمئنان واستقرار مع ذويهم، ومع الآخرين الذين لا يدينون بالإسلام دينا، إنه دين خال من التعصب الأعمى الذى يجر إلى هزيمة النفس، ومن ثم إلى الجريمة التى تحقق للمجتمع عدم الاستقرار فى النهار قبل الليل.

إنه الإسلام الذى ختم به الخالق رسالاته إلى آخر أنبيائه ورسله، الذى حمل الرسالة بأمانة التربية الربانية، وأداها بالخلق القرآنى، فكان ومازال، الإنسان الكامل، الذى رفض السلطة والسلطان، وآلى على نفسه أن يكون صاحب دعوة إلى دين الله الخاتم، الذى يدعو إلى الوحدانية الخالصة، بعيدا عن إشراك أى مخلوق فى العبادة مع الله، فالله الواحد، لا شريك له، هو الأحق بالعبادة.

وتقول الأمريكية إنجيلا مايكل والتى: إن الوحدانية هى الأساس القوى، الذى يقوم عليه الدين، ومن أجلها عانى رسول الإسلام ﷺ الكثير من المتاعب ومن أقرب الناس إليه، علاوة على الذين كان سلطانهم على الناس بلا حدود، فقد ناصبوه العداء أيضا، واجتمع كل الأعداء ضده ليعيدوه إلى ماهم عليه، وحاولوا بشتى الوسائل، وعرضوا عليه المال والسلطان، ولكنه آلى على نفسه، أن يتم الرسالة، ويبلغ الأمانة، فكانت حروبهم ضده ومؤامراتهم، وخروجه من مكة، مهاجرا بدينه مع صاحبه الذى اختفى معه بالغار، وكان الباحثون عنهما يعرفون أين يختبئان، لكن الله أعمى أبصارهم عن رؤيتهما، رغم أنه كان وصاحبه بالقرب القريب منهم، لكن الله أراد للرسالة أن تستمر إلى يوم أن تقوم الساعة. ليذهب رسول الإسلام إلى المدينة ويثبت قلوب الناس وعقولهم، على عبادة إله واحد لا شريك له، ويلتف الناس حول الرسالة والرسول، ويدافعون عن دينهم، مجاهدين فى سبيل الوحدانية، حتى لا ينحنى أحد منهم بعد الوحدانية، إلا للخالق عزوجل.

ولأن الإسلام هو الدين الذى أراده الله للناس جميعا، فقد دخله من كل الجنسيات، وكل الألوان التى خلق الله البشر عليها، ليتساوى الجميع تحت راية هذا الوطن الذى يحمل شعار الوحدانية «لا إله إلا الله».

وتقول إنجيلا: لا أبالغ إن قلت لك إن زملائى البيض بالكلية عرفوا الإسلام منى، وقد وقفت أقص عليهم ذات مرة ما يحمله الإسلام من مميزات يتمناها الله فى خلقه، كى تستمر الحياة آمنة مستقرة بهم.

ولقد كان رسول الله، خيارا من خيار البشر، اصطفاه الخالق، وأدّبه فكان الأدب الربّانى، والخلق القرآنى، فكان ومازال، الإنسان الكامل، الذى يهتدى بحسن خلقه وكماله، الناس فى كل مكان، لأنه بالفعل الأسوة الحسنة، التى يريد الله أن يقتدى بها الناس، لأنه بالفعل خير من يجب على البشر الاقتداء به، فى السلوك الأخلاقى المتمسك بتعاليم الدين الذى عانى كى يرسى دعائمه، وينشره فى العالمين، باسم رب العالمين الذى ارتضى دينه الخاتم، دينا للبشرية من كل لون وجنس، ولو أراد الخالق أن يجعل الإسلام والسلوك المحمدى هما نهج الناس فى كل زمان ومكان، لفعل، لكنى أرى أن الحكمة الإلهية فى نشر الدعوة إلى الإسلام، والخلق المحمدى، إنما يجب أن تكون عن اقتناع بالسلوك السوى وبالألوهية والربوبية، بما يحقق الغرض المنشود كى يعمل الإنسان عقله، فيذهب بالتفكير السليم والتأمل الرصين إلى خيره وإلى سلام البشر جميعا، حيث ينادى الإسلام.

وتقول الأمريكية إنجيلا مايكل والتى: لم أعجب أن وجدت بين أصحاب النبى، كل الجنسيات بكل الألوان، التى عاشت تحت راية هذا الدين الإسلامى، وتأكدت أن الإسلام هو دين المحبة الحقيقية بلا زيف ولا مداهنة.

وقد عرفت بلالا الحبشى، وقرأت قصة دخول هذا الأسود تحت راية الإسلام، وبكيت كثيرا لأنه تحمل العذاب الذى كان سيفضى به إلى الموت، ولم يتراجع عن إسلامه ولم يفكر فى أن يرتد، بل كان ينطق بالشهادتين تحت وطأة التعذيب وقسوته، إلى أن اشتراه الصديق أبى بكر، وأعتقه.

وتسكت الأمريكية قليلا لتقول: أتعرف ماذا قال الفاروق عمر بن الخطاب، حينما أبلغوه أن أبا بكر الصديق، اشترى الحبشى الأسود بلالا، وأعتقه. قال فى هدوء ودعة، وحكمة عالية المستوى، سامية الفكر، وجسّد بمقولته قيمة الإسلام وعظمته، حيث قال:

«أعتق سيّدنا، سيدنا».

ما أروعه من دين ذلك الذى يصير العبد فيه سيدا، لا فرق بينه وبين أبى بكر وعمر وغيرهما، فالكل سيد تحت راية الإسلام، وفضل الله هذا العبد الحبشى الأسود، وجعله أول مؤذن ينادى فى الناس إلى الصلاة.

وتقول الأمريكية إنجيلا: ما أعظم هذا الدين الذى كرم الإنسان أعظم تكريم، والذى أكرمنى الله به دينا وجدت فيه ضالتى التى كنت أبحث عنها، حيث صرت ربة أسرة مسلمة، أعمل بكل الحب فى سبيل إسعادها، تحت مظلة هذا الدين الذى أكرمنى الله به فى الوقت الذى كنت فيه بالفعل بحاجة إليه. كما أعتقد أن العالم كله فى حاجة ماسة إلى التعرف على هذا الدين، ليدخله الناس فهو أقصر الطرق إلى الحياة السعيدة والسوية، التى يرجوها الإنسان لنفسه ولمن يحب. لذا، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق للناس دخولا تحت راية آخر الأديان، الإسلام.

شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى افتتاح معسكر أبى بكر الصديق لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية

شيخ الأزهر: المناهج الدراسية فى الأزهر الشريف تتميز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب والعنصرية

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وعن يمينه وزير الأوقاف وعن يساره رئيس جامعة الإسكندرية فى حفل افتتاح المعسكر
تصوير ـ سيد الزفزاف

وزير الأوقاف
نعيش فى عصر من يملك فيه العلم يملك القوة ويحظى بالاحترام

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: أن مصر خلال تاريخها المشرق ومسئوليتها تجاه أبناء الأمة الإسلامية تفتح أبواب العلم فى الأزهر الشريف والمعاهد والجامعات المصرية لأبناء العالم الإسلامى لينهلوا من العلم النافع ـ خدمة للإسلام والمسلمين.

شيخ الأزهر:

نؤيد الأحزاب التى تعمل لخدمة الدين والوطن ونرفض التى تدعو إلى تفريق الأمة

وقال الإمام الأكبر فى حفل افتتاح معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية: إن المؤسسات الدينية فى مصر وحدة واحدة، تتعاون على البر والتقوى وأن أبناء العالم الإسلامى يأتون إلى مصر طلبا للعلم، فمدينة البعوث الإسلامية تضم طلابا من ثلاث وتسعين دولة نلتقى مع البعض منهم فى هذا المعسكر نقدم لهم العلم النافع، وهذا ليس من باب التفاخر والتباهى إنما من باب الشكر لله - عز وجل - لأن مصر بطبيعتها تشعر بمسئوليتها نحو دول العالم الإسلامى مسئولية التعاون والتعارف تحقيقا للرسالة السامية التى كلفنا الله بها هى عبادته، يقول سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: آية ١٣

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن أبناء العالم الإسلامى يتلقون العلوم الإسلامية فى الأزهر الشريف الذى تتميز مناهجه الدراسية بالوسطية والاعتدال، بعيدا عن التعصب لمذهب معين، وهى بعيدة أيضا عن العصبية العمياء، والعنصرية المقيتة - التى هى ضد الإسلام.

التسلح بالعلم النافع

وقال فضيلته: إن العلم أصبح قريب المنال فى العصر الحاضر مع التقدم العلمى، وتوفر سبل العلم والكتب والمراجع، فبعد أن كانت المعاهد الأزهرية لا تزيد على عشرة معاهد فقط وصلت حاليا إلى أكثر من خمسة آلاف وثلاث مائة وأربعين معهدا - ما بين ابتدائى - وإعدادى - وثانوى (بنين وبنات) هذا بجانب التزايد فى عدد المدارس والتوسع فى إنشاء الجامعات مشيرا إلى أن مصر فى ظل قيادة الرئيس محمد حسنى مبارك تنتقل إلى الأحسن والأفضل من أجل نشر العلم، وأن العلم لا ينشر عن طريق الأزهر وحده - أو التربية والتعليم - بل أيضا عن طريق وزارة الإعلام وإذاعة القرآن الكريم التى تعمل طوال أربع وعشرين ساعة، وكذلك وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

وقال: إن العلم النافع عندما ينتشر فى أمة من الأمم لابد وأن تكون كلمتها هى العليا وأن شريعة الإسلام تمدح كل علم نافع كعلوم الطب والزراعة والصناعة وكافة العلوم التى تخدم ديننا وأمتنا، وأن القرآن الكريم جمع بين القوة الروحية والقوة المادية، والقوة الروحية هى التى توجد القدرة على الوقوف بجانب الحق، والقوة المادية تردع أعداء الله.

وأضاف إن وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - يمنحان الطلاب فرصة اللقاء مع العلماء المتخصصين - لكى يعرفوا ما يجب عليهم نحو دينهم وأوطانهم وأنفسهم، وأن هذا العمل من الأعمال التى يحبها الله سبحانه وتعالى، ويجعل الأمة الإسلامية ترتفع كلمتها ورايتها، وهؤلاء الطلاب جاءوا إلى الأزهر الشريف لكى يتعلموا ويحفظوا القرآن، وليس أزهريا من لا يحفظ القرآن، وحث شيخ الأزهر على التعاون من أجل

قيادات الدعوة الإسلامية يؤدون الصلاة مع شباب العالم الإسلامى

خدمة الدين والأمة لأن واجب العقلاء أن يحرصوا على العلم ومجالسة العلماء.

وردا على استفسارات الطلاب قال شيخ الأزهر: إن الموسيقى إذا كانت مجردة من كل ما يتنافى مع الأخلاق ولا يصاحبها ما يخالف الشريعة، فلا خلاف، فمن أراد أن يستمع إلى الموسيقى فمرحبا.

الأحزاب السياسية

وفى رده على سؤال عن تعدد الأحزاب السياسية قال فضيلته: إن الأحزاب السياسية مادامت تتعاون من أجل خدمة الدين والفضائل ومكارم الأخلاق، فلا غبار، ولكن المسألة ليست مسألة أحزاب - وإنما مسألة الدور الذى تقوم به فإذا كان لها منهج قويم تدعو إليه وتتعاون لنشره خدمة للدين والوطن - فإننا نؤيدها، فالقرآن الكريم وصف بعض الأحزاب وصفا جميلا فى آيات، وذم بعض الأحزاب فى آيات أخرى لأنها تدعو إلى الباطل فلابد للأحزاب أن يكون لها منهج يحث على خدمة الدين، ولا نؤيد الحزبية التى تدعو إلى تفريق الأمة.

وفى كلمته أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: أن مسئولية شباب العالم الإسلامى هى التسلح بالعلم والمعرفة ليس فقط العلم الدينى ولكن كل العلوم التى تنهض بالأمة وتجعلها تقف على أرض ثابتة، وتسابق غيرها فى كل خير كما يقول القرآن الكريم: **﴿فاستبقوا الخيرات﴾**، ومن هنا فأبناء العالم الإسلامى الوافدين من شتى أنحاء العالم عليهم مسئولية ينبغى أن يدركوها جيدا بأن يستثمروا وقتهم فيما يعود عليهم وعلى أوطانهم بالفائدة، **لأن النبى ﷺ يقول: «لاتزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».**

وأضاف وزير الأوقاف: لا يجوز للإنسان أن يستهين بقدراته ولا أن يتنصل من مسئولياته،

وزير الأوقاف:

لا يجوز للعالم الإسلامى أن يظل فى عداد الدول النامية والعالم من حوله يشهد تقدما علميا غير مسبوق

ولكن ينبغى عليه أن يدرك جيدا أن الله قد ميزه بالعقل ليدرك ويميز الخير من الشر، والنافع من الضار، والحق من الباطل، والصواب من الخطأ، وبالتالى يستطيع أن يَخَطّ من خلاله الهدف المنشود، والأهداف ينبغى أن تكون سامية متفقة مع قيم الإسلام وتعاليمه.

وأشار وزير الأوقاف: ونحن نتحدث مع شباب العالم الإسلامى من ٥٦ دولة نرحب بهم ونؤكد لهم أن العالم الإسلامى ينتظر منهم الكثير ونحن فى الألفية الثالثة لا يجوز أن نظل فى عداد الدول النامية، وهذا يحتاج إلى تغيير ذاتى الذى لن يأتى لنا من السماء ولا بمعجزات وإنما عملا بقانون التغيير الذى حدده لنا القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: آية ١١. والتغيير المطلوب فى عصرنا الحاضر لا يكون إلا بالتسلح بالعلم والتسابق فى التقدم لأننا فى عصر من يملك فيه العلم يملك القوة ومن يملك القوة يحظى بالاحترام.

وقال وزير الأوقاف: إن تخصيص أول فوج فى هذا المعسكر لأبناء العالم الإسلامى تقديرا من مصر لرعايتها لهم متمنيا لهم الاستفادة من البرامج الثقافية والدينية والترفيهية واكتساب الخبرات من السادة العلماء الذين يحاضرون فى ليالى المعسكر ويتفاعلون فى الحوارات التى تدور بينهم وبين هؤلاء العلماء.

وصرح وزير الأوقاف بأن المعسكر الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن خطة الوزارة للتوعية الدينية والتثقيفية للشباب، يضم أربعة أفواج: الأول لشباب العالم الإسلامى الدارسين فى الجامعات المصرية والأزهر الشريف والذى بدأ من ١٥ يوليو، والفوج الثانى بدأ من ٢٧ يوليو، وحتى ٥ أغسطس، ويضم طلبة الجامعات المصرية للوجه القبلى وجامعة الأزهر والثالث فى الفترة من ٨ وحتى ١٧ أغسطس، ويضم طلبة الجامعات المصرية للوجه البحرى وجامعة الأزهر، والرابع من ٢٠ إلى ٢٩ أغسطس ويضم طالبات العالم الإسلامى والجامعات المصرية وجامعة الأزهر.

وأضاف أن جميع المشاركين من الطلبة والطالبات من المتميزين علميا وفكريا وسلوكيا وأخلاقيا ودينيا، ويلتقى بهم عدد من الوزراء وكبار الشخصيات والعلماء ورجال الدعوة فى لقاءات مفتوحة وحوارات تتناول القضايا الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية.

هذا إلى جانب النشاط الثقافى داخل المعسكر الذى تنظمه اللجنة الثقافية وقيادة المعسكر حيث تجرى مسابقات فى حفظ القرآن الكريم والحديث، والبحوث الدينية والمسابقات الرياضية.

شهد اللقاء اللواء عزت شعبان ـ سكرتير عام محافظة الإسكندرية نائبا عن السيد المحافظ والدكتور محمد نصر الدين دمير رئيس جامعة الإسكندرية، ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف.

لهذه الأسباب يمنع مجمع البحوث الإسلامية إصدار وتداول هذه الكتب

تصوير الرسل والأنبياء والإثارة الجنسية والأفكار الغريبة على مجتمعنا مرفوضة ولا يجوز طرحها وتداولها أو عرضها على الجمهور

عندما يصدر كتاب يسيء إلى الإسلام، ويبدأ تداوله فى السوق تكون مهمة مجمع البحوث الإسلامية - فى إصدار قراراته بحجبه ومصادرته فورا. بل إن المجمع يمنع صدور بعض الكتب التى تعرض عليه لنفس الأسباب، وفى هذه الأثناء تكون تساؤلات الجمهور.. ماهو مصير هذه الكتب؟

لهذا قرر المجمع برئاسة د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر حجب ومصادرة مجموعة من الكتب ومنع تداولها بعد فحصها ودراستها، ويأتى ذلك حرصا من المجمع على تتبع ما ينشر عن الإسلام وتجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الأخطاء والشوائب.

وقال الشيخ السيد وفا أبو عجوز الأمين العام للمجمع: إن من بين هذه الكتب - كتاب موسوعة التصوير الإسلامى - والذى اشتمل على تصوير الأنبياء والرسل والصحابة وآل بيت النبوة، والذى سبق عرضه على المجمع عام ٧٨، وأصدر المجمع قرارا بعدم تداوله، وكتاب «فقه» الجنس فى قنواته المذهبية لأنه يؤدى إلى فتنة المسلمين، وكتاب «شرح دعاء السحر» تأليف الإمام الخمينى لاحتوائه على أفكار لا تتوافق مع تقاليد الشعب المصرى.

ولا يتوقف دور مجمع البحوث الإسلامية على فحص الكتب فقط لإبداء الرأى وتقرير مدى صلاحيتها للتداول بل تعرض عليه الأعمال الفنية من مسلسلات وأعمال درامية والتى تتناول القضايا الدينية والسيرة النبوية..

مما يدل على أن المؤسسات الدينية فى مصر حريصة على منع كل ما يسىء إلى الإسلام.

التوسع فى إنشاء العيادات الطبية التابعة للأوقاف

افتتح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف - المركز الطبى - بمسجد الرحمة بشارع صبرى أبو علم بالقرب من مبنى الوزارة بباب اللوق لاستقبال المرضى والحالات العاجلة من العاملين بالوزارة وهيئة الأوقاف، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وصرح وزير الأوقاف بأن الوزارة ستساهم بشكل عملى فى تقديم كل أنواع الرعاية لرجال الدعوة الإسلامية والعاملين فى القطاع الدينى كله ومنها إقامة عدد من المستشفيات التى تقدم الخدمة الطبية على أكفأ مستوى وبأقل سعر، كما يستفيد من هذه الخدمة المواطنون. وأضاف أن هذا المركز بداية إيجابية لافتتاح عدد آخر من العيادات المتميزة تباعا حتى نهاية العام الحالى -: بمناطق رمسيس والدقى والسبتية بخلاف ٥٥ عيادة طبية تقدم خدماتها بمناطق القاهرة الكبرى تابعة للأوقاف حاليا. وتعمل العيادة الجديدة التى تخدم ما يزيد على ألفى عامل وموظف وداعية على فترتين صباحية ومسائية، ويقوم على تشغيلها نخبة من كبار أساتذة الطب فى تخصصات القلب والجراحة والأنف والأذن والنساء والتوليد والأطفال، والمخ والأعصاب ومعمل للأشعة وآخر للتحاليل.

مفتى القدس:

مليار و٣٠٠ مليون مسلم لن يفرطوا فى المسجد الأقصى

رفض الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس التصريحات التى صدرت عن الحاخام الإسرائيلى إلياهو بكش دورون التى تقول: إنه لا يعارض نقل الأماكن اليهودية المقدسة فى الضفة الغربية إلى السلطة الفلسطينية - لكنه فى المقابل يطالب ببقاء السيطرة الإسرائيلية على الحرم القدسى.

وأكد مفتى القدس: إن الأقصى للمسلمين وحدهم وإذا أراد اليهود سلاما فعليهم أن لا يقتربوا منه وقال: إن موقف الفلسطينيين من المسجد الأقصى هو موقف استراتيجى إيمانى فهو للمسلمين ولا دخل لهم بما يعتقد اليهود وحاخاماتهم.

وأشار إلى أنه يرفض التستر تحت شعار السلام والتعايش للانقضاض على الحرم القدسى، وعلى العالم أن يدرك أن أهل فلسطين عامة سيقفون وقفة إيمانية بحق الأقصى ووراءهم مليار وثلاثمائة مليون مسلم.

وأكد المفتى أن سيطرة الإسرائيليين على أماكن مقدسة أخرى مثل الحرم الإبراهيمى الشريف فى الخليل وقبر يوسف فى نابلس ومسجد بلال بن رباح الذى حولته إسرائيل إلى قبر راحيل على مدخل مدينة بيت لحم - يعد نوعا من الاعتداء بقوة الاحتلال.

وكان حاخام اليهود «الفراديم» قد أعلن فى الإذاعة الإسرائيلية أنه فيما يتعلق بالقبور والمدافن وأماكن الصلاة فإن من وجهة النظر الدينية ليس من يملك الأرض وإنما السماح لليهود بالدخول إليها.

وأشار فى هذا الصدد إلى الحرم الإبراهيمى فى الخليل - وقبر راحيل - عند مدخل بيت لحم، وقبر يوسف قرب نابلس، وهى مواقع خاضعة للسيطرة الإسرائيلية.

وشدد على وجوب أن تحتفظ إسرائيل بالسيادة المطلقة على جبل الهيكل أى الحرم القدسى الواقع فى المدينة القديمة بالقدس فى الجزء الذى احتلته إسرائيل عام ١٩٦٧م، وقال: إنه بالنسبة لليهود فإن جبل الهيكل موقع مقدس يجب أن يظل تحت السيادة الكاملة لشعب إسرائيل. وأضاف: «لكن المكان مقدس بالنسبة للمسلمين أيضا ولهذا السبب يجب التوصل إلى حل دينى وليس سياسيا يحافظ على الوضع الراهن».

مجمع إسلامى خيرى بالفسطاط

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف مجمع الدكتور حسن عباس زكى الخيرى بطريق صلاح سالم أمام حديقة الفسطاط بمصر القديمة بأداء شعائر صلاة الجمعة التى ألقاها الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.. أكد فضيلته:

إن إنشاء المساجد من شأنه أن يغرس الفضائل فى النفوس مشيرا إلى أن الأمة التى تنتشر بها المساجد لن يضيعها الله أبدا.

جاء ذلك خلال افتتاح فضيلته لمجمع د. حسن عباس زكى الخيرى بمصر القديمة الذى أقيم بتكلفة مليون جنيه،ويضم بجانب المسجد المقام على مساحة ألف متر عيادات طبية ودارا للمناسبات ومكتبة.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر خلال خطبة الجمعة التى ألقاها بمسجد المجمع الخيرى أن الرسالة الأساسية للبشر جميعا فى هذه الحياة هى عبادة الله والإخلاص فيها، وتعمير الدنيا بكل فعل صالح وقول صادق من أجل منفعة المسلمين والأمة، وأن العبادة فى الإسلام تتميز بسماحتها ويسرها واتساع دائرتها، وأفضل العبادات تعمير بيوت الله وذلك بإنشائها وأداء الصلاة فيها والمحافظة عليها.

وقال شيخ الأزهر: إن العقلاء من الناس لا تلهيهم دنياهم عن آخرتهم وفى الوقت نفسه يعمرون الحياة ويأخذون بأسباب التقدم، مشيرا إلى أن الأمم الفاضلة هى التى تنتشر بها الفضائل وتقل فيها الرذائل.

حضر الافتتاح د. عبدالرحيم شحاتة محافظ القاهرة ود. نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وكبار علماء الدين.

والمسجد مقام على مساحة ١٠٠٠ متر مربع ويشمل طابقين ـ الأول صحن المسجد، والثانى يضم مكتبة دينية ودارا ثقافية، وعيادة صحية، وقد تكلف المسجد ٢,٥ مليون جنيه بالجهود الذاتية، وتم ضمه للأوقاف وتوفير العمالة اللازمة له.

صندوق شعبى لإنقاذ المقدسات الإسلامية بالقدس

تقدم كامل الشريف أمين المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة باقتراح لإنشاء صندوق شعبى إسلامى لإنقاذ المقدسات الإسلامية بفلسطين وخاصة القدس على أن يكون للصندوق استقلال مالى وإدارى ومجلس إدارة من شخصيات إسلامية فى الداخل والخارج، وقال الشريف إن المشروع جاء كرد فعل للانتهاكات الإسرائيلية التى تزيد كل يوم علاوة على التقارير التى يتلقاها المجلس العالمى عن تكرار استيلاء اليهود على المساجد القديمة والمقابر والأراضى الوقفية.

وأضاف أن المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس سيستضيف اجتماعا للمنظمات الإسلامية التى يهمها إنشاء الصندوق بهدف جذب تأييدهم، علاوة على أن المشروع سيكون على جدول أعمال الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالسعودية فى اجتماعها القادم. من ناحية أخرى دعا الشيخ كامل أحمد ريان رئيس جمعية الأقصى لحماية الأوقاف والمقدسات الإسلامية بفلسطين المنظمات الإسلامية للمساهمة فى استئناف العمل فى المركز الإسلامى فى كفر برا ـ والذى توقف العمل به نظرا لمصاعب مادية.

الهيئة الإسلامية ـ المسيحية تؤكد عروبة القدس

ضرورة تطبيق قرارات الأمم المتحدة على المدينة المقدسة واللاجئين

أكدت الهيئة الإسلامية ـ المسيحية، المنبثقة عن المؤتمر العام لبيت المقدس، فى اجتماعها بالعاصمة الأردنية عمان، ضرورة الالتزام بقرارات منظمة الأمم المتحدة التى حددت المرجعية الشرعية للعملية السلمية، فيما يتعلق بقضية القدس الشريف واللاجئين والحدود والمستوطنات والمياه.

جاء ذلك فى بيان صدر عن الهيئة، وأشارت فيه إلى أن قضية القدس بالرغم من أنها أكثر خطورة، إلا أنها ليست بالمعقدة، إذا ما اعتبرت فى إطار المرجعية الشرعية الدولية، لأن القدس جزء لا يتجزأ من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م.

وقال البيان: إن الهيئة الإسلامية ـ المسيحية، تؤكد مجددا وبقوة أن قضية القدس هى قضية العرب والمسلمين والمسيحيين فى العالم كله.

وأكدت الهيئة أن السلام العادل والشامل والدائم والمقبول من الأجيال، هو السلام الذى يرتكز على المبادئ والثوابت الشرعية والدولية، ودعت الهيئة الأسرة الدولية وجميع المنظمات العالمية والهيئات الإنسانية والقانونية أن تسهم بدور فعال فى تحقيق السلام المنشود، فى إطار هذه الثوابت، كما دعت قادة وزعماء ورؤساء وشعوب العالم العربى والإسلامى للاستمساك بهذا الحق، باعتباره حق المسلمين والمسيحيين فى القدس الشريف، وحمايته من أىّ أطماع عدوانية توسعية.

فى مسابقة وقف د. الفنجرى

تجديد الفقه الإسلامى وظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك

قررت اللجنة المشرفة على مسابقة وقف الدكتور محمد شوقى الفنجرى لخدمة الدعوة الإسلامية إجراء مسابقة عام ٢٠٠١ فى موضوعين، الأول حول التجديد الفقهى الإسلامى ، والثانى حول ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك (المشكلة والحل).

وخصصت جوائز مالية للبحوث الفائزة وقدرها أربعة وعشرين ألف جنيه، ويقدم البحث فى موعد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠١ إلى مكتب ناظر الوقف رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة من ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز المائتين مع ملخص من خمس نسخ لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة، ويشترط فى البحث أن يكون معدا للمسابقة، وألا يكون قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة، وأن يتضمن اجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين، ويقام حفل توزيع الجوائز بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة بشارع أبو الفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام.

حوار مع سفير مصر لدى دولة البوسنة والهرسك الدكتور صلاح العشرى

ضحية من شهداء البوسنة تنقله القوات الصربية إلى المقبرة الجماعية

صفحات من جهاد أبناء البوسنة

بدعوة كريمة من الدكتور عبد الصبور مرزوق - أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - التقى سيادته الشهر الماضى والدكتور صلاح العشرى سفير مصر لدى جمهورية البوسنة والهرسك فى أول زيارة له لمصر بعد عام من تكليفه بتولى هذه المهمة.

اللقاء المهم تناول عددا من الموضوعات كان من أهمها التعرف على أحوال مسلمى البوسنة والاطمئنان على أوضاعهم بعد تطبيق اتفاقية «دايتون» للسلام، والوقوف على احتياجات مواطنى الدولة الوليدة خاصة فى مجال الدعوة الإسلامية.

ومجلة «منبر الإسلام» رأت فى هذا اللقاء فرصة طيبة لإجراء حوار مع سعادة السفير الدكتور صلاح العشرى لإلقاء مزيد من الضوء على أحوال مسلمى البوسنة، بعد عام من معايشة الأوضاع هناك عن قرب.

حوار/ محسن عبد الفتاح

القوميات الحاقدة والنفوس الطامعة شنت عدوانها على مسلمى المنطقة لمنع إقامة دولتهم الوليدة

لقاء هام:

بداية - سألنا السفير صلاح العشرى عن نتائج هذا اللقاء فقال سيادته: لقد حرصت فى أول زيارة لى إلى مصر بعد عام من تولى منصبى كسفير لدى دولة البوسنة والهرسك أن التقى بمسئولى المؤسسات الدينية فى مصر لإلقاء الضوء على أوضاع مواطنى هذه الدولة ومدى احتياجاتهم فى مجال الدعوة الإسلامية من علماء وكتب ومراجع دينية إسلامية، تروى عطشهم لمعرفة المزيد من جوانب دينهم الحنيف بعد فترة كبت وقمع استمرت قرابة نصف قرن.

تاريخ البلقان

وعن أوضاع منطقة البلقان تاريخيا ذكر د. صلاح أن منطقة البلقان ارتبط اسمها بالحرب الكبرى منذ القدم وحتى اليوم، فلازال راسخا فى الأذهان اندلاع الشرارة الأولى للحربين العالميتين من المنطقة وانتشار النيران لبقية أنحاء العالم خاصة قارة أوروبا، ويرجع ذلك فى رأى السفير المصرى إلى مراحل تاريخية قديمة وقعت بها صراعات دموية بين القوميات المختلفة التى تسكن هذه المنطقة الغنية بالثروات، وقد خلفت هذه المعارك أحقادا فى النفوس وأججت نيران الثأر بين القوميات إضافة إلى أطماع التوسع على حساب الغير، والحاجة إلى الاستحواذ على ثروات الآخرين، وبعد انهيار اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية الذى حكم بالحديد والنار أكثر من نصف قرن برزت إلى الوجود جمهوريات وليدة يتكون مواطنوها من قومية رئيسية، منها دولة البوسنة والهرسك ذات الأغلبية المسلمة والتى عمل مواطنوها على توطيد أركان دولتهم الحديثة، إلا أن القوميات الحاقدة والنفوس الطامعة فى خيرات المنطقة، والعداوات الدينية التاريخية التى عمدت إلى التصدى لأهل المنطقة فى محاولة لمنعهم الإعلان عن دولتهم وحقها المشروع فى الوجود، فكان العدوان الذى وقع على أهل البوسنة من القوى الصربية الحاقدة ومن ساندها من قوميات أخرى وقوى خارجية أمدتها بالسلاح والعتاد فى محاولة لوأد هذه الدولة الوليدة التى راح مسلموها للذود عنها والتسابق لنيل الشهادة فظفر البعض بالجنة، ونالت الأغلبية شرف الجهاد وذاقت حلاوة النصر.

الخراب والدمار طالا كل شىء حتى المساجد ودور العبادة لم تسلم من التدمير

أهم المشكلات:

وعن أهم المشكلات التى تواجه هذه الدولة الحديثة، قال السفير صلاح العشرى: من أهم المشكلات التى تعانى منها البلاد ما خلفته الحرب التى استمرت عدة سنوات من دمار وتخريب أثّر سلبيا فى كل نواحى الحياة فى البلاد من طرق ومبان حكومية ومساكن أهلية ومصانع وبنية تحتية، وقد قدر الخبراء حاجة البلاد لأكثر من أربعين مليار دولار من أجل إعادة بناء ما دمرته الحرب.

كذلك هناك مسألة عودة لاجئى البوسنة إلى قراهم ومساكنهم والذين اضطرت ظروف الحرب إلى هجر مناطقهم والعيش بمناطق أكثر أمنا أثناء المعارك، واليوم لابد من إصلاح بيوتهم وإعمار قراهم لإعادة توطينهم بها مرة أخرى، هذا إلى جانب النمو البطئ للاقتصاد البوسنى والعمل على إيجاد حلول لمشكلة البطالة خاصة بين الشباب.

هدية شعب مصر:

وعن علاقات مصر بدولة البوسنة قال السفير صلاح العشرى: إن مصر لا تبخل بمد يد المساعدة لهذه الدولة المسلمة فى كافة المجالات، فقد ساهمت فى إقرار اتفاق السلام وأرسلت قواتها لتشارك فى حفظ الأمن كذلك عملت على تدريب كوادر من أبناء البوسنة فى كافة الأصعدة بمصر تحت إشراف خبراء متخصصين، كما قامت بإرسال معونات عينية وخبراء لمساعدة هذا البلد مرة أخرى، ولابد هنا أن أذكر زيارة السيدة سوزان مبارك قرينة السيد الرئيس إلى دولة البوسنة فى سبتمبر من العام الماضى، وذلك لافتتاح قرية أبناء شهداء البوسنة، هذا المشروع الذى قدمه أبناء الشعب المصرى لأشقائه فى البوسنة والهرسك والذى أقيم بمدينة «موستار» ثانى أكبر المدن البوسنية، وهو مشروع تنْموى اجتماعى يساعد على تلبية احتياجات أبناء الشهداء ويسهم فى تخفيف الآلام والمعاناة وتقديم المأوى والخدمات الإنسانية والثقافية لمئات الأطفال لتمكينهم من بدء حياتهم مجددا بشكل طبيعى، والخروج من عزلتهم والمشاركة من جديد فى الحياة الاجتماعية يحدوهم الأمل والتسامح لمستقبل مشرق جميل حقا، إن هذه القرية تم بناؤها بأيد مصرية، فكانت بحق بصمة ورمزا مصريا خالصا سواء فى الفكرة: أو التصميم أو التمويل أو التنفيذ كما قالت ذلك السيدة سوزان مبارك فى كلمتها التى ألقتها فى حفل افتتاح القرية.

بطولات للمجاهدين:

أما عن أهم المدن التى زارها سفير مصر فى دولة البوسنة قال الدكتور صلاح العشرى: لقد قمت بزيارات لعدد من الأقاليم للتعرف على أوضاع البلاد والاقتراب الأكثر من أبناء الشعب، وقد لفت نظرى فى زيارة لمدينة «سربنتسيا» والتى تبعد عن العاصمة «سراييفو» ٧٥ كم شمالا حجم الدمار والخراب الذى لحق كل شىء، ومنها المساجد الأثرية والتى أصبحت أثرا بعد عين، إلا الكنائس التى بدت بحالة طيبة لم يمسها ضر!

وعندما سألت محافظ المقاطعة عن ذلك قال: لقد تعمد الصرب قصف كل شىء مدنى من مساكن ومستشفيات ومدارس إلى جانب العمل بشكل خاص على تدمير دور العبادة الإسلامية من مساجد حديثة وأثرية.

وقال المحافظ وهو من أبناء المدينة: لقد دافعنا عن بلدتنا باستبسال وتضحية منقطعة النظير وصمد الأهالى رغم المذابح التى وقعت من قبل القوات الصربية ضد المدنيين والقصف العشوائى بنيران المدفعية من المرتفعات المحيطة بالمدينة بصفة مستمرة، كان يعوزنا السلاح وكان يملأ قلوبنا الإيمان بحقنا فى الحياة كمسلمين نتعايش مع الغير بكل الحب والتسامح، ونتصدى للطامع

أبناء مدينة سربنتسيا تصدُّوا للعدوان مُتَحدِّين عوامل الطبيعة فوهبهم الله النصر من عنده

والمعتدى حتى نظفر بالنصر أو الشهادة، ولقد صمدنا لشهور عديدة - ثم يواصل المحافظ حديثه الذى يرويه لنا السفير المصرى - إلى أن حانت ساعة النصر الذى أنجزه المسلمون من أبناء هذه المدينة الطيبة متحدين القوانين الطبيعية والعلوم العسكرية، فالصرب كانت لقواتهم السيادة الساحقة فى كل شىء، ونحن لا نملك سوى أسلحة فردية خفيفة! كان لهم التفوق فى الموقع حيث نصبوا مدافعهم فوق القمم الجبلية المحيطة بالمدينة، ونحن بالسفوح وبين أشجار الغابات فى السهول، وجاء الشتاء وغطت الثلوج المتراكمة كل شىء بارتفاع متر على الأقل، وبات الوضع لصالح القوات الصربية من أسلحة وموقع فريد زادوه تحصينا بزرع الطرق المؤدية إلى المرتفعات بالآلاف من الألغام الأرضية!

يوم النصر الأكبر: صيحات - الله أكبر -

وجاء فجر يوم ٢٤ يناير ١٩٩٤ فى أشد فترات الشتاء برودة حيث انخفضت درجة الحرارة إلى عشرين درجة تحت الصفر، وهو ما استغله المسلمون لصالحهم، حيث إن هذه البرودة الشديدة القاسية عطلت عمل الألغام التى تجمدت فى باطن الأرض فزحفت جموع المجاهدين من مسلمى المدينة إلى المرتفعات، وفاجأوا جنود الصرب فى مواقعهم والذين كانوا فاقدى الوعى من أثر الخمر التى شربوها للتغلب على برودة الجو، وما كانوا يظنون أبدا أن يهاجمهم أحد فى مثل تلك الظروف القاسية، ولم يدم الهجوم الخاطف سوى دقائق، حتى تعالت بعدها صيحات - الله أكبر - مع اقتحام مواقع جنود العدو الصربى حيث قتل أكثر من ثلاثمائة صربى، ولم يستشهد من الجانب المسلم سوى ثمانية وثلاثين مجاهدا.

وختم محدثى محافظ «سربنتسيا» مرددا الآية الكريمة: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.**

نصر الله:

وختم سفير مصر لدى دولة البوسنة حديثه بقوله إن من المسلمين فى البوسنة من يرى أن تلك الحرب الضروس التى فرضت عليهم لثلاث سنوات وكلفتهم مئات الألوف من الشهداء، فتحت أعينهم على حقيقة مؤكدة هى أن إسلامهم قوة كبرى يجب الحفاظ عليها، فالصرب والكروات لم يحاربوهم إلا لأنهم مسلمون دفنوا إسلامهم فى قلوبهم سنوات القمع الشيوعى، الأمر الذى يعنى أنه بزوال الشيوعية واستعادتهم حريتهم الدينية والتمسك بإسلامهم سيكونون قوة يحسب لها ألف حساب، وما كان هذا العدوان إلا لإجهاض البعث الإسلامى وتقويض أركان هذه الدولة الوليدة، أمدّ الله المسلمين بنصر من عنده.

الدعوة والدعاة

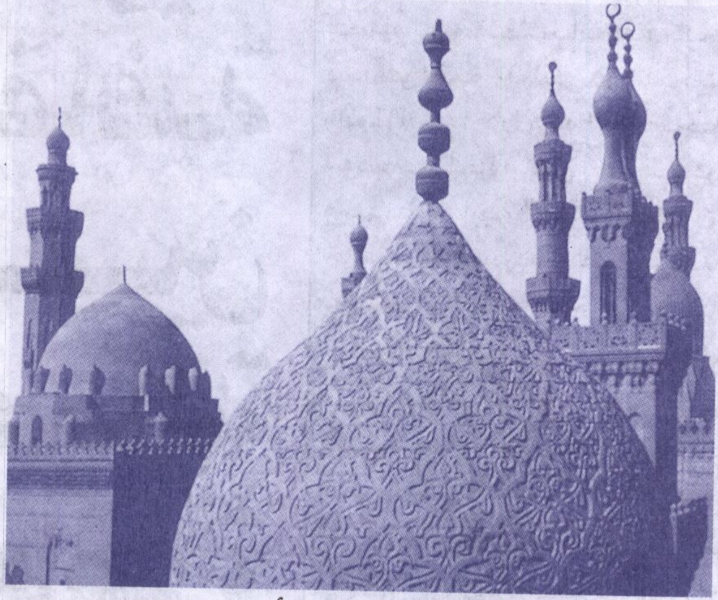

- الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة
- استثمار الأرض
- ولله المثل الأعلى
- حضانة الصغار كما بينها الفقهاء وحددها القانون
- عالم اليوم وحاجته إلى الإسلام
- «من فوق المنبر» حث الإسلام على توجيه الشباب والعناية بهم

الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة

فى بداية هذه الصفحات، التى تطمح إلى تركيز الحديث عن «الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة».. لابد من ضبط مضامين مصطلحات هذا المبحث.. لا لأن هذا هو المنهج العلمى فى البحث، فحسب.. وإنما، أيضا لأن هذه الصفحات ستكون موضوعاً للحوار بين أطراف فكرية وثقافية وحضارية، أغلب الظن أن هناك فى خلفياتها الفكرية، مضامين قد تتمايز أو تختلف لهذه المصطلحات.

فضبط وتحديد المضامين التى نعنيها من وراء هذه المصطلحات - مصطلحات: «الهوية»، و«الثقافة»، و«الأصالة»، و«المعاصرة» - أمر لا غنى عنه للوضوح الضرورى للفهم المشترك، من قبل الأطراف المتعددة، كسبيل من سبل إنجاح الحوار!..

د/محمد عمارة

ولما كانت هذه الصفحات إسهاما فى بيان وجهة النظر العربية الإسلامية فى هذه القضية، فإن المضامين التى ستعتمدها لهذه المصطلحات هى مضامينها العربية الإسلامية.. العربية لغة، والإسلامية فكرا.. أى المضامين الإسلامية كما تحددت وصيغت فى لغتنا العربية..

❖❖❖

والهُوِيَّة: فى عرف حضارتنا العربية الإسلامية - مأخوذة من «هُوَ.. هُوَ».. بمعنى: جوهر الشىء.. وحقيقته.. فهوية الإنسان.. أو الثقافة.. أو الحضارة.. هى: جوهرها وحقيقتها.. ولما كان فى كل شىء من الأشياء - إنسانا أو ثقافة أو حضارة - «الثوابت» و«المتغيرات».. فإن هوية الشىء هى «ثوابته»، التى «تتجدد» ولا «تتغير» تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلى مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة!.. إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، تتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طورئ الغبار وعوامل الطمس والحجب، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات!..

والثقافة: هى كل ما يسهم فى عمران النفس وتهذيبها.. فالتثقيف: من معانيه: التهذيب.. وإذا

كانت المدنية هى تهذيب الواقع بالأشياء، فإن الثقافة هى تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار.. وكلاهما عمران.. عمران للواقع وعمران للنفس.. فهما شقا «الحضارة» ـ التى هى «العمران»!..

وتعلق الثقافة واختصاصها بعمران النفس الإنسانية وتهذيبها، هو الذى يعطى لثقافات الحضارات المتميزة تمايزا.. منبعه ومنطلقه ودواعيه: تميز النفس الإنسانية، فى كل حضارة من الحضارات، بتميز المكونات والمواريث والعقائد والفلسفات التى تمايز بين «البصمات» الثقافية فى أمم هذه الحضارات!..

والأصالة: ـ فى عرف العربية ـ من: الأصل. وأصل كل شىء: نسبه، الذى إليه يرجع وله ينتسب.. وجوهره وحقيقته وثوابته الباقية، والمستعصية على الفناء والزوال.. فالأصالة فى ثقافة ما، هى جذورها الأصيلة، وثوابتها المستمرة، أى هويتها الممثلة «للبصمة» التى تميزها عن غيرها من ثقافات أمم الحضارات الأخرى.

أما المعاصرة: فإنها المفاعلة، أى التفاعل بين الإنسان ـ أو الثقافة أو الحضارة ـ وبين العصر ـ أى الزمن ـ المعيش.. فإذا تمايزت الأمم فى ثقافاتها، لتمايز هويات هذه الثقافات، فإنها ولابد متمايزة فى تفاعلها مع العصر الذى تعيش فيه.. فللأمم المتمايزة فى الهويات الثقافية «معاصرات» متميزة!.. وليست هناك فى العصر الواحد معاصرة واحدة لكل الأمم والثقافات والحضارات، كما يزعم الذين يحسبون أن المعاصرة هى استعارة الثقافة السائدة والمهيمنة فى عصر ما.. وليست ـ كما هى حقيقتها ـ: المفاعلة مع العصر!..

إنها أشبه ما تكون بتفاعل الإنسان وتلاؤمه مع اللحظة الراهنة من عمره، تفاعلا يضيف به الجديد، ويتجاوز به غير الملائم من مواريثه، وفق المعايير التى هى ثوابته.. وأصالته.. وهويته.. إنها الهوية المتميزة.. والأصالة المتميزة، تتجلى فى طور جديد.. كالإنسان الذى ينمو ويتطور دون أن يفقد هويته أو يتنازل عن أصالته أو يمحو «البصمة» التى تميزه عن غيره من الناس!..

إذن.. فلكل ثقافة أصالة متميزة، هى هويتها.. وجوهرها.. وحقيقتها.. وثوابتها.. ولكل أصالة ثقافية متميزة معاصرتها المتميزة كذلك!..

هذا عن المصطلحات.. ومضامينها.. وما يمثله ضبط هذه المضامين من إسهام فى وضوح الرؤية الذى تطمح إليه هذه الصفحات.. وضوح الرؤية لهذا الموضوع.. موضوع: **«الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة»**.

❖❖❖

فإذا ما انتقلنا إلى صلب الموضوع، وتساءلنا عن هوية ثقافة أمتنا، التى هى جوهر هذه الثقافة وحقيقتها، والأصالة المميزة لها.. فإننا نستطيع أن نقول: إن الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة.. فهو الذى طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته.. فعاداتها وتقاليدها، وآدابها وفنونها، وسائر علومها الإنسانية ـ فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ـ وفلسفة علومها الطبيعية والتجريبية.. ونظرتها للكون.. وللذات.. وللآخر.. وتصوراتها لمكانة الإنسان فى هذا الكون.. من أين أتى؟.. وإلى أين ينتهى؟.. وحكمة هذا الوجود وغايته؟.. كل ذلك ـ وما ماثله ـ قد انطبع بطابع الإسلام، واصطبغ بصبغته.. حتى لنستطيع أن نقول، ونحن مطمئنون كل الاطمئنان، إن ثقافتنا ثقافة إسلامية.. وأن معيار الدخول والخروج فى ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامى..

وإذا كانت تيارات الأصالة الفكرية، فى واقعنا المعاصر، إنما تتمثل أساسا - بل وتكاد تنحصر - فى:

أ - تيار إسلامى.. تنتمى إلى فصائله المتعددة، أغلبية الأمة..

ب - وتيار قومى.. هو - فى أغلب فصائله - امتداد لأصالة الأمة اللغوية والتاريخية..

وإذا كان الإيمان بأن الاسلام هو ثقافة أمتنا وأصالته ومعيار تميز هويتها - ومن ثم معاصرتها - عن أمثالهما فى ثقافات أمم الحضارات الأخرى.. إذا كان ذلك مسلمة من المسلمات الفكرية لدى المسلمين والإسلاميين من أبناء أمتنا.. فإنه، أيضا من المسلمات التى يدعو إليها أبرز فصائل التيار القومى فى واقعنا العربى والإسلامى.

وإذا كانت هذه الصفحات لا تتسع لاستقصاء الشواهد على أن هذه هى حقيقة موقف التيار القومى من «إسلامية ثقافتنا». فإننا نكتفى للدلالة على هذه الحقيقة، بكلمات لواحد من المفكرين والساسة العرب.. هو أبرز المنظرين المعاصرين للتيار القومى ولحركة القومية العربية.. وهو أبرز مسيحى عربى برز فى الميدان السياسى للتيار القومى العربى المعاصر.. فكلماته عن «إسلامية ثقافة أمتنا» هى التعبير عن التقاء التيار القومى، مسيحييه ومسلميه، مع التيار الإسلامى حول هذه الحقيقة من حقائق هويتنا وأصالتنا الثقافية.

يقول المفكر القومى - المسيحى الأرثوذكسى - ميشيل عفلق (١٩١٠ - ١٩٨٩م):

«لا يوجد عربى غير مسلم!.. فالإسلام هو تاريخنا، وهو بطولاتنا، وهو لغتنا، وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون.. إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربى غير مسلم، إذا كان هذا العربى صادق العروبة، وإذا كان متجردا من الأهواء ومتجردا من المصالح الذاتية.. وإن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون بأن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها ويحرصوا عليها حرصهم على أثمن شىء فى عروبتهم.. ولئن كان عجبى شديدا للمسلم الذى لا يحب العرب، فعجبى أشد للعربى الذى لا يحب الإسلام؟!..»(١).

إذن.. فهويتنا الثقافية، الممثلة لأصالتنا الثقافية.. هوية إسلامية.. وأصالة إسلامية.. على هذه الحقيقة تجتمع تيارات الأصالة الفكرية والسياسية فى بلادنا - إسلامية وقومية - بلسان أبرز منظريها، مسلمين ومسيحيين!..

لكن.. ماهى السمات والقسمات الرئيسية التى ميزت ثقافتنا الإسلامية، فى طور أصالتها، عن غيرها من ثقافات أمم الحضارات الأخرى.. والتى يجب أن تميزها فى طور معاصرتها الراهن، وفى المستقبل كذلك، عن الثقافات الأخرى غير الإسلامية؟؟..

بالطبع، فإن الإطار المحدد والحيز المحدود لهذه الصفحات لا يسمح باستقصاء هذه القسمات الثوابت، المكونة لهوية ثقافتنا ، والتى تمثل «معايير إسلاميتها».. ولذلك، فإننا سنختار سمة رئيسة من سمات هذه «الإسلامية الثقافية»، هى: سمة «الوسطية الإسلامية».. ثم نضرب لها وعليها - فى إيجاز شديد - بعض الأمثال التى توضح ماذا تعنيه الوسطية الإسلامية فى تميز أصالتنا ومعاصرتنا الثقافية عن ثقافات أمم الحضارات الأخرى..

إن الوسطية، فى المنظور القرآنى، هى صفة رئيسة وجامعة للأمة الإسلامية.. بل إنها إرادة الله لهذه الأمة **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾** البقرة: آية ١٤٣.

وإذا كانت الوسطية تعنى رفض الانحياز إلى طرف ضد طرف، وقطب من أقطاب الظاهرة دون القطب الآخر.. فإنها ـ فى المفهوم الإسلامى ـ ليست التوسط المعزول عن الطرفين والقطبين والمغاير لهما تمام المغايرة.. إنها موقف جديد، وثالث، لكنه لا يغاير قطبى الظاهرة المدروسة، وإنما يجمع ـ بالنظرة الشاملة ـ كل ما يمكن جمعه، ويؤلف كل ما يمكن تأليفه من قطبى الظاهرة المدروسة.. إنها ليست نقطة رياضية ثابتة تتوسط قطبى الظاهرة المدروسة، وإنما هى موقف جديد يتألف من عناصر الحق والعدل فى القطبين معا.. إنها العدل والتوازن بين القطبين، وليست الانحياز لواحد منهما ولا المغايرة التامة لهما!.. إنها الحق بين باطلين.. والعدل بين ظلمين.. والاعتدال والتوازن بين تطرفين وغلوين..

ذلك هو معناها، الذى يحدده الحديث النبوى الشريف: **«الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا»**[٢].. فالكرم: توازن، وعدل بين الشح وبين الإسراف والتبذير.. وفيه من تدبير الشحيح ومن عطاء المسرف القدر الذى يمكن جمعه وتأليفه!.. والشجاعة: وسط بين الجبن وبين التهور.. وفيها من تأنى الجبان وحساباته ومن إقدام المتهور القدر الذى يمكن جمعه وتأليفه!

وإذا نحن أردنا أن نضرب بعض الأمثال على انطباع ثقافتنا الإسلامية ـ بل وعقل الأمة ووجدانها ـ بهذه الوسطية الإسلامية، ومن ثم تميز حضارتها بها.. فإن من الأمثال على ذلك:

موازنة ثقافتنا وحضارتنا بين «العقل» وبين «النقل».. فهى لا تنحاز لواحد منهما دون الآخر، ولا تقف بينهما وبمعزل عن كليهما.. وإنما هى تجمع وتؤلف بين ما يمكن جمعه وتأليفه من براهينهما.. تؤاخى بين «الحكمة» وبين «الشريعة» باكتشاف ما بينهما من الاتصال.. وتقرأ «النقل» بـ«العقل».. وتحكم غرور «العقل» فيما لا يستقل بإدراكه، بالأدلة «النقلية» التى جاءت من صاحب العلم المحيط والكلى، عالم الغيب والشهادة، سبحانه وتعالى!..

وهى توازن، بهذه «الوسطية الجامعة» بين مصدرى المعرفة: «الوحى» ـ وعلومه الشرعية ـ و«الوجود» ـ وعلومه الطبيعية ـ فلا تعتمد «الوحى» وحده، دون «الوجود» وأيضا لا تصنع العكس.. وكذلك لا تقف بينهما وبمعزل عنهما منحازة «للذوق» و«الحدس» و«العرفان الغنوصى الباطنى»، وإنما هى ترجع إلى «كتاب الوحى المقروء» ـ القرآن الكريم ـ و«كتاب الكون المنظور» ـ الطبيعة ـ حتى لقد استخدمت حقائق علوم الطبيعة أدلة على إثبات وجود الله، واستخدمت آيات الله وسننه سبلا لفهم الطبيعة وتصور ما وراءها!..

وهى قد صنعت ذلك فى فلسفتها حول «مكانة الإسلام فى هذا الوجود».. فلم تؤله الإنسان معتبرة إياه سيد هذا الوجود.. وكذلك لم «تهمش» دوره، أو تحقر من مكانته، فتعتبره «الحقير» الذى لا سبيل لخلاصه إلا بالفناء فى الغير أو فى المطلق... ولم تقف، أيضا، بين هذين الموقفين.. وإنما جمعت ـ بالوسطية ـ ما يمكن جمعه وتأليفه منهما.. فرأت الإنسان سيدا فى الكون وليس سيد الكون، لأنه «خليفة» عن سيد الكون!..

وانطلاقا من هذه الوسطية الإسلامية فى تصور «مكانة الإنسان فى هذا الوجود» كانت الوسطية الإسلامية فى «الحرية الإنسانية».

فالإنسان ليس «المُجبَر» الذى لا حول له ولا طول.. وليس «الحر» دون حدود أو قيود.. هو حر فى إطار قدرته واستطاعته، وفيما هو مقدور له وبإزاء الخيارات التى ليست من صنعه.. وهو ـ

كخليفة عن الله ـ ملتزم ومقيد بشريعة الله.. هو حر فى إطار «عقد الاستخلاف والإنابة والتوكيل». وشوراه ـ الفردية والاجتماعية ـ فى الأسرة والدولة ـ وهى مشاركته الحرة ـ محكومة بضوابط «الحلال والحرام» الدينية.

و«دولته» ليست «الدولة الدينية» التى تنفى كون الأمة «مصدر السلطات».. وليست «الدولة العلمانية» التى تبيح لسلطات الأمة تجاوز «عقد الاستخلاف» بإباحة الحرام وتحريم الحلال!..

ونظامه الاجتماعى، هو الذى يتوسط بين «النظام الطبقى»، الذى يجعل الطبقة ـ برجوازية كانت أو البروليتاريا ـ هى حاملة الرسالة، رسالة التقدم والعمران، والساعية إلى نفى الآخر، والانفراد بالسلطات والثمرات.. وكذلك، ليس هو النظام الاجتماعى الذى ينكر التمايز الطبقى فى المجتمع.. وإنما هو النظام الذى يتوسط بين هذين النموذجين، جامعا فى نموذجه ما يمكن جمعه وتأليفه منهما.. فالإسلام دين الجماعة.. والمسئولية فيه فردية ـ فى فروض العين ـ واجتماعية ـ فى فروض الكفاية ـ والتمايز الطبقى فى مجتمعه حقيقة تمثل الفطرة الإنسانية فى تفاوت القدرات والملكات والاحتياجات.. والعلاقة بين هذه الطبقات لابد وأن يحكمها: التوازن ـ أى العدل ـ .. فكل طبقة تعتمد على الأخرى.. فهى علاقة «الارتفاق» و«التسخير» ـ الشامل لكل ظواهر الطبيعة وقواها ـ وليس علاقة «السخرة» أو «الظلم والاستغلال».

وإذا اختل ميزان العدل بين الطبقات، فإن الوسطية الإسلامية ترفض «الاستسلام» لهذا الظلم.. وإيضا ترفض «الصراع» الذى يطمح به طرف النفى الطرف الآخر، والانفراد بالسلطات والثمرات.. ترفض «الاستسلام» و «الصراع» كليهما، وتقدم «الدفع الاجتماعى»، الذى هو «حراك اجتماعى»، يبتغى تصحيح العلاقة الاجتماعية بين فرقاء متعددين، وإعادة هذه العلاقة إلى لحظة «العدل ـ التوازن».. فهدف «الدفع» تغيير المواقع، وليس نفى الآخر الاجتماعى **﴿إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾** فصلت: آية ٣٤.

ولقد ذهبت ثقافتنا ـ ومن ثم حضارتنا ـ هذا المذهب ـ فى «الوسطية الجامعة» ـ حيال «نظرتها إلى الإنسانية».. فكانت «التعددية ـ فى إطار الوحدة ـ » هى زاوية رؤيتها للآخرين..

فدين الله واحد، أزلا وأبدا.. وشرائعه متعددة بتعدد أمم الرسالات السماوية **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾** المائدة: آية ٤٨.

والإنسانية واحدة، واختلافها وتمايزها إلى أمم وشعوب وحضارات، سنة من سنن خالقها وآية من آياته وقانون من قوانين الوجود **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** الحجرات: آية ١٣.. **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم: آية ٢٢.

فالواحدية، فى الشريعة.. أو القومية.. أو الحضارة، مرفوضة إسلاميا.. والتعددية هى الفلسفة التى يؤكد عليها الإسلام فى كل أنواع الوجود.. والاستثناء الوحيد من التعددية هى ذات الخالق الواحد سبحانه وتعالى!.. ولذلك، فالعالم، فى الرؤية الإسلامية هو «منتدى حضارات» تتفاعل وتتعارف من موقع التمايز الذى يحفظ لكل

حضارة ما يميزها عن غيرها من الحضارات.

وبهذا المنهاج، أيضا كانت نظرة ثقافتنا إلى التطور.. وإلى التاريخ.. وإلى المواريث الحضارية. فميزت بين «الثوابت»، الممثلة «للهوية»، وبين «المتغيرات».. وجعلت «التجديد» قانونا فى عالمى الدين والدنيا، حتى لقد قال نبينا ﷺ: **«يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[٣]. وهى بهذا قد رفضت الجمود.. لكنها ترفض «الحداثة» التى تقتلع الجذور، وتطمس الهوية، وتقطع التواصل الحضارى، عندما تسوى بين «الثوابت» وبين «المتغيرات».. ترفض هذه «الحداثة» كما ترفض «التحجر والجمود»، وتختار، بدلا منهما سبيل «التجديد»!..

تلك أمثلة على ما تعنيه «الوسطية الإسلامية الجامعة» فى تميز هويتنا وأصالتنا الثقافية، وإذا كانت «الثوابت» فى سمات «الهوية الثقافية» لها من الاستمرارية والفعل مالا يكون «للمتغيرات» و«الجزئيات»، فإن «التجديد» و«التفاعل» مع الحضارات المختلفة، يقتضى من كل ثقافة من الثقافات - ويتطلب لها - التمييز، فى ثمرات الفكر الإنسانى، بين «المشترك الإنسانى العام»، الذى لا تتغاير الحضارات ولا تختلف فى حقائق وقوانين علومه، لأنها ثابتة ومحايدة ثبات وحياد مادة هذه العلوم وموضوعاتها.. وبين «الخصوصيات الحضارية» - ومنها الثقافات - وهى التى موضوعها «النفس الإنسانية» المتميزة فى كل حضارة من الحضارات، تبعا لتميز المكونات التى تنطبع على صفحتها: دينا وفلسفة، وآدابا وفنونا، وعادات وتقاليد.. ومواريث تتمايز فيها أمم الحضارات.

وإذا كان فلسفة العلوم الطبيعية - ذات القونين والحقائق الثابتة - هى مما تتمايز فيها الحضارات.. فإن الثقافة - من باب أولى - هى ميدان من ميادين التمايز والتعددية بين الحضارات..

وعلى «تقنيات الاتصال الحديثة» أن تحقق للعلاقات الثقافية بين أمم الحضارات الإنسانية العدالة التى تحفظ المساواة بين هذه الأمم، كأعضاء متساوية الحقوق والواجبات فى «منتدى الحضارات العالمية المتميزة».. وألاّ تكون أداة قهر وغلبة لثقافة على ثقافة ولحضارة على حضارة أخرى.. وإلا فإنها ستفتح على الأمم الفقيرة والمستضعفة أبواب «رد الفعل العنيف والمضاد».. أبواب «الرفض الفكرى»، الذى لا يميز بين ماهو «مشترك إنسانى عام» وبين الخصوصيات الثقافية والحضارية»!..

وإذا كان «الرفض والانغلاق» يقود أصحابه إلى «الضمور»، فإن «التقليد والتبعية» تقود أصحابها إلى «الذوبان والفناء» فى الآخرين!..

تلك هى المهمة المرجوة من «تقنيات الاتصال الحديثة»..

أما كيف يتحقق ذلك.. فهذه مهمة أهل الاختصاص الفنى من المثقفين والإعلاميين ولحديثها مقام آخر غير نطاق هذه الصفحات.

والله من وراء القصد.. منه نستمد العون والتوفيق.

الهوامش

١ - ميشيل عفلق (فى سبيل البعث - الكتابات السياسية الكاملة) جـ٣ ص٣٣، ٢٦٩، جـ٥ ص٦٨. طبعة بغداد سنة ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.

٢ - رواه الإمام أحمد.

٣ - رواه أبو داود.

استثمار الأرض

الأرض هبة الله ونعمة من نعمه للناس جميعا أودعها خاصية الإنبات متى توفرت لها ظروف خاصة عن طريق توصيل المياه وأصلحتها يد الإنسان.. ومن المعلوم أن الأرض إذا تركت وشأنها أجدبت اللهم إلا إذا سخت الطبيعة عليها وجادت السماء بأمطارها ولم يكن بها صخور صماء، عندئذ ترى الأرض ضاحكة مستبشرة تجود بخير ما فيها وتقدم للإنسان والحيوان ما يحيا عليه.. من أجل هذا كان الإنبات الذى يأتى نتيجة المطر والعوامل الطبيعية مباحا للجميع لا لوفرته ولكن لطبيعته.. ولكن إذا بذل الإنسان جهده فى الأرض وقام على تسويتها وشق الترع لتوصيل المياه والمصاريف لتصريف الزائد من الماء فإن عائد الأرض من الثمر أو غيره هو من حق هذا الإنسان الذى اجتهد وبذل واستغل.. وعلى الدولة عندئذ باعتبارها تمثل الجماعة أن تحصل منه مبلغا لا يرهقه ولكن يؤكد على صلته بالجماعة وانتمائه إليها.

الشيخ / منصور الرفاعى عبيد

فالأرض الزراعية هى أحسن استثمار لأن الناتج منها يعيش عليه الإنسان والحيوان والطير وكل ما فيه روح.. ولقد مرت بالإنسان مراحل أولية لم يكن فيها قد اكتشف الزراعة.. فلما اكتشفها لم يكن يفكر أبدا بما نسميه (بملكية الأرض) لأن المساحة التى أمامه صالحة للزراعة ومتسعة جدا.. فالسكان قلة والأرض واسعة.. لهذا لم يفكر الإنسان أبدا فى تأجير الأرض فى يوم من الأيام.. ولما استقر الإنسان فى مكان وبدأ يتخذ لنفسه بيتا.. بدأ الارتباط بالمكان.. وطبيعى من وراء ذلك أن ينتشر العمران لأنه مرادف للاستقرار والاستيطان.. ونظرا لهذا الانتشار والاستقرار بدأ التنافس على الأرض الزراعية.. ونظرا لأن القوة الإنباتية للأرض محدودة ولأن المساحة المحيطة بالمكان المعمور محدودة بدأ التنافس على ملكية الأرض واتجه كل شخص أن يستأثر بأوفر المساحات إنتاجا.. ومن هنا بدأ النزاع بين الأفراد وبالتالى بدأت العصبية.. أدى ذلك إلى وضع أسس وقواعد لتأسيس مشروعية التملك وأحقية العمل فيها لاستثمارها.. وقد اختلف العلماء المشرعون لهذه الأسس ثم قالوا ماهو سند ملكية الأرض.. هل كانت هذه الملكية بحق السبق فى وضع اليد؟.. أم هل كانت الملكية نتيجة غصب القوى للضعيف؟.. أم هى لمن استطاع بذل المال لتوصيل المرافق العامة؟ أم هى لمن أصلح وغرس؟.. أم أن الملكية نتيجة لكل ما قدمناه.. ليس هناك رد صريح من أقوال الفقهاء والمشرعين والاقتصاديين على ما قدمناه.. وباستقراء التاريخ لا يعطينا صورة واضحة للملكية الزراعية.. على أن مسألة الملكية الزراعية ظلت

هادئة فى العصور الأولى لكنها أصبحت مشكلة تؤرق المجتمع فى عهد الإقطاع.

إننا نؤمن بأن الأرض هبة من الله للإنسان.. وليس للإنسان دخل فيما تنبته الأرض لقول الله تعالى: **﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه ❁ أنا صببنا الماء صبا ❁ ثم شققنا الأرض شقا ❁ فأنبتنا فيها حبا ❁ وعنبا وقضبا ❁ وزيتونا ونخلا ❁ وحدائق غلبا ❁ وفاكهة وأبا ❁ متاعا لكم ولأنعامكم﴾** عبس: الآيات: ٢٤ ـ ٣٢.

وقوله سبحانه: **﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾** الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤.

وفى قوله سبحانه: **﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ❁ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ❁ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ❁ وإنّ لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ❁ وعليها وعلى الفلك تحملون﴾** المؤمنون: الآيات ١٨ ـ ٢٢.

فإذا كانت الأرض هبة من الله، والله سبحانه وتعالى هو المعين للإنسان والمساعد له.. علما بأن الأرض بلا عمل لا تعطى ثمرا ولا تجود بخير.. ولكى يستثمر الإنسان هذه الأرض استثمارا جيدا فعلى الفرد أن يعمل ويجد وأن يستعين معه بالأيدى العاملة وأن يستخدم الآلات الزراعية الحديث ليكون الإنتاج أكثر وفرة وأجود ثمرا.. إن الأرض الزراعية هى عماد الحياة وليس عجبا أن نراها محور النزاع بين الأفراد أو العائلات أو الدول، وقد يحتدم النزاع بسببها وتقام الحروب بين الدول بسبب النزاع على ملكية الأرض الأمر الذى يدعونا إلى أن ندعو شبابنا ليقوموا بأداء الواجب عليهم للنهوض بالمشاركة الإيجابية فى استصلاح الأرض وزراعتها لأنها هى مستقبل الأمة والأصل فى الإسلام إباحة ملكية الأرض بعد استئذان الدولة ليكون التمليك بالحق.. وحقها استغلالها ببذل الجهود المنتجة فيها.. على أن هذا الاستغلال والإنتاج عائده إلى الأمة لأنها هى المنتفعة..

ولما كانت الدولة مسئولة عن رعاية حق الأمة وتهيئة الخير لها فإنها فى هذه الحالة مطالبة أن تساعد الأفراد الذين معهم المال للإنفاق فى أوجه الاستصلاح، وعليها أن تيسر لأصحاب القدرة والطاقات الجسدية حتى يعملوا ويستثمروا جهدهم فى هذا العمل المفيد الذى ينتفع به الجميع.. ولاشك أن الإسلام يحض على استغلال الأرض لأنها نعمة من نعم الله.. وشكر النعمة استغلالها فيما يفيد، وهذا أمر واجب على كل مسلم قادر.. إما بالمال وإما بالجسد.. ولقد حثّ الرسول ﷺ على هذا بقوله: «**مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طائر أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» رواه البخارى..

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يشجع على فلاحة الأرض واستصلاحها ويوجه الناس إلى ذلك وقد أخذ ذلك من قول رسول الله ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها فإن أبَى فليمسك أرضه**» رواه البخارى.

فهنا نرى من سياق الحديث أن أى إنسان عنده أرض زراعية فليزرعها بنفسه.. إن لم يكن عنده عمل آخر.. فإن كان له عمل فليمنحها لمن يعمل فيها.. فلقد روى البخارى أن ابن عمر كان يُكرى زراعه وإن كان هناك آراء تنهى عن كراء الأرض لنص الحديث الذى رواه البخارى: «**من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه**».

وجاء فى حديث رواه الإمام مسلم «**نهى رسول الله ﷺ أن يؤخذ للأرض أجر أو حظ**»، وفى حديث رواه البخارى كذلك «**نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض**»، ولقد قال العلماء الذين تمسكوا بعدم كراء الأرض أن الخوف من المستأجر أن يقوم بتجريف الأرض وإن كانت هناك مزارعة بالنصف

فإن الخوف من المستأجر ألا يُسمِّد الأرض ويترك الأعشاب والحشائش فيها ولا يقوم على تنظيم ريِّها، لذلك نرى خاصة فى الأراضى المستصلحة أنه لا يتملكها إلا من يزرعها وإن أردنا التأجير فليكن بشىء معلوم من الزراعة مضمون لما روى فى الحديث عن رافع بن خديج قال: كنا من أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا الرسول ﷺ عن ذلك وقال: **«فإما بشىء معلوم مضمون فلا بأس»** متفق عليه.

إن الإسلام قد شجع على استثمار الأرض وزراعتها ونبه على رعاية الأرض وإبعاد الحشائش عنها، وفى استغلال الأرض واستخراج خيرها عائد عظيم للبشرية.. ثم إن نتيجة المحصول ضامن لاسترداد رأس المال.. وإذا كان الإسلام نبهنا إلى عدم كراء الأرض فقد دلنا على طريق آخر يتمكن بها صاحب الأرض من زراعتها ألا وهى المزارعة، لأن منطق الشريعة فى المزارعة واضح على أن يكون توزيع الناتج من الأرض هو بنسبة ما يساهم به كل واحد من المصروف مع الإيمان بأن الأرض لله والإنبات من نعمه وحصة صاحب الأرض يجب ألا تتجاوز نسبة ما ساهم به فعلا فى نفقات الأرض.. إن الفرد حر فى أن يتملك ما يشاء من مال ثابت أو منقول وله أن يتصرف فى ملكيته حسبما يراه الأصلح له بشرط: ألا يخالف قاعدة إسلامية، وألا يكون من وراء تصرفه إلحاق ضرر بشخص آخر.. لذلك قال الفقهاء إن الحيازة والملكية تتم طبقا للقانون العام.. فمن اشترى أرضا أو بيتا بمال مسروق بطلت ملكيته وحيازته وآل ذلك إلى الدولة فإن تعرفت على صاحب المال المسروق ردت إليه ماله بشرط ألا تغرم الدولة شيئا.. ومن اشترى عقارا أو أرضا من شخص غير أهل للتصرف بطل التعاقد بينهما.. كذلك إذا تم البيع وظهر أن هناك غش من البائع للمشترى أو تدليس عليه أو إكراه لأى طرف بطل التعاقد كذلك.. كما أن الدولة إذا قامت بنزع ملكية أحد من الناس لعمل يخدم الناس جميعا فلها ذلك وملكية الفرد تسقط عندئذ، وهذا من القواعد العامة للدولة والفرد جزء منها ولكن يعوض المالك لأن القاعدة الأساسية فى الإسلام لا ضرر ولا ضرار..

والفرد إذا تملك أرضا بمال حلال وعن تعاقد صحيح صريح ثم تكاسل عن استثمارها واستغلالها والجمهور فى حاجة إلى ما تنتجه هنا يتدخل الإسلام ويقول لابد لهذه الأرض أن تستغل وعلى صاحبها أن يستثمرها لدفع العوز والضرر عن الناس.. وأساس التشريع الإسلامى هو لصالح المجتمع، ولأن الفرد مسئول عن الكل والكل مسئول عن الفرد والإسلام لا يبيح التكاسل ولا يرضى به لذلك تأخذ الدولة هذه الأرض وتقوم بتوزيعها على من يزرعها مع رد ما دفعه هذا الإنسان من مال عند استلام هذه الأرض لأن رسالة الإسلام تقوم على دفع الضرر كقاعدة أساسية عن المجتمع كله، ومن احتكر الأرض ليقوم ببيعها بعد فترة ليستغل المال ويقع الضرر على المجتمع فإن لولى الأمر أن يسترد الأرض ويقوم بتوزيعها على من يعمل فيها.. لأن الله سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يتقن عمله فإن لم يقدر فعليه أن يترك العمل لغيره.. والرسول ﷺ يقول: **«أخشى ما أخشاه على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل»** (فيض القدير جـ١ ص٤١٧).

والإسلام عندما يقرر حق المواطنين فى العمل ليستقيم ذلك مع الروح الاجتماعية ليبعد عن الإنسان المسلم شبح التعطل لأن العبد إذا قصر فى عمله ابتلاه الله بالهم.. ولذا جاء فى الحديث **«أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ»**، والمكفى: أى الذى يكفيه غيره ضرورات حياته والفارغ هو المتعطل الذى يركن إلى البطالة

والكسل.. ولكى يحصل الإنسان على المال الحلال فإن عليه أن يستثمر الأرض وأن يعمل ولا يأنف من أى عمل أيا كان لأن العمل عبادة قبل أن يكون مصدرا للرزق.. والإسلام لا يلقى بعبء البطالة كاملا على المجتمع وإنما يلزم الفرد بأن يبحث لنفسه عن العمل المناسب ويحاول ممارسته ويستعين عليه بكل إمكاناته وبإمكانات الآخرين إذا كان فى مقدورهم أن يساعدوه.

ونذكر هنا الأثر الذى روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما مر على زيد بن مسلمة وهو يغرس فى أرضه غرسا فقال له **«أصبت استغن عن الناس يكون أصون لدينك وأكرم لك عليهم»**، ويقول أيضا: **«لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة»**، ثم يقص علينا القرآن الكريم قصة الفتاتين اللتين قامتا برعى الغنم حتى لا يقول أحد إن هذه مهنة كريهة فضرب بها القرآن النموذج الفريد..

إن الزراعة كما يقول العلماء هى أسبق وجوه المعاش فى الوجود لبساطتها ولضرورة الإنسان إليها، يقول ابن خلدون فى مقدمته: «الفلاحة والصناعة والتجارة هى وجوه طبيعية للمعاش، أما الفلاحة فهى متقدمة عليها بالذات»، والزراعة تتناول الأرض بالحرث والبذر والسقى وهى بسيطة طبيعية، ولذلك تنسب لآدم أبى البشر وأنه معلمها الأول.. ولهذا فإن الزارع فى صدقة مستمرة.. والكسب من الزرع يتضمن نوعا من التفويض لله بعد أخذ الأهبة وفلح الأرض وسقيها وإبعاد الآفات عنها.

والإسلام يحث على الزرع ويدعو إليه ويشجع الحارثين الزارعين وجعل من يُحيى أرضا لا تنتج زرعا وأصلحها هو وزرعها على الدولة أن تساعده وتيسر له، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«من أحيا مواتا فهو أحق بها»**، والإحياء هو الاستصلاح والإسلام يحث على إحياء الأرض الموات، وهو ما يعرف فى وقتنا الحاضر باستصلاح الأراضى. وهو ما يحدث فى توشكى وشرق العوينات والصالحية ومديرية التحرير.. إلى غير ذلك والغرض أن يكون ذلك مصدر رخاء للأفراد ورفاهية للمجتمع.. ولذلك نبه الإسلام أن من احتجز أرضا ليصلحها ولم يستطع غليه أن يتخلى عنها وإلا أخذت منه بالقوة.. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول **«ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين»**، والاحتجاز هو وضع اليد على الأرض بقصد إحيائها أو البناء عليها كما هو الحال فى الأماكن الخربة بين العمارات وفى الأحياء السكنية.. وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتطبيق هذه القاعدة فقال فى خطبة له **«من عطَّل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له»**، إن الزراعة فيها تواصل الأجيال فقد قال الحق سبحانه: **﴿والأرض وضعها للأنام ◆ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام◆ والحب ذو العصف والريحان﴾** الرحمن: الآيات ١٠ - ١٢.

وتبين لنا الزراعة فيها تواصل الأجيال وأنه ورد فى بعض الآثار أن هارون الرشيد مرّ على رجل مسن يغرس شجر الجوز فنظر إليه وقال له ياهذا أتغرس هذه الأشجار وهى لا تثمر إلا بعد أعوام وأنت شيخ كبير كما أرى.. فنظر إليه الشيخ وقال: «ياأمير المؤمنين... غرس من قبلنا فأكلنا ونحن نغرس ليأكل من يأتى من بعدنا واعلم ياأمير المؤمنين أننى أطمع أن يكون لى أجرها من عند الرب العظيم القائل: **﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾**.

إن الزارع فى صدقة مستمرة والثواب موصول مادام الغرس منتفعا به..

فإلى شبابنا ندعوهم إلى استثمار أوقاتهم وبذل مدخراتهم فى الإسهام الجاد فى زراعة الأرض وفلاحتها حتى ولو كانت قطعة أرض صغيرة فإن العطاء من الله وعلى قدر الإخلاص والبذل تكون النتيجة المبشرة بالخير للفرد والمجتمع.

ولله المثل الأعلى

ليس فى نيتى ولا من مقصدى أن أدخل معك أيها القارئ العزيز فى عمليات تفسيرية وتحليلية لتعريف الكلمتين، وإنما أريد فى أيسر صورة أن أبين العلاقة بينهما. تلك العلاقة التى لم تنفصم فيما قبل أزمان التاريخ وبعده، والتى ظلت مع الإنسان شاهدة له أو عليه فى جهله وعمله، فى تأخره وتقدمه، فى تخلفه وارتقائه، فى ضعفه وقوته، فى اضطرابه وثباته، فى إنكاره ويقينه، والتى كان ولايزال صراع بنى الإنسان يتسم عندها فى كثير من الأحايين بالاضطراب

أ.د/ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

إنها علاقة المخلوق بالخالق، سواء أقر ذلك المخلوق بتلك الحقيقة أو عميت بصيرته عنها، وسواء كانت أدواته إلى ذلك علمية أم فلسفية أم دينية متيقنة أم كانت خرافية وهمية متخيلة، فهى فى كلتا الحالتين علاقة دوام واستمرار، لأن الله أودعها مكنونات خلقه وجعلها من ثوابت كونه لتكون دليلا عليه.

إنها علاقة الثابت الدائم بالمتغير الحادث، علاقة الواحد المفرد والقاهر بالمتعدد المتنوع المقهور، قامت عليها وبها دعائم الكون، ولم يستطع الإنسان على مر العصور أن يخرج عنها، أو حتى يدعى - فى أعظم لحظات رقيه العلمى والمادى - وجود بديل لها، لقد خلق الله الكون متآلفا متسقا من خامة واحدة بطريقة تجعل الخضوع المطلق من عباده حقيقة مقررة لا ينتزع منها منتزع.

خلقه وبناه من مركبات الكربون «جميع صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق» على مقتضى خطة تشريحية واحدة، اهتدى إليها بعد جهاد طويل العلم الحديث، وثبت أن تشريح الإنسان والحمامة والتمساح والحوت والزرافة والضفدع والأرنب والفيل والكلب وغيرها من المخلوقات يقوم على خطة تشريحية واحدة. نفس الشرايين والأوردة فى القلب، ونفس العظام والفقرات والجهاز العصبى والهضمى والتناسلى والبولى، فالجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدع والفقرات السبع فى عنق الزرافة يوجد مثلها فى عنق القنفذ، والجهاز العصبى مع اختلاف قدراته هو فى الجميع يتألف من مخ وحبل شوكى وأعصاب حس وأعصاب حركة، والجهاز الهضمى يتكون من معدة واثنى عشر وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة، والجهاز التناسلى نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها، والجهاز البولى الكلية والحالب وحويصلة البول وغير ذلك من الشعيرات، وعضلات القلب وجهاز التنفس، كل ذلك يدور فى وحدة تشريحية واحدة

عمادها الخلية، وهى فى النبات كما فى الحيوان، كما فى الإنسان نفس المواصفات وطريقة التكوين والإبداع، وكلها - وبلا جدال - بين المؤمنين والملحدين والمعاندين والمخدوعين تتنفس وتتكاثر وتولد وتموت بنفس الطريقة وعلى نفس النسق.

ومن هنا كانت علاقة المخلوق بالخالق هى علاقة المقهور بالقاهر علاقة المحدود فى الزمان، والمكان بمن ليس له حدود زمانية أو مكانية، وكانت المحاولات الإنسانية الدائمة للبحث عنه مردودة عليهم بمحدودية عقولم وأزمانهم. طرقها كبار الفلاسفة واصطنعها الكهنة وادعاها الدجالون وحاول فيها الباحثون والعلماء والمفكرون وخضع الجميع أو قل ذل أمام عظمة الخالق وجلاله.

وعلى فترات أرسل الله الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية، لأنهم وإن عرفوا الله بحكم خلقهم وضعفهم وتكوينهم وطبيعتهم إلا أنهم أخطأوا التقدير ومالت بهم الموازين فى حالات كثيرة، وكان لابد من إرسال الرسل لهداية الفكر وإرشاد العقل وضبط الموازين.

لقد تصور «أفلاطون» وهو إمام الفلسفة المشهود له بالقدرة العقلية قديما وحديثا تصورات ساذجة عن الله سبحانه. فجعل يمعن فى الزيادة عن كل صفة يوصف بها الله - يتخطاها ثم يتخطاها كلما استطاع الزيادة اللفظية حتى تنقطع الصلة بينها وبين جميع المدلولات المفهومة أو المظنونة - وغايته من ذلك أن يذهب بالتصوير إلى منقطع العجز والإعياء، فهو لا يقول بصفة الوحدانية بل يقول بصفة الأحادية.

ويقول: إن الواحد غير الأحد، لأن الواحد قد يدخل فى عداد الاثنين والثلاثة والأربعة والمائة وغيرها. ولا يكون الأحد إلا مفردا بغير تكرار. ويمعن فى الاستغراق فينكر صفة الوجود ليقول: إن الله لايوصف بأنه موجود تنزيها له عن الصفة التى يقابلها العدم وتشترك فيها الموجودات. وحالته فى ذلك أشبه بالغيبوبة الصوفية التى لا تمتزج بحياة فكرية ولا بحياة عملية.

فوجود الله تعالى من البداهات التى يدركها الإنسان بفطرته ويهتدى إليها بطبيعته، وليس من مسائل الفلسفة أو العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير المستغرق فى الذهول والأوهام والخيالات، لهذا كانت عناصر الرسالات السماوية وأحكامها ومضامينها واضحة المعالم سهلة الدلالة على الخالق وصفاته.

وفى مذهب أرسطو أن الله كائن أزلى أبدى مطلق الكمال لا أول له ولا آخر، وتلك حقيقة اهتدى إليها صاحب العقل الكبير بفطرته، ولكنه استغرق فى غيبوبته كما استغرق أستاذه «أفلاطون» من قبله فقال: إن الله منزه عن العمل ولا يناسب الإله أن يبتدئ العمل فى زمان لأنه أبدى سرمدى لا يطرأ عليه طارئ يدعوه إلى العمل، ولا يستجد عليه جديد فى وجوده المطلق بلا أول ولا آخر ولا جديد ولا قديم، وكل ما يناسب كماله فهو السعادة بنعمة بقائه التى لا بغية وراءها ولا نعمة فوقها ولا دونها، ولا تخرج من نطاقها عناية تعنيه، وكأنه بذلك أراد الله كمالا مطلقا هو والعدم المطلق على حد سواء، وليس لذلك من سبب إلا أن اليقين فى الله عند الفيلسوفين كان كاملا، ولكن التصور اعتراه خلل حدود الزمان والمكان وفساد الرأى والعقائد التى كانت فاشية بين الكهان والمتعبدين من أبناء اليونان.

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة وعلى اتجاهات العقل، فهى تمسخهما وتشرد بهما

وتخلف فيهما من العلل والاضطراب ما يجعلهما يجمحان إلى الوهم والخيال أو ينتكسان إلى فهم خاطئ وتصور غير صحيح.

إن صفات الذات الإلهية فى الإسلام تضمنت تصحيحا للضمائر وتصحيحا للعقول عند من سبقه من الفلاسفة وأصحاب الديانات الوضعية والسماوية، فصفات الإله التى تعددت فى عقيدة الإسلام، لا تعدو أن تكون نفيا للنقائص التى لا تجوز فى حق الإله الخالق.

فالله سميع بصير عليم قدير كريم حليم عظيم رحيم، منزه عن نقائص الجهل والعجز والجحد والغشم، يخلق ما يشاء، ويريد لخلقه ما يشاء.

﴿**هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾ يونس: آية ٥، ﴿**هو يحيى ويميت وإليه ترجعون**﴾ يونس: آية ٥٦.

﴿**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين**﴾ يونس: آية ٦١.

﴿**والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ الأعراف: آية ٥٤.

﴿**وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون**﴾ الأعراف: آية ٥٧.

﴿**وسع ربنا كل شىء علما**﴾ الأعراف: آية ٨٩.

﴿**يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾ فاطر: آية ١٣.

﴿**إن الله بعباده لخبير بصير**﴾ فاطر: آية ٣١.

﴿**إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور**﴾ فاطر: آية ٣٨.

فهذه الصفات الكاملة لله فى العلم والإرادة والعمل تعتبر ردا على فكرة الله فى الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية كما تعتبر ردا على أصحاب التأويل فى الأديان الكتابية، ومحوا لأحكام الكهنة والدجالين، وتعجيزا للملحدين والمشركين من أصحاب هذه الأديان وغيرها.

وتستمر العلاقة بين الله والإنسان وتبقى الحاجة الدائمة لهذا الإنسان المخلوق الزائل إلى الخالق السرمدى الباقى، تدعوه إلى البحث عنه والتفكر فيه ومحاولة الاتصال به والتعرف على صفاته وأفعاله، ويضطر بفطرته إلى التسليم بأنه لم يخلق نفسه ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التى يحيا عليها، ولا السماء التى يعيش تحتها، ولا الماء الذى يروى منه، ولا النبات الذى يطعمه، ولا الهواء الذى يستنشقه إنه حتى فى أعتى لحظات كفره وجبروته وادعائه الألوهية أو السطوة المطلقة لم يستطع أن يدعى ذلك أو ينسبه لغيره من بنى الإنسان أو أى كائن ما كان من المخلوقات المعروفة أو المتوهمة.

إنه وإن أبى يسلّم بأن الخلق والإيجاد من العدم فوق قدرته وقدرة ما يعلم من عالم الإنسان والحيوان والجماد. لذلك فقد حاولت الأمم القديمة قبل الرسالات السماوية أن تصطنع لها إلها أو آلهة تدين لها وتخضع.

فالهند القديمة مثلا كانت تقوم هياكلها ومعابدها على طوائف من الأرباب منها ماهو من عالم الحيوان وماهو من عناصر الطبيعة، وماهو من الجماد كالأوثان والأنصاب والأزلام، ومعظمها كما شاع عند الكهان والسدنة كان يدعوهم إلى التقرب إليها بالبقاء وسفك الدماء وسلب الأموال وأسر النفوس والقلة منها كانت تشمل المتدينين برعاياتها وتحثهم على الخير وتدفع عنهم الشر وتحميهم كما يتصورون من غوائل الدهر.

وانتهت هذه الأرباب المتعددة عندهم إلى ثلاث من الصور الإلهية هى الإله «براهما» فى صورة الخالق. والإله «فشنو» فى صورة الحافظ. والإله «سيفا» فى صورة الهادم، وجعلوا الهدم والتخريب والإفساد والشر من عمل الإله الأعلى، ولكل إله من هذه الآلهة زوجة ينسبون إليها من الشر وما ينزهون عنه زوجها.

إنها أفكار بالنسبة للإيمان الحق والديانات الصدق، أشبه بأفكار العوام والجهلة فى عصرنا الحاضر عن الشياطين والعفاريت والأرواح وما إلى ذلك من الخرافات والأوهام.

ولكن ذلك لا يمنع أن نقر أنه كانت هناك علاقة بين الإنسان والخالق، وإن كان فساد الرأى وضلال التفكير وحدود الزمان والمكان حالت دون الاهتداء إلى الله الحق وإلى معرفة آثاره الدالة عليه، والإيمان بوحدته، تلك الوحدة الملموسة فى نظام الكون وخواصه وقوانينه المضبوطة التى تأبى أن تتعدد الآلهة لأنها لو تعددت لاختلفت ولذهب كل إله بما خلق ولفسدت الأرض.

وشبيه بديانة الهند كانت الديانة المصرية القديمة فى أول عهدها ثم تدرجت وارتقت فى عهد «أخناتون» إلى ما يدنو من التوحيد، واقتربت فى مفاهيمها من صفات الإله الحق الذى يدين له اتباع الديانات السماوية لولا بعض الشوائب الوثنية التى ظلت عالقة بها من عبادة الشمس والرمز إليها فى كل شىء.

إنها محاولات دائبة لتأكيد تلك العلاقة الحتمية والضرورية بين الخالق والمخلوق، تلك العلاقة المستمرة فى ضمير الإنسان والتى لا يستطيع الفكاك منها حتى فى أشد لحظات عناده وكفره.

وقد بالغ أهل الصين القديمة فى البحث عن تلك العلاقة فمشوا على النار وأكلوا الحديد وصاموا عن الطعام، وامتنعوا عن الكلام واستغرقوا فى التأمل. ولكنهم عجزوا عن اكتشاف الفطرة السليمة والاهتداء إلى الله فتعددت آلهتهم بتعدد أهوائهم ومداركهم، وغلب فساد الرأى على جمال الفطرة، وضاقت حدود علمهم عن إدراك كنه الذات العلية التى نلمس آثارها فى كل عناصر الكون، والتى تتضح لنا وتتكشف كلما أوغلنا فى علوم الطبيعة ومكونات الأشياء، وكلما تقدمنا فى العلم خطوة اقتربنا من حقيقة الله خطوات، لأن الله هو الحق الواضح بذاته، وهو الحجة على كل شىء ظاهر فى نظام كونه ودقته وجماله، فى ثمرات مختلف ألوانها، فى زهور متعددة روائحها، فى طيور تصدح، وحشرات تسبح، وحيوانات تدب، وكواكب تجرى، ونجوم تسرى، وغير ذلك من نظم هذا الكون الدقيق الرائع فى صنعته، الذى لو اختل شىء فيه أدنى اختلال لهلك كله وانعدم.

ليت الذين تاهت عقولهم، وعميت بصائرهم عن هذه الحقائق يعودون إلى وعيهم فلا يكتبون الغثاء الذى ينشرونه على العالم الآن باسم العلمانية تارة، وفلسفة الفكر تارة أخرى، وهم فى الحقيقة ليسوا إلا أجهل الجهلاء بالكون وما فيه.

حضانة الصغار كما بينّها الفقهاء وحددها القانون

المستشار
حسن حسن منصور

إن أهم وأعظم ثمار الحياة الزوجية هى إنجاب الأولاد، لأنهم كما قال القائل: إنما أولادنا هم أكبادنا تمشى على الأرض، والفطرة توجب على الوالدين حضانة أولادهم من لحظة ولادتهم حتى يكبروا ويصيروا مميزين وراشدين، وأمر هذه الحضانة لا يثور إذا كانت رابطة الزوجية قائمة بين الوالدين باعتباره أحد لوازم الحياة الزوجية الذى يباشره كل من طرفيها تلقائيا دون ما حاجة لتدخل الغير لتنظيمه، ولكن إذا ما طرأ على هذه الرابطة ما يوهنها أو يؤدى إلى فصم عراها، فإن مصلحة الأولاد تحتم ضرورة التدخل لتنظيم الحق فى حضانتها.

وقد كانت شريعة الإسلام سباقة فى وضع هذا التنظيم على خير الوجوه بما بينه فقهاؤها الأجلاء من أحكام دقيقة استقت منها التشريعات الحديثة النصوص الجلية التى يهتدى بها الكافة فيما يتعلق بهذا الحق الأساسى فى حياة الأبناء، وسنتناول هنا بإيجاز أحكام الحضانة على ضوء آراء الفقهاء ونصوص قوانين الأحوال الشخصية، وذلك على النحو التالى:

أولا: ماهية الحضانة:

الحضانة فى اللغة: من الفعل الثلاثى «حَضَنَ» بمعنى جعل الشىء فى الحِضن (بكسر الحاء) وهو الصدر مما دون الإبط إلى الكشح، يقال حضن الطائر البيض إذا رقد عليه للتفريخ، ويقال حضنت المرأة الصبى إذا ربته ورعته، والحضانة هى الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شئونه (المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية ص١٥٨).

والحضانة شرعا: هى حفظ من لا يستقل بأمره وتربيته ووقايته عما يهلكه أو يضره وهى من الولاية على النفس وتثبت للحاضن صيانة للصغير ومن فى حكمه كالمجنون والمعتوه، وهى تتمثل فى إمساك الصغير ومن فى حكمه فى المبيت وفى ذهابه وإيابه مع القيام بمصالحه

وحاجاته من مأكل ومشرب ولباس وتنظيف لجسده وموضعه ومداعبته وغير ذلك.

ثانيا: سن الحضانة:

لما كانت الأمور التى تقتضيها الحضانة لا يستطيع الصغير ومن فى حكمه القيام بها بنفسه، فلهذا يجب أن يكون هناك من يقوم بها لصالحه حتى يقوى ويتمكن من مباشرتها دون حاجة لمساعدة الغير، وذلك حتى يصل إلى سن معينة من عمره، وقد حدد المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م فى المادة ٢٠ منه هذه السن بالآتى: «ينتهى حق حضانة النساء ببلوغ الصغير سن العاشرة وبلوغ الصغيرة سن اثنتى عشرة سنة، ويجوز للقاضى بعد هذه السن إبقاء الصغير حتى سن الخامسة عشرة والصغيرة حتى تتزوج فى يد الحاضنة بدون أجر حضانة إذا تبين أن مصلحتهما تقتضى ذلك».

ثالثا: شروط الحاضن:

والحضانة لا تثبت إلا لمن توافرت فيه عدة شروط قال بها الفقهاء وهى:

١ ـ أن يكون الحاضن بالغا وعاقلا وأمينا على المحضون.

٢ ـ أن يكون رحما محرما من المحضون.

٣ ـ أن يكون قادرا على حفظ المحضون.

٤ ـ أن يكون متحدا مع المحضون فى الدين، فلا حضانة لمرتد مطلقا.

٥ ـ ألا تكون الحاضنة متزوجة بأجنبى.

٦ ـ ألا تمتنع الحاضنة عن تربية المحضون مجانا عند إعسار الأب.

والحاضن الذى توافرت فيه هذه الشروط لا يتولى حضانة الصغير ومن فى حكمه إلا حسب الترتيب الذى قال به الفقهاء وأخذ به قانون الأحوال الشخصية.

رابعا: ترتيب أصحاب حق الحضانة:

إذا كان الفقهاء قد اختلفوا فى تحديد من له الحق فى حضانة الصغير أو الصغيرة، إلا أنهم اشترطوا فيه بعض الشروط التى تؤهله للحصول على هذا الحق، وجعلوا على رأس هذه الشروط أن يكون الحاضن ممن له شفقة على المحضون، وكلما زاد هذا الاعتبار زادت أولوية استحقاق الحضانة.

وعند تقنين الحق فى الحضانة راعى المشرع هذا الاعتبار وجعله أساسا لترتيب المستحقين للحضانة، فقد نصت المادة العشرون من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م ببعض أحكام الأحوال الشخصية المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م على أن حق الحضانة يثبت للآتى ذكرهم:

١ ـ الأم لأنها أكثر الناس شفقة على وليدها المحضون.

٢ ـ أم الأم وإن علت باعتبار أنها كالأم فى الشفقة على المحضون.

٣ ـ أم الأب وإن علت.

٤ ـ الأخوات الشقيقات.

٥ ـ الأخوات لأم.

٦ ـ الأخوات لأب.

٧ ـ بنت الأخت الشقيقة.

٨ ـ بنت الأخت لأم.

٩ ـ الخالات بالترتيب المتقدم فى الأخوات، أى الخالة الشقيقة ثم لأم وهكذا.

أجرة الحضانة تستحق من وقت قيام الحاضن بأعباء الحضانة دون توقف على حكم القاضى

١٠ ـ بنت الأخت لأب.

١١ ـ بنت الأخ بالترتيب المذكور أى بنت الأخ الشقيق ثم بنت الأخ لأم وهكذا.

١٢ ـ العمات بالترتيب المذكور.

١٣ ـ العمات لأم بالترتيب المذكور.

١٤ ـ العمات لأب بالترتيب المذكور.

فإذا لم توجد حاضنة من هؤلاء النساء أو لم تكن منهن مستوفية لشروط الحضانة أو تكون مدة الحضانة قد انقضت، فإن الحق فى الحضانة ينتقل إلى العصبات من الرجال بحسب ترتيب الاستحقاق فى الميراث مع مراعاة تقديم الجد الصحيح على الإخوة.

فإذا لم يوجد أحد من هؤلاء الذين سبق ذكرهم ينتقل الحق فى الحضانة إلى محارم الصغير من الرجال غير العصبة على الترتيب الآتى:

١ ـ الجد لأم، ٢ ـ الأخ لأم، ٣ ـ ابن الأخ لأم، ٤ ـ العم، ٥ ـ الخال الشقيق، ٦ ـ الخال لأب. ٧ ـ الخال لأم.

وهذا الترتيب المبين بهذه المادة هو المعمول به لدى جهة القضاء عندما يثور أى نزاع حول الحق فى الحضانة، وعلى كل واحد من أطراف أى منازعة فى هذا الشأن أن يعلم هذا الترتيب حتى يتمكن من معرفة مدى أحقيته فى حضانة الصغير.

خامسا: أجرة الحضانة:

هذه الأجرة هى ما تحصل عليه الحاضنة من مقابل نظير ما تقوم به من خدمة الصغير، وتربيته طوال مدة الحضانة.

ولم تحدد قوانين الأحوال الشخصية أحكام هذه الأجرة، ولهذا فإن القانون الواجب التطبيق عليها والمعمول به فى شأنها أمام جهات القضاء هو الراجح فى المذهب الحنفى عملا بنص الفقرة الثانية من المادة الثالثة من مواد إصدار القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٠م بشأن إجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية، وأخذا بالرأى الراجح فى هذا المذهب فإن أحكام هذه الأجرة نذكرها كالآتى:

١ ـ إذا كانت الحاضنة هى الأم وكانت زوجيتها قائمة بوالد المحضون أو كانت فى العدة من طلاق رجعى أو بائن، فإنها لا تستحق أجرة عن حضانتها للابن لأنها تستحق نفقة ولا يجوز لها الجمع بين النفقة وهذه الأجرة، ولكن بعد انقضاء العدة تستحق أجرة الحضانة لأن الأم أصبحت أجنبية عن الوالد ولا ينفق عليها.

٢ ـ إذا كانت الحاضنة أجنبية فإنها فى كل الأحوال تستحق أجرة الحضانة لعدم وجود أية رابطة مع والد المحضون، كالزوجية التى تبرر الإنفاق على الزوجة ولو كانت حاضنة.

٣ ـ أجرة الحضانة تستحق من وقت القيام بأعباء الحضانة دون توقف على حكم القاضى، ومنذ القيام بها تصبح دينا صحيحا ثابتا فى ذمة المكلف بها ولا تسقط إلا بالأداء أو الإبراء.

٤ ـ هذه الأجرة تقع دينا فى ذمة المحضون باعتبار أن الأب تجب عليه نفقة الولد وأجرة الحضانة وأجرة الرضاع، وقد اتفق فقهاء المذهب الحنفى على أن الأب يجب عليه إمساك الولد وحفظه وصيانته ويجبر على ذلك إذا استغنى الولد عن النساء، وهذا حق للصغير عليه يجب أن يؤديه إليه.

٥ ـ اتفق فقهاء المذهب الحنفى على أن الصغير إذا كان محتاجا إلى خادم غير الحاضنة فإنه تجب على أبيه أجرة هذا الخادم، لأن الخدمة فى هذه الحالة تكون لكفايته كالنفقة وهى واجبة على الأب.

٦ ـ أجرة الحضانة باعتبارها من حقوق الحاضنة الخالصة لها أن تطالب بها قضاء أو تتنازل عنها رضاء، والأمر بيدها فى كل الأحوال.

٧ ـ أجرة مسكن الحضانة، وهذا أمر يحتاج إلى بيان أكثر لأهميته نسأل الله أن يوفقنا له فى مقال قادم إن شاء الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عالم اليوم وحاجته إلى الإسلام

الإسلام هو دين الكافة فى العالم أجمع هكذا كان ينبغى أن يكون، وذلك بنص القرآن الكريم وهو أصدق الحديث، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة للعالم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وهذا الإعلان يتلى بين ظهرانينا صباح مساء لينبه العقول ويحرك القلوب ويلزمنا بالحجة يوم نقف بين يدى الله فيسألنا عن هذه الأمانة الغالية. يقول الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: آية ١٠٧، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾، ﴿قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾، ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾. إلى غير هذه الآيات البينات التى تشير إلى عالمية الإسلام.

د. حسين عباس الأنصارى

كما أن المنطق السليم يشير إلى عالمية الإسلام، فالإسلام هو الدين الخاتم ورسوله هو آخر الرسل والله رحيم بعباده كما أخبرنا بذلك فى قوله سبحانه: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**. الإسراء: آية ١٥، وقد انقطع وحى السماء منذ انتقل محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يبعث نبىٌّ واحد منذ ذلك الحين إلى يوم الناس هذا، وإلى أن تقوم الساعة، بله أن يبعث رسول. وكان من ادعى النبوة يعلم أنه كاذب قبل أن يكتشف الناس ذلك. ومن العدل الإلهى أن يكون هناك مرشد للناس يعرفهم طريق الخير وطريق الشر قبل أن يثيبهم أو يعذبهم، وكان لابد أن يكون الإسلام هو ذلك المرشد فالكل فى حاجة إليه لتحقيق العدل الإلهى، فهو الدين الخاتم.

ونظرا لانقطاع وحى السماء فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وعلماء الإسلام هم المكلفون بتبليغه إلى البشرية كما أنزله الله حتى يأخذوا بأيديها من الظلام إلى النور.

والواقع يقول إن الإسلام هو دين الكافة ودستور حياتهم فليس هناك دستور فى العالم كله منذ وجد الإنسان وحتى تقوم الساعة يطاول دستور السماء لأنه دستور البشر من خالقهم وكل صانع أدرى بما تحتاج إليه صنعته، والدين الإسلامى بصفته الدين الخاتم لابد أن يكون دستورا صالحا لكل زمان ومكان، وهو كذلك رغم مراء الممارين وإنكار الجاهلين.

لكننا إذا ألقينا نظرة إلى عالمنا اليوم فإننا نجد مفارقة غريبة لا نستطيع أن نبرىء أنفسنا كمسلمين من تبعة تحمُّل إثمها، فتعداد سكان العالم اليوم يزيد عن الستة مليارات ونسبة المسلمين من هذا العدد تمثل السدس فقط، وهى نسبة تمثل وضعا مقلوبا بلاشك، بل إنها تمثل جريمة فى حق البشرية، فنحن نوقن بأنه لا يكون ناجيا من لا يدين بدين الإسلام كما أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى بذلك: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾**، آل عمران: آية ٨٥ **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**، **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة﴾** البينة: آية ٥

والمسلم - كما عرفنا بذلك رسول الله ﷺ ووجهنا - يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه حيث

يقول ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** وليس هناك مسلم يحب أن يُلقى به فى النار، لذا لزم عليه أن يحاول إنقاذ الآخرين من تلك النار، وذلك بإخراجهم من ظلام الجهل والشرك إلى نور الإسلام.

فهل حاول المسلمون تطبيق توجيهات نبيهم لهم وتوجيهات كتاب ربهم؟ حيث يقول: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** آل عمران: آية ١١٠

الواقع يقول عكس ذلك، فمعظم سكان العالم بين من يدين بعقيدة فاسدة لا تتفق والعقل السليم، وبين من يشرك مع الله مخلوقا آخر سواء كان بشرا أو حيوانا أو جمادا أو مخلوقا من مخلوقات عالم الغيب، أو لا يدين أصلا بأية عقيدة فهو يؤمن بالمادة وبالحياة الدنيا فقط.

لقد انتشر الإسلام خلال ثمانين عاما فى جميع أرجاء الأرض المعروفة من بداية الهجرة النبوية الشريفة حينما فهم حملة رسالة الإسلام معنى قوله تعالى: **﴿.. وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾** الإسراء: آية ١٥، وقد توقف إرسال الرسل بانتقال الرسول الخاتم ﷺ إلى الرفيق الأعلى لكن رحمة الله سبحانه وتعالى لا تتوقف، فهو أرحم الراحمين. وقد انتقل عبء ميراث تبليغ دعوة الحق إلى علماء الإسلام، فهم ورثة الأنبياء وتبليغ رسالة الإسلام لكل إنسان مكلف على ظهر هذه البسيطة هو فرض كفاية على علمائنا إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين، وإلا فهو فرض عين، وعلماؤنا الأجلاء هم خير من يعلم هذه الحقيقة، وحكام المسلمين يجب عليهم تسهيل مهمة العلماء لتحقيق هذه الرسالة، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وما نعيشه الآن من واقع الناس وأن أغلبهم ضال أو مضلل عن الدين الحق فهو إثم كبير يسأل عنه علماؤنا وقبلهم حكام المسلمين الذين لا يمكنون لنشر دين الله.

وليس لنا أن نعتذر بأن وسائل الاتصال والإعلام تغطى العالم بأجمعه، فليس لأحد أن يدعى الجهل بحقيقة الإسلام. لأن الإسلام يصل بصورة مشوهة ومشوهة جدا سواء عن طريق الدعاية المغرضة من قبل أعداء الإسلام، أو السلوك السيىء من المنتمين إلى الإسلام، والذى ينفر الناس من اعتناقه، لذا كان من الضرورى أن تصل رسالة الإسلام نقية صحيحة إلى كل إنسان على وجه الأرض وبكل الوسائل الممكنة مهما كلفنا ذلك من جهد ومال، فقد كان المسلمون الأوائل يضحُّون بأرواحهم وأموالهم، ولم يكن ذلك حبا فى القتال ولا من أجل الغزو ولكن كان لتوصيل رسالة الإسلام الصحيح إلى الناس.

وقد أصبحت مهمة الداعين إلى دين الله اليوم أقل غرما ومشقة فلم تعد هناك تضحية بالنفس، أما التضحية بالمال فهى واجب المسلمين كافة والأغنياء منهم خاصة، وإن لم تنفق أموال المسلمين فى نشر دين الإسلام ففيم تنفق!!

إننا نرى أصحاب العقائد الأخرى يجندون كل ما يملكون من سلطة حاكمة وأموال فى سبيل نشر باطلهم، وفى عقر ديارنا الإسلامية، إنه وضع مقلوب يجب أن يصحح وذلك بأداء الأمانة الغالية التى حُمِّلها علماؤنا الأجلاء بحيث لا يشغلهم عنها شاغل، فالناس حيارى ومتعطشون إلى معرفة الحق ونحن فى حاجة إلى جهاد من نوع جديد فى سبيل الله، ليس بالسيف ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة وإخلاص النيات، ومن واجب حكام المسلمين أن يمهدوا الطريق للدعاة إلى دين الله بكل ما يملكون من وسائل السلطان والمال آخذين فى اعتبارهم عزة الإسلام وعدم الرهبة من أولياء الشيطان مهما كانت قوتهم الزائفة، فالحق هو الأقوى، ولنا فى دولتى الفرس والروم عبرة يوم أن

دالت دولهم وتبدد ملكهم أمام قوة الحق على أيدى فئة كانت تحسب من الرعاع فى مقاييس القوى المادية، لكنهم كانوا يملكون إيمانا بعقيدتهم يهز الجبال الرواسى. فالداعى إلى دين الله يضع بين عينيه واجب تأدية الرسالة وحب الخير للناس.

هنا ستعود الأمور إلى نصابها، ويعتدل الميزان لإخراج البشرية من الشقاء الذى تعيشه بسبب غفلتها عن دين الله.

وكان من المفروض أن تصبح اللغة العربية هى اللغة العالمية الأولى نظرا لعالمية رسالة الإسلام، واللغة العربية هى لغة القرآن، وتدبر القرآن وفهمه من أساس العقيدة الإسلامية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بمعرفة لغة القرآن، كما أن بعض الشعائر الإسلامية لا تصلح إلا أن تؤدى باللغة العربية مثل قراءة الفاتحة وشيئا من القرآن فى الصلاة، وقراءة التشهد وقول السلام عليكم لإنهاء الصلاة، كما أن بعض العلماء يشترط أن تكون خطبة الجمعة باللغة العربية والنطق بالشهادتين وترديد التلبية فى الحج وإلى غير ذلك مما يشترط فيه أن ينطق باللغة العربية، والمسلم ليس مثل الببغاء يردد مالا يعقل ولا يعى، لكن الفهم والتدبر أساس من أساس العقيدة الصحيحة **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾** محمد: آية ٢٤، وكيف يتدبر القرآن من لا يعرف لغة القرآن؟!!

كما أن اللغة العربية كانت لغة العلم فى عصور الإسلام الزاهرة، يوم أن كان الغرب ملفوفا بظلام القرون الوسطى يرسف فى أغلال الجهل والخرافات، وكان بعض منه يلتمس العلم والنور من تراث الإسلام الحضارى، وكان العلماء المسلمون هم أساتذة العلم فى ذلك الوقت، حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فأضاعوا هيبة الإسلام فى نفوس العالم، وقضوا على الفرصة الذهبية لأن تكون اللغة العربية هى اللغة العالمية ثم تتوارى على استحياء، رغم أن القرآن العظيم الذى خلدها ظل شامخا محفوظا بعناية الله ووعده **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩.

واليوم نفتش عن اللغة العربية حتى بين أبناء الأمة العربية فلا نجد إلا مسخا، بل يشعرنا الكثير بأنها سبة فى جبين الحضارة والتقدم، فهو يتشدق بكل لكنة أجنبية فى حديثه وتصرفاته وإعلاناته، ويفتخر بأنه يجيد كذا وكذا من اللغات الحية، والمقصود باللغات الحية هى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها.. وكأن اللغة العربية لغة ميتة مع أنها أغنى لغات العالم بالمعانى والحركة، لكنها ضعفت بكل أسف، ليس بين الأعاجم ولكن بين أبناء الأمة العربية أنفسهم، وكان من المفروض كما أسلفنا أن تكون هى اللغة الأولى بين أبناء البشر جميعا، حيث يوجد مسلمون بحكم عالمية الإسلام، فمتى يتحقق ذلك (عالمية الإسلام وعالمية لغة القرآن)؟ هذا واجب المسلمين اليوم على أساس الفرض التكليفى وليس على أساس الاختيار، وأول المكلفين بذلك هم حكام المسلمين وعلماؤهم، فإن الله سائل كلا الفريقين يوم يقفون بين يديه ولا ينبغى لعلماء الإسلام أن يقفوا مكتوفى الأيدى حفاظا على مناصبهم أو مكاسبهم المادية، فكل ذلك إلى زوال ولن يبقى أمامهم سوى سؤالهم عن عمرهم فيم أفنوه، وعن علمهم ماذا عملوا به، ومن الواجب أن يكون لهم فى رسول الله ﷺ وصحبه الكرام أسوة فيما لاقوه من المشقة والعذاب فى نشر دين الله، ولم يثنهم ذلك عن المضى فى تبليغ ما كلفوا به وتأدية ما ائتمنوا عليه من أمانة.

علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نعيد حساباتنا من جديد قبل أن يستبدل الله بنا قوما غيرنا، فالدنيا قد أظلمت وهى فى حاجة إلى نور الإسلام من جديد. أما كيف؟ فهذا يحتاج إلى جهود وتخطيط وهو سهل إذا ما توافرت النيات الصادقة.

من فوق المنبر

حث الإسلام على توجيه الشباب والعناية بهم

الحمد لله الذى أخرجنا من الضعف إلى القوة، ومنحنا الشباب والفتوة، قال الله تعالى: **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾** الروم: آية ٥٤.

أحمده سبحانه أمرنا بإعداد الشباب ليكون عماد الأمة فى سلمها، وحاميها فى حربها، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا باتباع دينه وترسيخ العقيدة فى قلوب أبنائنا، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير الموجهين، وإمام المرشدين، ورائد المعلمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا تعاليمه: **﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾** الأنفال : آية ٤.

الشيخ/ فكرى حسن إسماعيل

أما بعد:

فياأيها المسلمون:

إن الأمة تنهض دائما على أكتاف أبنائها الأقوياء وسواعد فتيتها الأوفياء الذين تجرى دماء الشباب فى عروقهم، وتفيض الشجاعة والرجولة من قلوبهم بقضية التطور والاختراعات والسبق العلمى فى جميع المجالات، ولهذا أثنى القرآن الكريم على مجموعة من الشباب فقال الله تعالى: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** الكهف: آية ١٣، لأنهم كانوا نماذج للإيمان الكامل، وأمثلة للكفاح الشامل يقتدى كل شاب بنضالهم، ويسير كل فتى على منوالهم.. والشباب شجرة خضراء تحتاج من أول غرسها إلى عناية ورىٍّ.. وإلا فإن الأهواء تفسد أخلاقهم والانحرافات تتلف عقولهم وأبدانهم. لذلك نجد رسول الله ﷺ يوجه توجيهاته الرائدة النافعة إلى أولياء الأمور بقوله: **«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** رواه ابن ماجة.

ولينشأ الشاب مؤمنا بربه مستضيئا بنور طاعته وحبه، فقد أوجب الإسلام على من يهمه أمره أن يأمره بطاعة خالقه ليتعود منذ صغره على الطاعة والاستقامة والصلاح فقال ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»** رواه الإمام أحمد وأبو داود.

وبينت السنة الشريفة أن أعظم هدية يقدمها والد لولده هى الأدب الحسن، فقد رُوى أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نحل والد ولدا من نَحْلٍ أفضل من أدب حسن»** رواه الترمذى.

أيها المسلمون:

كما حرص الإسلام على العناية بالأطفال لأنهم شباب الغد، فقد اعتنى كذلك بالشباب فى جميع حياته، فرباه روحيا، ووجهه جسميا، ورسم له

سبيلا علميا، ووضع له منهاجا خلقيا.. ففى المجال الروحى يوصى الإسلام الشباب أن يكون مستعدا لقبول التوجيهات التى توجه إليه لينتفع بحياته، وليأمن العاقبة بعد مماته، فهو المسئول أمام الله عن نعمة الشباب، فعن أبى بردة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»** رواه الطبرانى فى الكبير، والبزار.

ومن الناحية الجسمية يحث النبى ﷺ كل شاب على الاعتناء بجسده، فقد كان الرسول الأمين يسابق ويصارع ويرشد أمته إلى الأخذ بأسلوب القوة الجسدية والمعنوية.. روى سلمة بن الأكوع فقال: مر النبى ﷺ على قوم ينتضلون فقال: **«ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا»** رواه البخارى وأحمد، وفى المحيط العلمى نجد رسول الله ﷺ يحث الصحابة على تعلم العلم أيا كان نوعه، ويبين أن ذلك أفضل من صلاة التطوع، فقال لأبى ذر رضي الله عنه: **«ياأبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عملَ به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة»** رواه ابن ماجة.

وحتى لاينعزل المسلم عن ركب الحياة وتطورها فقد حث رسول الله ﷺ على تعلم لغات الآخرين ليأمن المسلم الواعى مكرهم، رُوى عن زيد بن ثابت قال: أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال: **«إنى والله ما آمن يهود على كتابى»**، قال زيد: فو الله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وأجدت فيه، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم إليه» رواه الإمام البخارى.

ويشير القرآن الكريم إلى نماذج رائدة وقدوة صالحة فى النواحى الخلقية والأمورالسلوكية، من هذه النماذج لقمان الحكيم الذى يوصى ابنه بما يؤهله لحمل الأمانة، ويوضح له الطريق لحسن الصلة بالله وحسن معاملة الناس، قال الله تعالى: **﴿يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور﴾ واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** لقمان: الآيات من ١٦ ـ ١٨.

ولقد سار الصحابة على هذه المبادئ الإسلامية فى معاملة أبنائهم، وتربية شبابهم، بادئين بالمسجد لمنحهم طاقات روحية وثقافات دينية، واستمع الشباب إلى تعاليم الإسلام الغراء طائعين وعملوا بها راضين فعاشوا أعلاما بدينهم، وقادة بأفكارهم، ونماذج رائدة بعقيدتهم وأخلاقهم.

فياأبناء الإسلام وأتباعه.. ليحذر كل منكم البعد عن دينه باتباع ما يظهر من أفكار مسمومة ومقالات معسولة، ومبادئ هدامة، واعلموا أن عدوكم يريد أن يبعدكم عن دينكم وصدق ربنا حيث يقول: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾** الرعد: آية ١٧، وأنتم يامن حملكم الله عبء الرعاية وأعطاكم سلطة القيادة. اتقوا الله فى الشباب لأنه أمانة فى أيديكم، ربوه على الطهر وأبعدوه عن الشر، وحصنوه من التيارات الجارفة، والأخلاق الزائفة فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. روى ابن ماجة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** رواه ابن ماجة.

وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

كفن الميت.. والدَّين

السؤال من القارئ، م. ع. م،من شارع الأربعين، أخميم بمحافظة سوهاج، يقول:

توفى ابنى فى حادث سيارة فى بلدة قريبة من بلدتنا وقام أهلها بعمل إجراءات الدفن كاملة للموتى بداية من الغسل والكفن، فهل يبقى الكفن وغيره دينا على المتوفى أو أهله، وماذا لو رفضوا أخذ ثمن الكفن؟

الجواب: لا يشترط أن يكون كفن الميت من ماله هو أو مال أبيه أو أحد أقاربه، فيجوز أن يكون من شخص آخر مادام متبرعا به. أما إذا كان غير متبرع به فالواجب إعطاء ثمنه له لأنه صار دينا، والدَّين يمنع نزول الرحمة على الميت حتى تبرأ الذمة منه، والحديث معروف **«يغفر للشهيد كل شىء إلا الدَّين» رواه مسلم، وفى حديث حسن رواه أحمد وابن ماجة والترمذى «نفس الميت معلقة بدينه حتى يقضى عنه».**

ومادام الناس الذين تولوا تجهيز الميت لم يطالبوا به فلا حرج ولا شىء يصيب الميت بسوء إن شاء الله.

دفن الموتى

السؤال من القارئ، م. ع. م، من شارع الأربعين، أخميم بمحافظة سوهاج، يقول:

هل يجوز دفن الأب فى القبر الذى سبق وأن دفن فيه أحد أبنائه؟

الجواب: لا يجوز أن يدفن أحد فى قبر دفن فيه غيره، وذلك إذا كان القبر حفرة خاصة بمن دفن فيها، أما القبور الحالية التى تعرف بالفساقى فيدفن فيها عدد كبير بجوار بعضهم البعض، وذلك حرام عند جمهور الفقهاء، مكروه فقط عند أبى حنيفة، فعلى رأى أبى حنيفة لا يحرم دفن الأب فى قبر سبق أن دفن فيه أحد أولاده.

ومحل حرمة الدفن أو كراهته فى الفساقى إذا لم تكن هناك ضرورة أو حاجة، مثل كثرة الموتى وتعسر إفراد كل بقبر، روى أحمد والترمذى وصححه أن الأنصار جاءوا إلى النبى ﷺ يوم أحد وقالوا: يارسول الله، أصابنا جرح وجهد فكيف تأمرنا؟ قال «احفروا وأوسعوا وأعمقوا، واجعلوا الرجلين والثلاثة فى قبر» قالوا: فأيهم نقدم قال: «أكثرهم قرآنا».

وسوسة الشيطان

السؤال من القارئ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس، كفر الجرايدة، يقول:

هل هناك عقاب على وسوسة الشيطان؟

الجواب: وسوسة الشيطان لازمة لبنى آدم، فقد أقسم برب العزة أن يغوى الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين.

وهو لا يوسوس إلا بالسوء، وقد أرشدنا الله سبحانه إلى الاستعاذة منه كما قال **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾** الأعراف: آية ٢٠٠، ووسوسة الشيطان لا عقوبة عليها فى حد ذاتها لأنها اضطرارية لا يكاد يسلم منها أحد، بل العقوبة على تنفيذها على غرار ما يحدث فى نفس الإنسان من حركات كالهاجس والخاطر وحديث النفس، فقد روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها مالم تتكلم أو تعمل».

ولو عاقبنا الله على هذه الحركات والوساوس لكان تكليفا بمالا يطاق، وهو سبحانه القائل: **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾** البقرة: آية ٢٨٦، فلنستعن على طرد هذه الوسوسة بالاستعاذة بالله، والانصراف عنها بالتفكير فى شىء آخر فيه خير، وهذه مجاهدة لها أجرها إن شاء الله.

فى الطلاق

السؤال من القارئ، سمير عطية السيد خليفة، المحلة الكبرى، غربية، يقول:

ما حكم الدين فى رجل وامرأة مطلقين ويعيشان معا فى شقة واحدة بحكم القضاء؟

الجواب: المطلقة يلزمها أن تعتد فى بيت الزوجية كما قال سبحانه: **﴿ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾** الطلاق: آية ١.

وهى فى أثناء العدة أجنبية مع الرجل وبخاصة فى الطلاق البائن لا يخلو بها فى مكان خاص، ولا تكشف أمامه ما أمر الله بستره، إلى غير ذلك من الآداب، فإذا انتهت العدة خرجت من البيت إلى حيث تريد أن تعيش، وإذا كان لها حكم الحضانة للأولاد من المطلق وجب على الرجل أن يهيىء لها ولأولادها - مدة الحضانة - ما يلزم لهم من نفقة ومنها المسكن اللائق، فإما أن يسكنها فى مكان غير بيت الزوجية، أو يترك هو بيت الزوجية لها وللأولاد ويسكن هو فى مكان آخر، فإذا كانت هناك أزمة مساكن جاز للضرورة أن يمكنه ولى الأمر من العيش معها فى المسكن حتى يتيسر له مسكن آخر مع الاحتفاظ بكل الآداب الشرعية الخاصة بالرجل والمرأة الأجنبيين، وإن كان ذلك فى هذه الحالة عسيرا لظروف متعددة، لكن الضرورات تبيح المحظورات «انظر الفتاوى الإسلامية - المجلد السادس ص٢٢».

اجتياز صفوف المصلين أثناء الخطبة

السؤال من القارئ، عبدالرحمن عبدالله، ميت غمر، دقهلية، يقول:
ما حكم الدين فيمن تخطى الجالسين أثناء سماع الخطبة ليتقدم إلى الصفوف الأولى؟

الجواب: جاء النهى عن تخطى الرقاب يوم الجمعة مقيدا بأن يكون بعد خروج الإمام للخطبة كما فى رواية أحمد والطبرانى، أو يكون أثناء الخطبة كما فى رواية لأحمد وأبى داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

حيث رأى النبى ﷺ رجلا يتخطى رقاب الناس وهو يخطب فقال له «اجلس فقد آذيت» وجاء النهى مطلقا لم يقيد بهذين القيدين كما فى رواية ابن ماجة والترمذى «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم»، قال الترمذى: حديث غريب، أى رواه راوٍ واحد فقط، والعمل عليه عند أهل العلم.

والعلة فى النهى عن تخطى الرقاب هى الإيذاء، وقيل: إن النهى للتحريم وقيل إنه للكراهة، فالإسلام لا ضرر فيه ولا ضرار.

لكن قال العلماء: يستثنى من النهى عن تخطى الرقاب الإمام إذا خرج ليرتقى المنبر وكذلك من وجد فُرْجَةً فى صف متقدم لا يصل إليها إلا بالتخطى، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذى قام منه لضرورة.

والدليل على جواز هذا الاستثناء ما رواه البخارى وغيره عن عقبة بن الحارث قال: صليت وراء رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة العصر، ثم قام مُسْرِعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال «ذكرت شيئا من تِبْرٍ - ذهب - كان عندنا فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته».

مع مراعاة أن تخطى الرقاب لا يكون إلا عند الزحام وتراصٍ الجالسين. أما إذا كانت هناك فُرَجٌ بين الجالسين فمر فيها الإنسان دون إيذاء لأحد فلا حرج.

ثواب الوضوء

السؤال من القارئ. السيد عبدالمهيمن التهامى، شرشابة، غربية، يقول:
ما ثواب النوم على وضوء؟ وترك المذياع مفتوحا، هل فى ذلك كراهة؟

الجواب: يسن الوضوء عند إرادة النوم، فقد روى البخارى وغيره أن النبى ﷺ قال: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا مَنْجى منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، فإن مُتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به».

ويتأكد استحباب الوضوء عند النوم لمن كان جنبا ولم يغتسل، فقد كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوء الصلاة، كما رواه الجماعة عن السيدة عائشة - رضى الله عنها -.

أما النوم والراديو يقرأ القرآن فلا حرمة ولا كراهة فيه، وكذلك ما نسمعه من برامج أخرى غير منافية للدين فلامانع من سماعها عند نومك مادمت محتاجا إليها كما تقول فى سؤالك.

الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

السؤال من القارئ، م. س. أ. من محافظة القاهرة، يقول: هل الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بدعة وكيف يكون هذا الاحتفال، وماحكم تناول الحلوى بأشكالها وماهى المظاهر التى يجب أن يكون عليها هذا الاحتفال؟

الجواب: سبقت الإجابة عليه أكثر من مرة، وخلاصتها أن المؤرخين لا يعرفون أحدا احتفل بذكرى المولد النبوى الشريف قبل الفاطميين، وجاء القرن التاسع والناس بين مجيز ومانع، واستحسنه السيوطى وابن حجر العسقلانى وابن حجر الهيتمى، مع إنكارهم لما لصق به من البدع، ولكثرة انتشارها منع بعض العلماء كالفاكهانى أصل إقامة المولد.

ورأى المجيزين مستمد من آية **﴿وذكرهم بأيام الله﴾** إبراهيم: آية ٥. وقد أخرج النسائى وغيره أن النبى ﷺ فسر الأيام بنعم الله وآلائه، وولادة النبى نعمة كبرى، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال **«ذاك ولدت فيه ويوم بعثت - أو أرسل إلىَّ فيه»** فالرسول نصَّ على أن يوم ولادته له مَزِيَّة على بقية الأيام، فالاحتفال بذلك اليوم وشكر الله علينا بولادة النبى وهدايتنا بشريعته مما تقره الأصول، لكن بشرط أن يخلو مما حرم الله.

وفى رأيى أنه لا بأس بذلك فى هذا العصر الذى كاد الشباب ينسى فيه دينه وأمجاده فى غمرة الاحتفالات الأخرى التى كادت تطغى على المناسبات الدينية على أن يكون ذلك بمثل التفقه فى السيرة وعمل آثار تخلد ذكرى المولد كبناء المساجد وتأليف الكتب والأعمال الخيرية التى تربط من يشاهدها برسول الله وسيرته، بشرط ألا يرتكب منكر.

أما الحلوى والزينات فهى مظاهر فرح تترك لنية الإنسان ويسره وعسره، والله يقول **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾** البقرة: آية ١٧٢.

وإذا كان من المعتاد فى الاحتفال بأعياد الميلاد تقديم هدايا يفرح بها صاحب العيد، فإن ما يفرح به الرسول بهذه المناسبة ويكون دليلا على حب الناس له هو العمل بما جاء به من هذا الدين، فهو القائل **«من أحبنى فليستن بسنتى»**.

زينب بنت جحش

السؤال من القارئ، ع. ح. خ، من محافظة القليوبية. يقول:

هل من الحديث ما يقال عن زينب بنت جحش أنها كانت تفاخر زوجات الرسول ﷺ بأن الله زوجها من فوق سبع سموات؟

الجواب: زينب بنت جحش هى بنت عمة النبى ﷺ، كانت ركنا أساسيا فى إبطال حكم التبنى، حيث خطبها أولا لمولاه زيد بن حارثة الذى كان قد تبناه على عادة الجاهلية، وكان يدعى زيد بن محمد، فلما استنكفت من هذه الخطبة لعدم التكافؤ بين الطرفين أنزل الله **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** الأحزاب: آية ٣٦، فرضيت لكن الله ألقى فى قلبها كراهة زيد، فشكاها للرسول فنصحه بإمساكها، ثم طلقها زيد لتعاظمها عليه، فلما انقضت عدتها أرسل الرسول من يخطبها له، فقالت حتى أوامر ربى عز وجل، فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله **﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا﴾** الأحزاب: آية ٣٧، فجاء الرسول ودخل عليها بغير إذن. أخرج ذلك الحديث مسلم وأحمد والنسائى. وما جاء فى السؤال رواه الترمذى وصححه، حيث كانت تتحدث بنعمة الله عليها، وتفاخر زوجات الرسول بقولها: زوَّجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات. وذلك من خصوصيات الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

بكاء أهل الميت

السؤال من القارئ/ محمد الشرسابى - اخناواى - طنطا، يقول:

هل الميت يعذب ببكاء ونواح أهله؟ وهل لابد أن يكون القبر مبنيا بالطوب النيىء؟

الجواب: المسألة الأولى فى البكاء على الميت - روى ابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن أن النبى ﷺ قال: **«ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: هكذا أنت»** واللهز هو الدفع فى الصدر بجميع اليد.

وجاءت أحاديث تقول: **«إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» وفى رواية «يعذب بما نيح عليه».**

يقول النووى فى شرح صحيح مسلم «ج٦ ص٢٢٨»: اختلف العلماء فى تأويل الأحاديث التى وردت بتعذيب الميت بما نيح عليه، فحملها الجمهور على من وصَّى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم، لأنه بسببه ومنسوب إليه، فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية فلا يعذب، لقول الله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فاطر: آية ١٨.**

وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا مت فانعينى بما أنا أهله

وشُقِّى علىَّ الجيب ياابنة معبد

وقيل: إن الميت يعذب، أى يتألم بسبب بكائهم عليه، وكان يُحبُّ لهم ألاَّ يبكوا، وإليه ذهب محمد بن جرير الطبرى، وقال عياض: هو أولى الأقوال. واحتجوا بحديث **«إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه، فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم»** والمراد بذلك أنه ليس مجرد البكاء ولكن النياحة.

وقال النووى فى كتابه «الأذكار»: روينا فى صحيحى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ لما سأله سعد عن بكائه على ابن بنته قال: **«هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء».**

وقال: وأما الأحاديث الصحيحة أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها، بل هى مؤولة، واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال، أظهرها - والله أعلم - أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء، إما بأن يكون أوصاهم به أو غير ذلك - والكلام مفصل فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» ج٦ ص٤٧.

المسألة الثانية فى بناء القبر بالطوب: دخول الجنة أو النار مرهون بالإيمان والعمل ومشيئة الله تعالى، وليس للقبر من حيث أنه مادة دَخْلٌ فى هذا الموضوع، ومع ذلك استحسن العلماء ألاَّ يكون فيه شىء دخل النار، كالآجُرّ وهو الطوب المحروق.

جاء فى تفسير القرطبى «ج١ ص٣٨١» قوله: ويكره الآجُر فى اللحد، وقال الشافعى: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه، لأن الآجُرُّ لإحكام البناء. والقبر وما فيه للبلى، فلا يليق به الإحكام، وعلى هذا يسوّى بين الحجر والآجر، وقيل: إن الآجُر أثر النار فيكون تفاؤلا، فعلى هذا يفرق بين الحجر والآجر.

هذا، وقد روى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى أن تجصص القبور، وفى لفظ النسائى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص، والتجصيص معناه الطلاء بالجص وهو الجير المعروف.

والجمهور حملوا النهى على الكراهة، وحمله ابن حزم على التحريم. وكما كرهوا تجصيصه بالجير كرهوا بناءه بالطوب الأحمر المحرق بالنار، وذلك إذا لم تكن الأرض رخوة أو ندية فإن كانت كذلك فلا كراهة.

إتقان العمل.. أولا

السؤال من القارىء/ محفوظ محمد عليمى - أبو ريشة - كفر الشيخ، يقول:

- ما رأى الدين فى رجل صاحب مهنة تضطره ظروفه إلى أن يخفف من أجره حتى يطلبه كثير من الناس ثم لا يتقن عمله؟

الجواب: صاحب المهنة الذى يخفف من أجره حتى يطلبه الكثيرون يجب عليه أن يتقن عمله حتى يبارك الله له، أما أن يعمل عملا ضعيفا يتناسب مع الأجر الضعيف الذى يأخذه فهو خيانة للعقد العرفى بين الطرفين، لأن المستأجر يريد عملا جيدا مادام الأجير - وهو العامل - رضى بهذا الأجر، والحديث معروف **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»** رواه البيهقى.

والواجب على كل عامل فى أى مجال من المجالات أن يطرح خلف ظهره هذه المقولة الشائعة عند الكثيرين وهى **«على قدر فلوسهم»** ذلك أنك مادمت ارتضيت العمل بهذا الأجر فلابد أن تقدم العمل لصاحبه كاملا، فإن لم يعجبك الأجر فاعتذر عنه بالاستقالة أو غيرها.

وليضع الجميع نصب أعينهم قول الله تعالى: **﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾** الأحقاف: آية ١٩. وقوله: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾** الكهف: آية ٣٠ وقول الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

الدجل والشعوذة

السؤال من القارئ/ محمد شعبان أبو زهرة - عزبة أبو زهرة - شبراخيت - بحيرة، يقول:

اشتهرت فى الإسكندرية امرأة تسمى الشيخة نادية ويذهب إليها الآلاف من الناس للشفاء وهى لا تتقاضى أجرا، فما رأى الدين فى هذه الظاهرة علما بأنها تعالج بالقرآن الكريم؟

الجواب: الموضوع طويل جدا يمكن الرجوع فيه إلى كتاب الطب النبوى لابن القيم، والمقرر أن الأمراض قد تكون مادية أو عقلية أو نفسية أو خلقية، والرسول ﷺ أمر بالعلاج منها عند المختصين فقال: **«ياعباد الله تداووا فإن الله لم يخلق داء إلا خلق له دواء ولا تداووا بمحرم»** وفيه روايات متعددة.

والعلاج بالقرآن حق فهو شفاء بالنص وإن قصره البعض على بعض الأمراض، ورقية لدغ الحية بالفاتحة معروفة، وفى كتاب «الإتقان للسيوطى» حديث **«عليكم بالشفاءين العسل والقرآن»**.

ومن يعالج بالقرآن يكون على صلة قوية بالله ليقبل دعاءه للمريض، ومن المعلوم أن الإسلام نهى عن الدجل والشعوذة وما يعرف بالكهانة والعرافة والتعاويذ والتمائم، وعلى المسلم أن يتفقه فى دينه حتى لا يقع فى شراك من يحترفون هذا الدجل، وعلى المسئولين جميعا أن يتعاونوا على منع هذه الوسائل غير المشروعة.

قطوف دانية

من هدى القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ الأعراف: الآيتان ٣٢، ٣٣.

الدكتور/ مسعد محمد الديب

من الهدى النبوى

عن سهل بن سعد الساعدى قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله، جئت أهب لك نفسى. قال: فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يارسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوِّجنيها، فقال: «وهل عندك شىء؟» قال: لا والله ما وجدت شيئا، فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتما من حديد» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزارى - قال سهل: ماله رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تصنع بإزارك؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شىء، وإن لبستْه لم يكن عليك شىء»، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ موليا، فأمر به فدعى، فلما جاء قال: «ما معك من القرآن؟» قال: معى سورة كذا وسورة كذا - لسور عدَّدها - فقال ﷺ: «تقرؤهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم، قال ﷺ: «اذهب فقد ملَّكتكها بما معك من القرآن»(1).

ارحموا عزيز قوم ذل

وقعت سفانة بنت حاتم الطائى فى أسر الجند المسلم، وكانت ضمن السبى الذى عرض على رسول الله ﷺ، فلما وقفت بين يدى الرسول الكريم قالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلى عنى ولاتشمت بى أحياء العرب، فإن أبى كان سيد قومه، يفك العانى، ويقتل الجانى، ويحفظ الجار، ويحمى الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ويحمل الكَل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا، أنا ابنة حاتم الطائى.

فقال النبى ﷺ: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقا، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلُّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، ثم

أردف فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ارحموا عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالما ضاع بين جهَّال»(٢).

الصبر جميل

أفضل الصبر ما كان جميلا، وهو ما أوصى به يعقوب نفسه فى قوله تعالى: **﴿فصبر جميل﴾**، وما أوصى به الله النبى ﷺ فقال له: **«فاصبر صبرا جميلا»** وقد سئل رسول الله ﷺ عن الصبر الجميل فقال: **«هو الذى لا شكوى معه»** يريد: الذى لا شكوى معه إلى أحد من الناس، وحينئذ فإن الصبر الجميل لا يكون بحبس الشكوى عن الله فهو سبحانه حرىٌّ بأن يجعلها دعاء يكشف به الضرر والبلوى(٣).

خلق المؤمن

كان الفضل بن عياض رضي الله عنه إذا اعتدى عليه بالسباب مُعْتَد رفع كفيه إلى السماء مبتهلا وهو يقول: **«اللهم إن كان كاذبا فيما رمانى به فاغفر له، وإن كان صادقا فاغفر لى»**(٤).

نِعَمُ الله

جاء رجل إلى الحسن البصرى فقال: إن لى جارا لا يأكل الفالوذج، فقال له الحسن البصرى: «ولم؟» قال: يقول إنه لا يستطيع أن يؤدى شكره، فقال له الحسن البصرى: «أفيشرب الماء البارد؟» قال: نعم. فقال الحسن البصرى: «إن جارك هذا جاهل، فإن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذج»(٥).

زرعوا ونزرع

مرَّ هارون الرشيد على رجل مسنٍّ يغرس شجر الجوز، فنظر إليه وقال له: ياهذا، أتغرس هذه الأشجار وهى لا تثمر إلا بعد أعوام وأنت شيخ كبير كما أرى؟، فنظر إليه الشيخ وقال: ياأمير المؤمنين، غرس مَنْ قبلنا فأكلنا، ونحن نغرس ليأكل مَنْ يأتى من بعدنا، واعلم ياأمير المؤمنين أننى أطمع أن يكون لى أجرها من عند الرب العظيم القائل: **﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾**.

العدل أساس الملك

جمع أبو عبيدة بن الجراح من أهل الذمة أموالا للدفاع عن مدنهم، ثم علم من أهل الذمة أنفسهم أن الروم قد جمعوا لحربه جيوشا لا طاقة للمسلمين بدفعها، فأمر أبو عبيدة بأن يُرَدَّ إلى كل مدينة ما أُخذ منها من جزية، وقال: إننا رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط إن ينصرنا الله عليهم»(٦).

أشعر الشعراء

أشعر الشعراء أربعة:

١ ـ الأعشى إذا طرب.

٢ ـ امرؤ القيس إذا ركب.

٣ ـ النابغة إذا رهب.

٤ ـ وزهير إذا رغب.

الهوامش

١ ـ رواه البخارى.

٢ ـ مجلة الوعى الإسلامى عدد صفر ١٤٠٢هـ ص٨٩.

٣ ـ عبدالعزيز سيد الأهل ـ من الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم ص١٤٣.

٤ ـ خالد محمد خالد ـ الوصايا العشر ص٣٣، ٣٤.

٥ ـ محمد الغزالى ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص٢٢٣.

٦ ـ راجع كتاب الخراج للقاضي أبى يوسف.

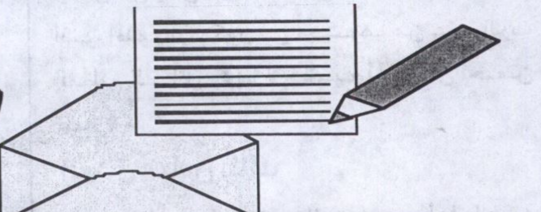

مع القــراء

حسين السكرى

السنة النبوية فى مواجهة الأعداء

للقارئ/ أيمن عيد عبدالحليم الحجار ـ طالب بكلية أصول الدين بالقاهرة ـ الفيوم ـ سنورس

السنة النبوية هى المصدر التشريعى الثانى بعد القرآن الكريم، وهى وحى من دين الله ـ تعالى ـ فقد قال سبحانه: **﴿وما ينطق عن الهوى۞ إن هو إلا وحى يوحى﴾** النجم: الآيتان ٣، ٤، وقال جل جلاله: **﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾** النساء: آية ١١٣، قال قتادة: المراد بالكتاب هو القرآن الكريم والحكمة هى السنة، ولهذه المكانة العالية للسنة النبوية، فقد لاقت هجوما عنيفا من أعداء الإسلام؛ وذلك بالطعن والتشكيك وإلقاء الشبه والافتراءات عليها، وقد انطلقت هذه الشبه فى اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: أنهم اتجهوا نحو رواة الأحاديث ونقلة السنة فطعنوا فيهم، كما طعنوا فى أبى هريرة رضي الله عنه ومعاوية وغيرهم من الصحابة الذين قال فى حقهم رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ نصف أحدهم ولا نصيفه»** رواه البخارى.

ثانيا: أرادوا الطعن فى أصح كتاب، فطعنوا فى صحيح البخارى وقالوا: إن فيه أحاديث ضعيفة وموضوعة يريدون بذلك أن يسقطوا هذه المرتبة العظيمة التى يحتلها هذا الكتاب.

ثالثا: أرادوا أن يطعنوا السنة بخنجرهم المسموم فنادوا بعدم حجية السنة، وقالوا يكفينا القرآن وحده فقد قال عنه الله تعالى: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾** وقد تجاهل هؤلاء قول الله ـ سبحانه ـ أيضا: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** الحشر: آية ٧، ومع هذا فقد قيض الله ـ عزوجل ـ للسنة من يذب عنها من علماء أمناء، فقاموا بالرد على هذه الشبه أمثال الدكتور محمد محمد أبو شهبة، والدكتور مصطفى السباعى وغيرهم من علماء الإسلام.

❖❖❖

هذه الافتراءات وتلك الادعاءات لا ترقى أبدا إلى اليقين ولا تَمتُ إلى الصدق بصلة من قريب أو بعيد، بل هى أكاذيب اختلقها المشككون يريدون بها إحداث البلبلة والتشويش على مفاهيم البسطاء من الناس ليتخذوهم دعاة لهم فيما تصبوا إليه نفوسهم المريضة.

عزة المسلمين

للقارئ/ الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ إمام وخطيب مسجد كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ

إن عزة المسلمين مستمدة من عزة الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامى دين الرفعة والعزة والكرامة، والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** المنافقون: آية ٨، وهذه العزة تقتضى من الإنسان أن يحافظ على نفسه وعرضه وماله، وهذا ما جاء به الدين الحنيف دين الإسلام لأنه دين قيم على كرامة الإنسان المسلم وعلى كل حياته، وعندما حبست امرأة فى سجون الروم ونادت بأعلى صوتها (وامعتصماه) فما أن وصل الخبر إلى الخليفة العباسى (المعتصم بالله) حتى كانت النتيجة أنه أرسل رسولا من عنده برسالة هذا نصها: «من المعتصم أمير المؤمنين إلى كلب الروم» أما بعد: فإذا وصلتك رسالتى فأطلق صراح المرأة المسلمة وإلا أرسلت لك جيشا أوله عندك وآخره عندى، فالمسلمون رجال يحرصون على الموت أكثر من حرصكم على الحياة، فهذا هو الإسلام الذى يدعو إلى العزة والكرامة وذلك الذى جعل الخليفة المعتصم بالله العباسى يسارع بتجهيز جيش للدخول فى معركة حربية من أجل المرأة المسلمة.

❖❖❖

الإسلام ليس فى تعاليمه السمحة حب الاعتداء ولكن من طبيعته رد العدوان والمسارعة للنجدة، والإغاثة لاسيما، إذا كانت الأمور تتعلق بالكرامة أو العرض أو المال أو اغتصاب الأرض، ولعلنا شاهدنا فى حروبنا المصرية والإسلامية الكثير من الأمثلة الحية على ذلك.

أهل الصفة

للقارئ / عبدالعزيز فرج إسماعيل - الزهراء - عين شمس - القاهرة

الصفة هو اسم المكان الذى يوجد فى شمال المسجد النبوى فى المدينة المنورة على صاحبها - أفضل الصلاة والسلام - وكان ينزل فى هذا المكان المهاجرون الفقراء الذين ليس لهم أمكنة ينزلون فيها، ومن هؤلاء الصحابة الكرام - أبو هريرة، وسعد بن أبى وقاص، وسلمان الفارسى، وبلال بن رباح، وغيرهم كثيرون - رضوان الله عليهم أجمعين - وقد اختلف فى عددهم؛ فقيل هم سبعون صحابيا وقيل غير ذلك، وقال عنهم الإمام الجليل: ابن تيمية - رحمه الله - أنهم كانوا من أعظم الناس جهادا مع سيدنا رسول الله ﷺ، وقد أشار إليهم المولى - عز وجل - فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾** الحشر: آية ٨.

وقد كان هؤلاء يشاركون فى الجهاد مع رسول الله ﷺ بإخلاص وصدق، وقد استشهد منهم سبعون شهيدا فى غزوة «بئر معونة» وقَنَت سيدنا رسول الله ﷺ ودعا فى قنوته هذا على الذين قتلوهم، وحسب أولئك شرفا ومكانة أن رسول الله ﷺ كان يعطف عليهم ويودهم ويمنحهم من عنايته ورعايته الشئ الكثير، وكانوا - رضوان الله عليهم - يحسنون العبادة لله - سبحانه وتعالى - ويكثرون من الصالحات وذكر الله - عز وجل - وكانوا يسهمون بالجهاد، وبقدر ما يستطيعون مع رسول الله ﷺ.

❖❖❖

أهل الصفة هؤلاء كانوا من القانتين العابدين المخلصين المجاهدين، وكان رسول الله ﷺ يحبهم ويقربهم منه لتفانيهم فى العبادة والطاعة والجهاد، وقد حزن حزنا شديدا على الذين قتلوا منهم فى (بئر معونة) ودعا على الذين قتلوهم وهو فى قنوته ويكفيهم فخرا وعزا ومجدا أن الله - سبحانه - ذكرهم فى قرآنه الكريم ونوه بهم واعتبرهم من المخلصين الصادقين.

إنما يخشى الله من عباده العلماء

للقارئ / عبدالكريم محمد مكى - قرية العطوانى - ادفو - أسوان

يروى عن المصطفى ﷺ أنه قال: «يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم إلا وملك موكل به يبشره بالجنة، ومن مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة»، ويروى عن على رضي الله عنه وكرم الله وجهه - أنه قال: «أقل الناس قيمة أقلهم علما». وقال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان، وسئل الشعبى عن مسألة فقال: لا علم لى بها، فقيل له: ألا تستحى؟ ولم أستح مما لم تستح منه الملائكة حين قالت؟ «لا علم لنا» ويروى عن نبى الله عيسى عليه السلام أنه قال: «من علم وعمل وعلم عد فى الملكوت الأعظم عظيما» وقال أيضا: «لا تطرحوا الدر تحت أرجل الخنازير».

❖❖❖

منزلة العلم لا تنالها ولا تطاولها منزلة فى الحياة الدنيا؛ لأن العلم أساس المعرفة والحضارة والتقدم والرقى، ولا يتأتى كل ذلك إلا إذا كان العلم هو قبلة الناس ومحط آمالهم، ويكفى أن الله - جل وعلا - كرم العلم فكانت تلك الآية الكريمة التى نزلت على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾.

أسباب العذاب

للقارئ/ هانى محمد على طنطاوى - سنديون - قليوبية - طالب بمعهد طوخ الدينى الأزهرى

على المسلم الفطن الذكى أن يتدبر مافى القرآن الكريم من أسرار كفيلة بأن تجعله يحصل على ما يريده من الدنيا وما ينفعه منها ومن الآخرة وما يصل إليه من النعيم المقيم فقد قال الله تعالى: **﴿ولقد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾** طه: آية ٤٨. وقال سبحانه وتعالى **﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ لا يصلاها إلا الأشقى﴾ الذى كذب وتولى﴾** الليل: الآيات ١٤ - ١٦، ويقول جل جلاله: **﴿فلاصدق ولا صلى﴾ ولكن كذب وتولى﴾** القيامة: الآيتان ٣١، ٣٢، فأسباب العذاب منحصرة فى تكذيب القلب بخبر الله وإعراض البدن عن طاعة الله ورسوله، مصداقا لقوله تعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** النور: آية ٦٣، فكثير من الجهال اعتمدوا على مغفرة الله ورحمته وكرمه فضيعوا أمره ونهيه ونسوا أنه شديد العقاب وأن لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، فهو - سبحانه - القائل: **﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾**.

وأعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فآثرها على الآخرة ورضى بها بديلا عن الآخرة، وينبغى أن نعلم أن من أراد شيئا استلزم رجاءه له وخاف من فواته والسعى فى تحصيله بقدر الإمكان.

❖❖❖

الحياة كلها تعب ونصب وجد واجتهاد والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، فالطالب مثلا لا يستطيع أن يصل إلى ما تصبو إليه نفسه إلا بالكد والتحصيل والمثابرة والتفوق، وكذلك التاجر والزارع، فمن قدم بيده شيئا جنى ثماره إن عاجلا أو آجلا، أما إذا أهمل أو أعرض وضرب بكل القيم والمبادئ والمثل العليا عرض الحائط فلا يصيبه من سعيه إلا الخيبة والبوار والخذلان والدمار، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ التوبة: آية ١٠٥.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - جمادى الأولى ١٤٢١هـ (٩)

السؤال: غزوة بدر كانت حربا دفاعية إذ قدم المشركون إلى المدينة لاستئصال المسلمين فوجب عليهم أن يتهيأوا للقائهم.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال: .... **اسم الكاتب:** ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... **رقم التليفون:** ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور:** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٠هـ حتى شعبان ١٤٢١هـ

بريد التعارف

أهـــــلاً

الاسم : صلاح على جابر
الهواية : الاطلاع الدينى والثقافة المتنوعة
العنوان : شارع قصر الشوق ـ ١٦ عطفة البحراوى ـ الجمالية

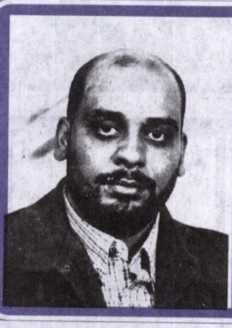

الاسم : زكريا الأنصارى ضياء الدين
الهواية : استماع النصيحة الدينية
العنوان : مدينة البعوث الإسلامية/ القاهرة

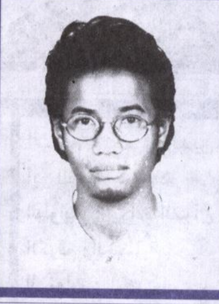

الاسم : أشرف عبدالسلام السيد
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : صان الحجر مركز الحسينية ـ شرقية

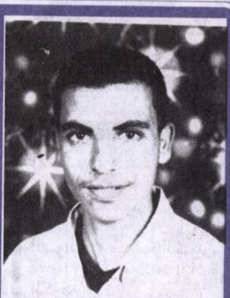

الاسم : محمد عبدالعزيز عبدالعال
الهواية : القراءة العامة والمراسلة
العنوان : عزبة الخامى شنو ـ كفر الشيخ

الاسم : أحمد حمدان على
الهواية : الإطلاع الدينى
العنوان : أسوان ـ الحصايا

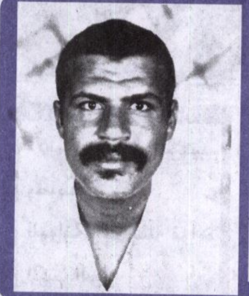

الاسم : ياسر سعد محمد إبراهيم
الهواية : الاطلاع الدينى ـ خطاط
العنوان : سوهاج ـ مركز سوهاج ـ المحامدة القبلية

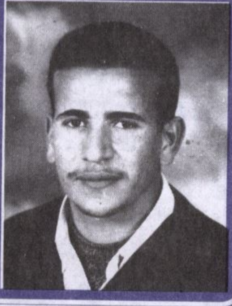

الاسم : حامد سعد حامد نور
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ الكتب الدينية
العنوان : محلة مالك ـ دسوق ـ كفر الشيخ

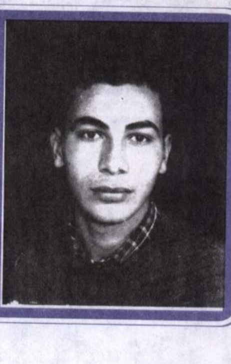

الاسم : سعد حامد نور عبدالقادر
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ الكتب الدينية
العنوان : محلة مالك ـ دسوق ـ كفر الشيخ

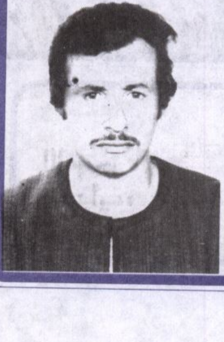

الاسم : محمد سعد نور

الهواية : قراءة القرآن الكريم

العنوان : محلة مالك – دسوق – كفر الشيخ

الاسم : صلاح عطية محمود دردير

الهواية : الكتابة – المراسلة – القراء

العنوان : أبو جلال – شربين – دقهلية

الاسم : عماد الدين أبو الفتوح محمود

الهواية : قراءة القرآن الكريم والخطابة

العنوان : الصَّانية مركز ديرب نجم – شرقية

الاسم : إبراهيم محمد محمد حيفة

الهواية : الاطلاع الدينى – والخطابة

العنوان : عزبة ضيف – جريس – أشمون – منوفية

الاسم : شعبان عبدالله مرسى

الهواية : الاطلاع الدينى – والقراءة

العنوان : مدرسة كرموز التجارية بنات – الإسكندرية

الاسم : محمود الأمير محمود

الهواية : قراءة القرآن الكريم

العنوان : فاو قبلى – دشنا – قنا

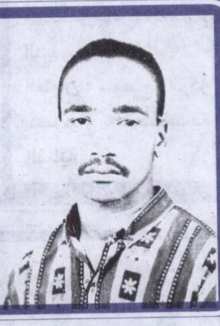

الاسم : فوزى سيد محمود إبراهيم

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : قنا – نجع حمادى – بهجوره – نجع الشيخ

الاسم : عماد السيد مصطفى

الهواية : المراسلة قراءة الكتب الدينية

العنوان : المنزلة – منية النصر – دقهلية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

كلمة التحرير		١
حديث الشهر (البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى)	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
● قضية القدس ومنظمة المؤتمر الإسلامى	د. عبدالله الأشعل	٥
القرآن الكريم وعلومه		٧
● تفسير سورة الحشر	الدكتور محمد سيد طنطاوى	٨
● منهج القرآن فى الدعوة إلى الله ومحاورات الخصوم	د. عبدالعظيم المطعنى	١٣
● نقد علمى لمقال دينى	د. محمد رجب البيومى	١٧
● ابن الأثير وثقافة الناقد الأدبى	د. طه مصطفى أبو كريشة	٢٨
دراسات فى السنة المطهرة		٣١
● الهدى النبوى لسعادة الدارين	فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى	٣٢
● محمد بن سعد الواقدى	أ. د. أحمد عمر هاشم	٣٩
الحضارة والعلوم		٤٣
● ابن سـينا الطبـيب	د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة	٤٤
● علماء الجغرافيا المسلمون وجهودهم فى رسم الخرائط وتلوينها	أ. د. أحمد شلبى	٤٧
● الضوء والنور بين المعارف الفيزيائية والإشارات القرآنية	أ. د. كارم السيد غنيم	٥١
● تخيروا لنطفكم من منظور طبى إسلامى	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٥٧
● عجائب الآثار فى التراجم والأخبار «لعبدالرحمن الجبرتى»	د. محمد عبدالمنعم خفاجى	٥٩
● صورة الإسلام فى المناهج الدراسية فى الغرب	د. فوزية العشماوى	٦٢
● مقصرون فى سباق العلم	تحقيق/ مصطفى إبراهيم خيان	٦٦
● شاعر العروبة والإسلام «أحمد محرم»	أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى	٧٢
● الفكر التربوى «لابن الأكفانى»	أ. د. مـصطفى رجب	٧٨
● السير الإسلامية فى الدراسات الشرقية بجمهورية أوزبكستان	تعريب أ. د. محمد البخارى	٨٤
● العولمة بين القبول والرفض	د. جمال رجب سيدبى	٨٧
● الإمام محمد عبده	عرض/ مصطفى عبدالكريم	٩٠
● لماذا أسلم هؤلاء	أحمد حامد	٩٤
● أخبار ولقاءات	إعداد: منير بيومى	٩٧
● صفحات من جهاد البوسنة	حوار: محسن عبدالفتاح	١٠٥
الدعوة والدعاة		١٠٩
● الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة	د. محمد عمارة	١١٠
● استثمار الأرض	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	١١٦
● ولله المثل الأعلى	أ. د. عبدالرشيد عبدالعزيز سالم	١٢٠
● حضانة الصغار كما بينها الفقهاء وحددها القانون	المستشار حسن حسن منصور	١٢٤
● عالم اليوم وحاجته إلى الإسلام	د. حسين عباس الأنصارى	١٢٧
● من فوق المنبر	الشيخ فكرى حسن إسماعيل	١٣٠
أنت تسـأل والفقيـه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٣
● قطوف دانية	د. مسعد الديب	١٣٨
مع القراء	يحرره حسين السكرى	١٤٠
بريد التـعـارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر